إشراقات

ديوان

عفيف الدين التلمساني

الجزء الأول

دراسة وتحقيق
يوسف زيدان

دار الشروق

ديـوان

عفيف الدين التلمساني

عفيـف الديـن التلمساني (٦١٠-٦٩٠هـ) هو واحـد من كبار الشعراء المتصوفـة القادمين مـن المغرب العربي إلى المشرق، ومن أكثرهم إثارة للجدل، تنقل بين مصر والشام وتعرف إلى كبار المتصوفين، يقول عنه القاضـي شهـاب الدين بن الفضـل: «لم يأت إلا بما خـفّ على القلوب، وبـرئ مـن العيـوب، رقّ شعره فـكاد أن يُشـرب، ودقّ فلا غـرو للقضب أن ترقص وللحمـام أن يطرب»، وابـن العماد يقول: «وأمـا شعره ففي الذروة العليا من البلاغة».

ويعتبر ديوان التلمساني أشهر وأهم مؤلفاته التي تنوعت في مجالي التصوف واللغة. وقد برع التلمساني في تقديم شروح لعدد من نصوص الصوفيـة الرمزية والكشف عن أسرارهـا كمواقف النفري وتائية ابن الفارض وغيرها، وعلى هذه الأفكار نفسها يقوم شعر التلمساني الذي كفّـره إمـام السنـة ابن تيمية وكان مـن أشد الطاعنـين في التلمساني، فأضـاف بذلـك جدلا على جدل، فيما يخص أفـكار التلمساني وشعره كليهما.

هـذا هو ديـوان عفيف الديـن التلمساني بتحقيق وتقـديم الدكتور يوسـف زيـدان الكاتـب والباحـث المتخصص في الـتراث العربـي والمخطوطـات، والـذي قـدم لـه شروحـا وتحليـلات وافيـة، كمـا وضع مقدمـة تتنـاول حيـاة الرجل وتفند آراء كل من مؤيديـه ومعارضيه، وتكشـف عـن مؤلفاتـه الأخـرى وأهـم وأبرز نقـاط تميـزه كمتصوف وشاعر ينبغي معرفته لكل مهتم بهذا السياق.

ديـوان

عفيف الدين التلمساني

ديــوان

عفيف الدين التلمساني

الجزء الأول

دراسة وتحقيق
يوسف زيدان

دار الشروق

الإهداء

إلى أستاذ التصوف، وشيخ الكل

الدكتور أبوالوفا التفتازانى، رحمه الله

يوسف زيدان

المحتويات

تمهيد

بدأت معرفتي بالعفيف التِّلمساني وديوانه الشعرى منذ سنوات، وكانت هذه المعرفة ناجمة عن دهشتين! الدهشة الأولى من ذلك الهجوم الشديد الذى شنَّه تقى الدين بن تيمية على عفيف الدين التلمسانى، ناعتا إياه بأقذع الصفات، حتى بلغ به الأمر أن دعاه: الفاجر التلمسانى!

والدهشة الأخرى، كانت عند مطالعتى لمخطوطة ديوان التلمسانى المحفوظة بمكتبة الاسكوريال، فقد توقفت طويلا عند تلك المعانى الرقراقة التى تنساب فى شعره، وعند هذه المحبة الروحية التى تتأجج بصدق بين كلمات أبياته، حتى إن كثيرا من أشعار الصوفية المشهورين تتواضع عن بلوغ هذه المكانة الرفيعة لشعر التلمسانى، فلا تصل إلى روعة تعبيره ودقة تصويره المفعم بالإيحاءات والنِّكات الذوقية.. وهنا بدا لى التلمسانى بشكل مخالف لما صوَّره ابن تيمية.

وعقب الحصول على درجة الماجستير فى الفلسفة الإسلامية بموضوع يدور حول فلسفة الجيلى الصوفية وتحقيق قصيدته النادرات العينية، أردت أن يكون (ديوان التلمسانى وتصوفه) موضوعا لرسالتى للدكتوراه.. لكن الحق تعالى شاء لى أن تكون رسالة الدكتوراه حول الإمام عبد القادر الجيلانى: طريقته وديوانه.. فشرعت بعد الانتهاء منها فى تحقيق ديوان التلمسانى، إحياءً لأمنية قديمة، وإيمانا بضرورة خروج هذا الديوان إلى النور.

والحقيقة، فقد نال شعر الصوفية قسطا وافرا من إهمال دارسى التصوف ـ لوقوعه فى دائرة الأدب ـ ومن إهمال دارسى الأدب.. لوقوعه فى دائرة التصوف!

وبين الدائرتين، بقى شعر الصوفية على ما فيه من روعة، بعيداً عن الأعين التى مهما بحثت فى زوايا المكتبة العربية، فلن تجد إلا أقل القليل من دواوين الشعر الصوفى. فالمحقق منها لا يزيد على عدد أصابع اليد الواحدة، والدراسات الجادة حولها لا يزيد عددها على أصابع اليد الأخرى.

.. ويأتى هذا الديوان الذى نقدمه اليوم، كخطوة على طريق التعرف لشعر الصوفية؛ هذا التعرف الذى يعد مدخلا مهما لفهم آفاق التجربة الصوفية وما تحمله من عمق لا نجده فى أية تجارب وجدانية أخرى. ويعد ـ من جهة أخرى ـ مدخلا لإثراء الحس الأدبى الشعرى عند الشعراء المعاصرين الذين وقفوا دون حدود التصوف، فلم يتملكوا هذه الطاقات الشعورية الهائلة التى تنفجر فى قلب الشاعر الصوفى. وسوف تكون لنا قبل الولوج فى النص المحقق للديوان وقفتان: الأولى حول عفيف الدين التِّلمسانى وتفاصيل حياته وتصوفه، والأخرى حول المنهج النقدى المتبع فى تحقيق الديوان. فهاتان الوقفتان أمرٌ لا غنى عنه، لقراءة شعر التِّلمسانى قراءةً صحيحة. ومن الواجب أن أسجل آيات شكرى للعروضى السكندرى الكبير، الشاعر (محجوب موسى) لمراجعاته القيمة على النص المحقق للديوان قبل طباعته أول مرة، قبل قرابة عشرين عاماً.

* * *

وكان هذا الجزء (الأول) من ديوان التلمسانى، قد نُشر أول مرة سنة ١٩٨٩ ثم تقاعست الدار التى نشرته عن إصدار الجزء الثانى المتمِّم له. وأعيدُ نشر الكتاب، مصوراً، ببيروت قبل سنوات بعيدة. . ولما طال الأمرُ، ضاع منى الجزء الثانى وصار أمره بدداً. ولعل هذه الطبعة التى بين أيدينا، تحدونى لإنهاء الجزء الثانى، ثانيةً، لتكتمل النشرة المحققة لأشعار التلمسانى، البديعة.

يوسف زيدان

الإسكندرية فى أوائل ٢٠٠٨

عفيف الدين التلمسانى

حياتـه

على الرغم من اختلاف المصادر التاريخية حول تفاصيل حياة شاعرنا، فإن هذه المصادر اتفقت على أن اسمه، أبو الربيع عفيف الدين سليمان بن على بن عبد الله ابن على بن ياسين العابدى، المعروف بعفيف الدين التلمسانى.

وعن (تلمسان) التى ينتسب إليها الشاعر، يقول ياقوت الحموى: تلمْسان ـ بكسرتين وسكون الميم ـ مدينتان متجاورتان بالمغرب، إحداهما قديمة، وَالأخرى حديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب، يسكن فيها الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس، ويزعم بعضهم أن المدينة القديمة منها، هى البلد التى أقام بها الخضر ـ عليه السلام ـ الجدار المذكور فى القرآن[1]. . وتقع تلمسان اليوم على الحدود الغربية للجزائر[2].

وتذكر بعض المصادر القديمة أنه (الكوفى التلمسانى) وهى نسبة خاطئة تناقلتها هذه المصادر[3]. فالصحيح أنه (الكومى) وذلك نسبة إلى قبيلة (كومة) وهى قبيلة عربية صغيرة، منازلها بساحل البحر من أعمال تلمسان[4].

---

(١) ياقوت: معجم البلدان (دار صادر ـ بيروت) المجلد الثانى ص ٤٤.

(٢) فى هامش النجوم الزاهرة (دار الكتب ٧/ ٢٩) جاء: تلمسان قاعدة مملكة المغرب الأوسط فى القرون الوسطى، كانت تشمل الجزائر بحدودها الحالية اليوم، ودار ملك بنى عبد الواد ـ من قبائل البربر ـ وظلت إلى أواخر القرن الثامن من الهجرة. وهى الآن مدينة عظيمة ببلاد الجزائر. على بعد ٦٨ ميلا من وهران، وهى محطة عظيمة للقوافل بين الجزائر ومراكش، عدد سكانها قريب من أربعين ألفا منهم خمسة آلاف أوروبى [انظر صبح الأعشى ٥/ ١٤٩، ٧/ ٣٨٥ ـ معجم لبينكوت الإنجليزى للبلدان].

(٣) انظر على سبيل المثال: فوات الوفيات ٢/ ٧٢. . النجوم الزاهرة ٧/ ٢٩.

(٤) الأعلام للزركلى ٣/ ١٩٣ ـ تاريخ الأدب العربى لفروخ ٣/ ٦٥٦.

وكان مولد التلمسانى سنة ٦١٠ هجرية، وهو أصح التواريخ، ولم يشذ عنه إلا بعض المعاصرين من العرب والمستشرقين، فنجد بروكلمان[1] وعمر فروخ[2] يذكران لمولد التلمسانى سنة ٦١٣ هجرية، ونجد كرنكوف[3] يجعلها سنة ٦١٦ هجرية. . وهى جميعا تواريخ غير صحيحة؛ لما سنذكره عند حديثنا عن وفاة العفيف التلمسانى.

وفى ربوع تلمسان نشأ العفيف، وهناك تلقى بذور التصوف وطريق الصوفية، ثم رحل عن بلاده وطاف فى ديار المسلمين باحثا عن شيخه، حتى لقيه ببلاد الروم. . وكان هذا الشيخ هو تلميذ ابن عربى الأشهر: صدر الدين القونوى[4]، المتوفى ٦٧٢ هجرية.

وكان لقاء التلمسانى بصدر الدين القونوى تحولا خطيرا فى مساره الروحى، فقد تعرف من خلال شيخه القونوى على عالم فسيح، هو عالم (ابن عربى) الذى تعمق بالتجربة الصوفية حتى اخترق الفقه والفلسفة وعلم الكلام، وغيرها من علوم هذه الحقبة، ليقدم فى النهاية نمطا مميزا من التصوف الجارف الذى تجلت آفاقه فى مؤلفات ابن عربى، وفى اتجاهات مدرسته من بعده.

وعلى هذا النحو، عرف التلمسانى تصوف ابن عربى. . ومن هنا نقول بأن كرنكوف قد أخطأ فى قوله «نستطيع أن نقول دون أن نخشى الزلل: إن عفيف الدين كان تلميذا وفيا لابن عربى[5]، ذلك أن التلمسانى لم يلتق بابن

---

(١) Brockelmann: Geahchte der Arabihen Litteratut (Suppl) Leiden 1938 p.458.

(٢) د. عمر فروخ: تاريخ الأدب العربى [دار العلم للملايين ـ بيروت] ٣/ ٦٥٦.

(٣) كرنكوف: دائرة المعارف الإسلامية [الترجمة العربية] ٥/ ٤٦٢.

(٤) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن على الرومى القونوى، صدر الدين: صوفى مشارك فى بعض العلوم، أخذ عن ابن عربى، توفى بقونية. . من مؤلفاته: إعجاز البيان، الفكوك على الفصوص، النصوص، مفتاح أقفال القلوب (انظر: معجم المؤلفين ٩/ ٤٣ ـ طبقات ابن الملقن (مخطوط) ـ طبقات الشافعية ٥/ ١٩ ـ الوافى بالوفيات ٢/ ٢٠٠ ـ مفتاح السعادة ٢/ ٢١١ ـ كشف الظنون ـ ١٢، ٤٥٥، ٥٣٧، ٨٨٩، ٩٠٠، ١٠٣٤، ١٢٨٨، ١٤٩٠، ١٧٥٨. ١٧٦٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧ ـ إيضاح المكنون ١/ ٣٣٥، ٢/ ٤١/، ٥٢٣، ٥٩٨ ـ الأعلام ٦/ ٢٥٤).

(٥) كرنكوف: المرجع السابق ص ٤٦٣.

عربى، وإنما عرفه عن طريق القونوى، شيخ التلمسانى وتلميذ ابن عربى.

ويبدو أن الرابطة بين التلمسانى والقونوى كانت وطيدة، فقد لازمه طويلا، وأخذ من تصوفه الكثير، وصحبه فى رحلاته الطويلة التى كان أهمها الرحلة لبلاد مصر.

فى مصر، نزل التلمسانى وشيخه بخانقاه (سعيد السعداء) وهى دويرة الصوفية المعروفة بالخانقاه الصلاحية، يقول عنها المقريزى: هى أول خانقاه عملت بديار مصر، يلقب شيخها بلقب (شيخ الشيوخ) كان الفاطميون قد أسسوها، ثم أوقفها صلاح الدين الأيوبى على الصوفية.. وكان سكانها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح، وترجى بركتهم، وكانت لهم هيئة فاضلة[(١)].

وفى مصر التقى التلمسانى بصوفى لا يقل عن ابن عربى مكانة وخطرًا، هو الصوفى الأندلسى: محمد عبد الحق بن سبعين، المتوفى ٦٦٩ هجرية[(٢)]. ويروى المناوى فى طبقاته عن هذا اللقاء فيقول[(٣)]: لما قدم شيخه القونوى رسولا إلى مصر، اجتمع به ابن سبعين لما قدم من المغرب، وكان التلمسانى مع شيخه القونوى، قالوا لابن سبعين، كيف وجدت القونوى فى علم التوحيد؟ قال: إنه من المحققين، لكن معه شاب أحذق منه، وهو العفيف التلمسانى[(٤)].

---

(١) المقريزى: الخطط.. (طبعة دار الشعب) المجلد الثالث ص ٤٠١.

(٢) بخصوص ابن سبعين وتصوفه، يمكن الرجوع إلى البحث القيم الذى وضعه أستاذنا الدكتور/ أبو الوفا التفتازانى بعنوان: ابن سبعين وفلسفته الصوفية (دار الكتاب اللبنانى].

(٣) راجع هذه القصة فى طبقات المناوى (مخطوط) وفى شذرات الذهب ٥/ ٤١٢.

(٤) يقول الدكتور التفتازانى فى تعليقه على لقاء ابن سبعين بالتلمسانى: لعل إعجاب ابن سبعين بالعفيف التلمسانى راجع إلى أنه كان مثله قائلا بمذهب الوحدة المطلقة، وقد أشار لذلك المناوى فى طبقاته بقوله: «والعفيف من عظماء الطائفة القائلين بالوحدة المطلقة [الكواكب الدرية فى طبقات الصوفية ورقة ٣٤٧ ب] والمعروف أن ابن سبعين قائل أيضا بهذا المذهب [نفس المرجع. ورقة ٣٤٧] ولعل التلمسانى تأثر بابن سبعين فى هذا الشأن، وقد قرنهما ابن تيمية معا فى إحدى رسائله. مشيرا إلى التشابه التام بين مذهبيهما.. ومن ثم كان التلمسانى أقرب إلى ابن سبعين منه إلى ابن عربى فى مذهب الوحدة (ابن سبعين وفلسفته الصوفية ص ٨١).

وفى مصر، طاب المقام للتلمسانى حينا من الدهر، فظل مقيما عند صاحبه شمس الدين الأيكى - شيخ الشيوخ - حتى رزق بولده: شمس الدين محمد، المعروف بالشاب الظريف، المولود بالقاهرة فى عاشر من جمادى الآخرة سنة ٦٦١ هجرية.. وما لبث أن رحل التلمسانى بأسرته إلى دمشق، ليتولى منصب الإشراف على تحصيل رسوم الخزانة.

فى دمشق، نال التلمسانى شهرة واسعة كواحد من أهل الطريق الصوفى، واعتقد الناس فى علمه وفضله وزهده. يقول ابن شاكر: وكان حسن العشرة كريم الأخلاق، له حرمة ووجاهة.. حضر الأسعد بن السديد النصرانى إلى دمشق بصحبة السلطان الملك المنصور، فقال له يوما: «يا عفيف الدين، أريد منك أن تعمل لى أوراقا بمصروف الخزانة وحاصلها».. وطلبها منه مرة ومرة حتى قال له: «أراك كلما أطلب منك الأوراق تقول لى نعم، ولا تأتى بها».. وأغلظ له فى القول! فغضب العفيف وقال له: «لمن تقول هذا الكلام.. يا خنزير، ما هذا إلا لعجز المسلمين، ولو بصقوا عليك لأغرقوك» ثم شق ثيابه وقام يهم بالدخول على السلطان، فقام الناس إلى الأسعد بن السديد وقالوا: «هذا ما هو كاتب، وهذا الشيخ عفيف الدين التلمسانى، وهو معروف بالجلالة والإكرام بين الناس، ومتى دخل إلى السلطان آذاك» فسألهم رده وقال له: يا مولانا، ما بقيت أطلب منك لا أوراقا ولا غيرها[١].

وفى دمشق، نشأ الشاب الظريف[٢]، وأنشد أشعاره التى طار ذكرها فى الآفاق، ونال من محبة الناس شيئًا كثيرا.. يقول القاضى شهاب الدين بن الفضل فى حقه[٣]:

---

(١) ابن شاكر: فوات الوفيات ٢/ ٧٢، ٧٣.

(٢) انظر ترجمته فى: ذيل مرآة الزمان (مخطوط) تاريخ الإسلام للذهبى، الوافى بالوفيات ٣/ ١٢٩ - فوات الوفيات ٣/ ٣٧٢ - النجوم الزاهرة ٧/ ٣٨١ - كشف الظنون ٣٦٧، ٧٩٤، ١٧٨٦ إيضاح المكنون ١/ ٤٨٦ - الأعلام ٧/ ٢١ - معجم المؤلفين ١٠/ ٥٣.

Brockelmann 458-Aklwoardt 14-Deslan: Catalague.. 559.

(٣) ابن شاكر: فوات الوفيات ٣/ ٣٧٢، ٣٧٣.

«نسيمٌ سرى، ونعيمٌ جرى، وطيف لا أخف موقعا منه فى الكرى، لم يأت إلا بما خفَّ على القلوب. وبرئ من العيوب، رقَّ شعره فكاد أن يشرب، ودقَّ فلا غرو للقضْب أن ترقص وللحمام أن يطرب، لزم طريقة دخل فيها بلا استئذان، وولج القلوب ولم يقرع به الآذان، وكان لأهل عصره بشعره افتتان، وخاصة أهل دمشق، فإنه فى غمائم حياضهم ربًّى، وفى كمائم رياضهم حَبًا، حتى تدفق نهره وأينع زهره، وقد أدركت جماعة من خلطائه لا يروون له شعراً إلا وهم يعظمونه كالمشاعر.. ولا يقدمون عليه سابقًا حتى ولا امرؤ القيس.

ومن رقيق أشعار الشاب الظريف[1] قوله [من الكامل].

لاَ تُخْفِ مَا فَعَلَتْ بِكَ الأَشْوَاقُ
وَاشْرَحْ هوَاكَ فُكُلُّنا عُشَّاقُ

فَعَسَى يُعِينُكَ مَنْ شكَوْتَ لهُ الهَوَى
فى حَمْلِه فَالْعاشِقُونَ رِفَاقُ

لاَ تَجْزَعَنَّ فَلَسْتَ أوَّلَ مُغْرَمٍ
فَتكَتْ بِه الوَجَناتُ والأحْدَاقُ

وَاصْبِرْ عَلَى هَجْرِ الحَبِيبِ فَرُبَّمَا
عَادَ الوِصَالُ وَلِلهَوىَ أخْلاَقُ

وقوله [من الطويل]

بِلاَ غِيبَةٍ لِلبَدْرِ، وَجْهُكَ أَجْمَلُ
وَمَا أنَا فِيمَا قُلْتُهُ مُتَجَمِّلُ

---

(١) بالإضافة إلى النسخ المخطوطة لديوان الشاب الظريف، توجد عدة طبعات للديوان منها: طبعة حجر بالقاهرة ١٢٧٤ هجرية (بنفقة لطف الله الزهار صاحب المكتبة الوطنية) طبعة بيروت ١٨٨٥ (تحرير سليم الأنسى، المطبعة الأدبية) طبعة بيروت ١٣١٠ هجرية (تحقيق شاكر هادى ـ المطبعة الأدبية) طبعة النجف ١٣٨٧ هجرية (مطبعة النجف).

وَلاَ عَيْبَ عِنْدِى فِيكَ لَوْلاَ صِيَانَةٌ
لَدَيْكَ بِهَا كُلُّ امْرِئٍ يَتَبَذَّلُ
لِحَاظُكَ أَسْيَافٌ ذُكُورٌ فَمَالَهَا
كَمَا زَعَمُوا، مِثْلَ الأَرَامِلَ تَغْزِلُ
وَمَابَالُ بُرْهَانِ العِذَارِ مُسَلَّمًا
وَيَلْزَمُهُ دَوْرٌ وَفِيهِ تَسَلْسُلُ[1]
وَعَهْدِى أَنَّ الشَّمْسَ بِالصَّحْوِ آذَنَتْ
فَمَا بَالُ سُكْرِى مِنْ مُحَيَّاكَ يُقْبِلُ
كَأَنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ لِغَيْرِ نَوَاظِرٍ
تُسَهِّدُهَا وَجْدًا وَقَلْبًا تُعَلِّلُ
حَبِيبِى لِيَهْنَ الحُسْنُ أَنَّكَ حُزْتَهُ
وَيَهْنَ فُؤَادِى أَنَّهُ لَكَ مَنزِلُ

ويقول الشاب الظريف [من البسيط]:

لِلعَاشِقِينَ بِأَحْكَامِ الغَرَامِ رِضَا
فَلاَ تَكُنْ فِى الهَوَى بِالعَذْلِ مُعْتَرِضَا
رُوحِى الفِدَاءُ لأَحْبَابِى وَإِنْ نَقَضُوا
عَهْدَ الوَفِيِّ الَّذِى لِلعَهْدِ مَانَقَضَا
قِفْ وَاسْتَمِعْ سِيرَةَ الصَّبِّ الَّذِى قَتَلُوا
فَمَاتَ فِى حُبِّهِمْ لَمْ يَبْلُغِ الغَرَضَا

---

(١) البرهان والدور والتسلسل من مصطلحات علم الكلام التى يضيق المقام هنا عن شرحها. . راجع بصددها (كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوى).

رَأَى فَــحَبَّ فَــرَامَ الـوَصْلَ فَــامْــتَـنَعُــوا

فَــرَامَ صَــبْــرًا فَــأَعْــيَــا نَيْلُهُ فَــقَــضَى

وفى دمشق، سنة ٦٨٨ هجرية. . توفى الشاب الظريف الذى ملأ حياة من حوله بهجة، ولم يكن قد بلغ من العمر غير سبعة وعشرين عاما، قضاها فى لهو الصبا وجهلة الفتوة. وقد رثا العفيف التلمسانى ولده فى أبيات ذكر فيها محمد شمس الدين (الشاب الظريف) وأخا له اسمه محمد أيضا، كان قد توفى قبل ذلك بقليل. . يقول العفيف [من المنسرح].

مَــالِى[1] بِفَــقْــدِ الــمُــحَــمَّــدَيْنِ يَدُ

مَــضَى أَخِى ثُــمَّ بَــعْــدَهُ الــوَلَــدُ

يَــا نَــارَ قَــلْــبِى وَأَيْــنَ قَــلْــبِى أَوْ

يَــاكَــبِــدِى لَوْ يَــكُونُ لِــى كَــبِــدُ

يَــابَائِــعَ الــمَــوْتِ مُــشْــتَــرِيهِ أَنَا

فَــالــصَّــبْــرُ مَــالاَ يُــصَــابُ وَالجَــلَدُ

أَيْــنَ الــبَــنَــانُ الَّــتِى إِذَا كَــتَــبَــتْ

وَعَــايَنَ الــنَّاسُ خَــطَّهَــا سَــجَــدُوا

أَيْــنَ الــثَّنَــايَــا الَّــتِى إِذَا ابْتَــسَــمَــتْ

أَوْ نَــطَــقَــتْ لاَحَ لُــؤْلُــؤٌ نَــضَــدُ

مَــا فَــقَــدَتْــكَ الإِخْــوَانُ يَاوَلَــدِى

وَإِنَّــمَــا شَــمْــسُ أُنْــسِــهِمْ فَــقَــدُوا

---

(١) حرصنا هنا على ذكر هذه الأبيات، لأنها لم ترد فى نسخ ديوان التلمسانى المخطوطة . . وقد نقلناها من ترجمات الشاب الظريف، خاصة : الوافى، فوات الوفيات!

مَــــحَـــمَّـــدٌ يَـا مُــحَـــمَّـــدُ عَـــدَدًا

وَمَــــا لِمَا لَـيْسَ يَنْتَـــــهِى عَـــــدَدُ

ومن هذه المرثية :

مَـــــاذَا عَـلَى الـغَـــاسِلِيَـن إذ قَـــرُبَ

الأَمْــــــلاَكُ مِـنْـهُ لَـوَ أنَّـهُـمْ بَـعُــــــدُوا

قَـــــدْ حَـــمَلَتْ نَـفْـسُــــهُ الـعُلُومَ إلَى

الِفــــرْدَوْسِ وَالنَّـعْشُ فَــوْقَـــهُ الجَـسَــــدُ

أَبْكَيْـتَ خَــــالاَتـكَ الـضَّـــــوَاحِكَ مِـنْ

قَـــبْلُ وَمَـــا مِـنْ صِـــفَـــاتِكَ الـنَّكَـدُ

بِـى كِــــبَـــرٌ مَـــسَّنى وأُمُّكَ قَـــدْ

شَـــــاخَتْ فَــــمِنْ أَيْـنَ لِى يُـرىَ وَلَـدُ

وَهَبْــــهُ قَــــدْ كَـــانَ لـى فَــمِــثْلُكَ لا

يُـرْجَـى وَأَيْـنَ الـزَّمَــــــانُ وَالأمَــــــدُ

ومنها :

يَـالَـيْـــــــــتَنى لَــمْ أَكُـنْ أَبًـا لَـكَ أَوْ

يَـالَــيْـتَ مَــــــــاكُـنْـتَ أَنْـتَ لــى وَلَـدُ

وعندما توفى الشاب الظريف، كان والده العفيف قد بلغ من العمر قرابة الثامنة والسبعين. . ويبدو أن العفيف التلمسانى كان صادقا فى قوله بالبيت الثالث من هذه المرثية، إنه يرحب بالموت بعد نفاد صبره حزنا على ولده، فهو لم يتم بعدها عامين! فقد انتقل إلى جوار ربه فى خامس رجب، سنة ٦٩٠ هجرية.

وكان التلمسانى قد بلغ من العمر ـ بشهادة معاصريه ـ ثمانين سنة، ولذلك فقد عددنا تاريخ مولده (سنة ٦١٠ هجرية) هو التاريخ الصحيح. . وقد زاره الشيخ برهان الدين الكتبى فى اليوم الذى مات فيه، وسأله عن حاله، فقال التلمسانى: بخير، من عرف الله كيف يخافه؟ والله مذ عرفته ما خفته. . وأنا فرحان بلقائه(١).

* * *

موقف ابن تيمية

لا شك فى أن وقائع حياة التلمسانى، وأفكاره الصوفية التى عبَّر عنها فى ديوانه، يطرحان الملامح الرئيسية لشخصية الرجل وتصوفه. . لكننا آثرنا قبل تحديد هذه الملامح ومناقشتها، أن نتوقف عند الجبهة المعارضة للتلمسانى؛ إذ تسهم هذه المعارضات بشكل ما، فى التعرف الأتم على الاتجاه الصوفى عند عفيف الدين التلمسانى.

وإذا كان الصوفية يترفقون بشاعرهم العفيف، فإن مدرسة ابن تيمية قد عصفت بالرجل وأفكاره. وكان ابن تيمية هو أشد الطاعنين فى التلمسانى، بل كان التلمسانى أشد المطعونين من ابن تيمية على الإطلاق. . ولنترك لابن تيمية الحديث، فنراه يقول ما نصه:

«وأما الفاجر التلمسانى، فهو أخبث القوم وأعمقهم فى الكفر! فإنه لا يفرق بين الوجود والثبوت كما يفرق ابن عربى، ولا يفرق بين المطلق والمعيَّن كما يفرق الرومى(٢)، ولكن عنده ما ثَمَّ غير ولا سوى بوجه من الوجوه، وأن العبد إنما يشهد السوى ما دام محجوبا، فإذا انكشف حجابه رأى أن ما ثم غير يبين له الأمر، ولهذا كان يستحلُّ جميع المحرَّمات، حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول: البنت والأم والأجنبية شيء واحد، ليس فى ذلك حرام علينا، وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا: حرام عليكم! وكان يقول: القرآن كله شرك ليس فيه توحيد، وإنما

---

(١) ابن العماد: شذرات الذهب ٥/ ٤١٣.

(٢) يشير إلى: صدر الدين القونوى. . أستاذ التلمسانى.

التوحيد فى كلامنا! وكان يقول أنا ما أمسك شريعة واحدة! وإذا أحسن القول يقول: القرآن يوصل إلى الجنة، وكلامنا يوصل إلى الله تعالى! وشرح الأسماء الحسنى على هذا الأصل الذى له. وله ديوان شعر قد صنع فيه أشياء، وشعره فى صناعة الشعر جيد، ولكنه كما قيل (لحم خنزير فى طبق صينى) وصنف للنصيرية عقيدة، وحقيقة أمرهم: أن الحق بمنزلة البحر، وأجزاء الموجودات بمنزلة أمواجه.. وأما ابن سبعين، فإنه فى البدو[1] والإحاطة[2]، يقول أيضًا بوحدة الوجود وإنه ما ثم غير، وكذلك ابن الفارض فى آخر نظم السلوك[3]، لكن لم يصرح: هل يقول بمثل قول التلمسانى أو قول الرومى أو قول ابن عربى، وهو إلى كلام التلمسانى أقرب، لكن ما رأيت فيهم من كفر هذا الكفر الذى ما كفره أحد قط مثل التلمسانى[4].

وقد أوردنا نص ابن تيمية بتمامه، حتى يتيح ذلك استجلاء قدر الطعن الذى يوجهه ابن تيمية للتلمسانى.. ولنا على النص بضع ملاحظات، لعلها تزيد الأمر وضوحا:

أولاً: إن ابن تيمية اعتمد فى نقده للتلمسانى وتكفيره له، على بعض الروايات التى بحسب تعبيره: حكاها الثقات.. فهل تكفى الحكايات لتكفير رجل من المسلمين؟ وأين استشهادات ابن تيمية بنصوص التلمسانى؟؛ فقد كانت عادته أن يورد من نصوص مؤلفات المتهمين شيئًا يبرر حكمه عليهم، لكنه لم يفعل ذلك مع التلمسانى.

ثانيا: كان ابن تيمية معاصراً للتلمسانى، فقد ولد سنة ٦٦١ وتوفى ٧٢٨ هجرية.. وقد تعلمنا أن نأخذ شهادات المعاصرين بالكثير من الحذر، لما تنطوى عليه أحيانا من ملابسات قد تحجب الصواب عن أعينهم.

---

(١) يقصد كتاب ابن سبعين: بد العارف (حققه جورج كتورة، ونشرته دار الأندلس، دار الكندى ـ بيروت).

(٢) يقصد: كتاب الإحاطة الوجودية (حققه د/ عبد الرحمن بدوى، ونشر بمجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية ـ مدريد، المجلد الخامس ١٩٥٨ العدد ١/ ٢).

(٣) يقصد: تائية ابن الفارض الكبرى.

(٤) ابن تيمية: مجموعة الرسائل والمسائل (طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت) الرسالة الأولى، المجلد الأول ص ١٨٤، ١٨٥.

ثالثا: جمع ابن تيمية كل صوفية عصره في سلة واحدة، وقذف بهم إلى قعر الجحيم.. ولعل ذلك يرجع لاعتقاده الذى صرَّح به حين قال عقب هجومه عليهم «وكثيرا ما كنت أظن أن ظهور مثل هؤلاء، أكبر أسباب ظهور التتار واندراس شريعة الإسلام، وأن هؤلاء مقدمة الدجال الأعور الكذاب الذى يزعم أنه هو الله[1]» وهكذا كان فكر ابن تيمية مأزوما بهموم عصره.. وإلا، فهاهم الذين هاجمهم تمر عليهم مئات السنين ولا يظهر الدجال الأعور الكذاب، وهاهم التتار ينحسرون من العالم الإسلامى فى حياة التلمسانى، ولم يكن التلمسانى قد توفى بعد، حين أعلن (غازان) إسلامه، ولم يلبث أن دخل المغول الإسلام، ولم تلبث المدن الإسلامية التى تعرضت للخراب أن نهضت وانتعشت[2]. فلا عبرة باعتبار ابن تيمية أن مَن هاجمهم كانوا سبب اندراس الإسلام.

أخيرا: انتهى ابن تيمية إلى نوع من الذوق الصوفى فى أخريات حياته، وظهر ذلك فى مؤلفاته المتأخرة.. ولو كان عمره قد طال عدة سنوات.. لكان قد أعاد النظر فيمن أخرجهم من دائرة الإسلام. ولعله كان سينتهى بصددهم إلى رأى آخر!

ولا نحب أن يتبادر إلى الأذهان أننا ندافع هنا عن التلمسانى على حساب ابن تيمية، فلقد خدم الأخير الإسلام بجهوده وكتاباته بأكثر مما خدمه التلمسانى بأشعاره التى مهما بلغت من روعة، فإنها تظل دوما: خطابًا للخاصة من أهل المحبة.

والحقيقة، فإننا مع تسليمنا بمكانة العفيف التلمسانى الشعرية، وعدِّنا إياه واحدا من أروع شعراء الصوفية، فإننا لا نميل إلى عدِّه من شيوخ التصوف الكبار.. فهو قد خاض من التجربة الصوفية ما يؤهله لاستشفاف المعانى الذوقية التى يعانيها أهل الطريق الصوفى، لكن هذه التجربة لم تصل به إلى الذروة التى يمكن معها إدراجه

---

(١) ابن تيمية: المرجع السابع ص ١٨٦.

(٢) د/ السيد الباز العريبى: المغول (دارالنهضة العربية ـ بيروت) مقدمة الكتاب.. ويلاحظ فى الملحق الثانى للكتاب (ص٣٦٠ وما بعدها) أن رسالة إيلخان تكدار ملك المغول بفارس، إلى السلطان قلاوون، بخصوص إسلام الملك المغولى.. مؤرخة بسنة ٦٨١ هجرية.

ضمن كبار أولياء التصوف، الذين يمكن أن يقتدى بهم المريد . . وذلك للأسباب التى سوف نذكرها فى خاتمة هذا الديوان، حيث نتعرض لتقييم شعر التلمسانى وتصوفه!

أما الآن، فلنستكمل حديثنا عن الرجل بذكر مؤلفاته:

مؤلفاته

يقول ابن شاكر فى ترجمته للعفيف التلمسانى « . . وله فى كل علم تصنيف»[1] وهى إشارة جزافية لا بد أن تؤخذ بالكثير من الحذر؛ إذ يتضح من البحث وراء مؤلفات التلمسانى، أنه لم يكن على قدر من التنوع فى التأليف كما قد يُفهم من عبارة ابن شاكر، بل تقتصر معظم مؤلفاته على مجال التصوف . . والأكثر من ذلك أن هذه المؤلفات كانت فى أغلب الأحوال شروحا على نصوص صوفية كتبها كبار رجال التصوف السابقين على التلمسانى.

ومن استعراض مؤلفات التلمسانى يبدو أنه كان شغوفا بهذه النصوص الصوفية ذات الطابع الرمزى، فقد عكف على العديد منها محاولا تحديد المعانى المتوارية خلف الرمز الصوفى، ومُظهرا تلك الحقائق كما يراها أهل الطريق الصوفى. فإذا كانت مؤلفات التلمسانى الشارحة ذات قيمة تفسيرية كبيرة لآراء السابقين، فإنها أيضا تعبر عن موقفه الخاص باعتباره واحدا من مشايخ أهل الطريق.

ولما كانت جميع مؤلفات التلمسانى مخطوطة لم تطبع، فإن استعراضنا لها سوف يكون مذيلا بذكر النسخ الخطية لهذه المؤلفات التى لم تلق بعدُ العناية الكافية:

(١) ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات ٢/ ٧٢.

(١) شرح منازل السائرين

يعتبر كتاب (منازل السائرين إلى الحق عز شأنه) من أقل الكتابات الصوفية حجما، وأكثرها قيمة! فهو فى صفحاته التى لا تصل إلى الخمسين، يتناول معظم الموضوعات الصوفية خلال عرض مركز يعتمد على كثافة المصطلح الصوفى، ويتعمد إظهار الأصول الشرعية من القرآن الكريم بإيراد الآيات التى تنطلق منها المفاهيم الصوفية. وتنقسم المنازل إلى أقسام وأبواب على النحو التالى:

[١] قسم البداية: ويضم أبواب [التوبة ـ المحاسبة ـ الإنابة ـ التفكر ـ التذكر ـ الاعتصام ـ الفرار ـ الرياضة ـ السماع].

[٢] قسم الأبواب: ويضم [الحزن ـ الخوف ـ الإشفاق ـ الخشوع ـ الإخبات ـ الزهد ـ الورع ـ التبتل ـ الرجاء ـ الرغبة].

[٣] قسم المعاملات: ويضم [الرعاية ـ المراقبة ـ الحرمة ـ الإخلاص ـ التهذيب ـ الاستقامة ـ التوكل ـ الثقة ـ التسليم].

[٤] قسم الأخلاق: ويضم [الصبر ـ الرضا ـ الشكر ـ الحياء ـ الصدق ـ الإيثار ـ الخلق ـ التواضع ـ الفتوة ـ الانبساط].

[٥] قسم الأصول: ويضم [القصد ـ العزم ـ الإرادة ـ الأدب ـ اليقين ـ الأنس ـ الذكر ـ الفقر ـ الغنى ـ المراد].

[٦] قسم الأدوية: ويضم [الإحسان ـ العلم ـ الحكمة ـ البصيرة ـ الفراسة ـ التعظيم ـ الإلهام ـ السكينة ـ الطمأنينة ـ الهمة].

[٧] قسم الأحوال : ويضم [المحبة ـ الغيرة ـ الشوق ـ القلق ـ العطش ـ الوجد ـ الدهش ـ الهيمان ـ البرق ـ الذوق] .

[٨] قسم الولايات : ويضم [اللحظ ـ الوقت ـ الصفاء ـ السرور ـ السر ـ النَفَس ـ الغربة ـ الغرق ـ الغيبة ـ التمكن] .

[٩] قسم الحقائق : ويضم [المكاشفة ـ المشاهدة ـ المعاينة ـ الحياة ـ القبض ـ البسط ـ السكر ـ الصحو ـ الاتصال ـ الانفصال] .

[١٠] قسم النهايات : ويضم [المعرفة ـ الفناء ـ البقاء ـ التحقيق ـ التلبيس ـ الوجود ـ التجريد ـ التفريد ـ الجمع والتوحيد] .

وتنتهى هذه الموسوعة الصوفية المركزة بثلاثة أبيات شعرية [من السريع] . تقول :

مَـا وَحَّـدَ الوَاحِـدَ مِـنْ وَاحِـدٍ
إذْ كُلُّ مَنْ وَحَّـدَهُ جَـاحِـدُ

تَوْحِـيـدُ مَـنْ يَنْطِقُ عَـنْ نَعْـتِـهِ
عِـبَـارَةٌ أَبْطَلَهَـا الـوَاحِـدُ

تَـوْحِـيـدُهُ إيَّاهُ تَوْحِـيـدُهُ
وَنَـعْتُ مَـنْ يَنْعَـتُـهُ لاَحِـدُ[١]

ومؤلف منازل السائرين ، شيخ الإسلام : أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن على . . المعروف بالهروى الأنصارى (٣٩٦ ـ ٤٨١هجرية[٢] أثار بهذا الكتاب

---

(١) منازل السائرين (طبعة الحلبى ١٣٨٦ هـ)ص ٤٨ .

(٢) بخصوص الهروى الأنصارى . ترجماته ومؤلفاته . يمكن الرجوع إلى : دمية القصر ٢/ ٨٨٨ ـ طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٧ ـ تذكرة الحفاظ ٢/ ٣٥٤ ـ المنتظم ٩/ ٤٤ ـ الكامل ١٠/ ١٦٨ ـ شذرات الذهب ٣/ ٣٦٥ ـ نفحات الأنس ٢١٢ ـ دول الإسلام ٢/ ١٠ ـ سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٠٣ ـ العبر ٣/ ٢٩٧ ـ البداية والنهاية ١٢/ ١٣٥ ـ النجوم الزاهرة ٥/ ١٢٧ ـ طبقات المفسرين للسيوطى ٢٥ ـ طبقات المفسرين للداودى ١/ ٢٤٩ ـ طبقات المفسرين للأدفوى ٣٥ ب ـ تاريخ الخميسى ٢/ ٣٦٠ ـ كشف الظنون ١/ ٥٦ ، ٤٢٠ ، ٨٢٨ ، ٢/ ١٨٢٨ ، ١٨٣٦ ـ إيضاح المكنون ١/ ٣١٠ ، ٢/ ١١٨ ـ هدية =

شجون العديد من الصوفية فتناولوه بالشرح، كما أثار حفيظة غير الصوفية فوقفوا منه موقف الذى لا يخلو من النقد[1].

وكان من البدهى أن تظهر فى شرح التلمسانى على منازل السائرين، تلك النزعة الصوفية العميقة التى نجدها عند تلامذة ابن عربى. ولعل مقارنة شرح التلمسانى للمنازل، مع شرح ابن القيم (مدارج السالكين) توضح لنا هذه الفروق بين مدرستين للتصوف، فمدرسة ابن عربى توغل فى أعماق المصطلح وباطن الرؤية الصوفية، بينما تقف المدرسة التى ينتمى ابن القيم إليها عند ظاهر الشريعة وحدود اللفظ ودلالاته العامة.. ومن مخطوطات شرح التلمسانى:

- نسخة بمكتبة السليمانية باستانبول (قسم ينى جامع) برقم ٧٠٦، كتبت بتاريخ ٧٣٥ هـ، تقع فى ٣٥٨ ورقة.

- نسخة بالسليمانية [قسم نفيس باشا] رقم ٤٢٤ تقع فى ٣٥١ ورقة.

- نسخة بمكتبة كوپريلى زاده باستانبول، برقم ٧٨٥، وهى نسخة مقابلة ومصححة كتبت سنة ٧٢٤ هجرية[2].

- نسخة ذكرها بروكلمان برقم S. U. S. 433 [3].

(٢) شرح المواقف

يمثل كتاب (المواقف) لأبى عبد الله محمد بن عبد الجبار النِّفَّرى[4]، نمطا خاصا من أنماط التعبير الصوفى، يزيد فى غموضه وإبهامه عن (منازل السائرين) بمراحل

= العارفين ١/ ٤٥٢، ٤٥٣ - معجم المؤلفين ٦/ ١٣٣ -

Ethe: Crundriss der iran Philol 2,282- Ahlwardt 111,12- Brockelmann 1,773

Zhukowski: Wastacnia Zamietki 79 Ency. of Islam 11,318

(١) الذهبى: سير أعلام النبلاء، مجلد ١٨ ص ٥٠٩

(٢) انظر: فهرس مخطوطات مكتبة كوپريلى (إعداد: د. رمضان ششن، جواد أيزكى، جميل إقبكار - منشورات المركز الإسلامى باستانبول).

(٣) Brockalmann: Gieschte der Arabishen Letiratir (Suppl). Leiden 1937, 145816

(٤) لا تكاد المراجع تذكرعن النفرى سوى بعض المعلومات عن وفاته (٣٥٤ هـ) وبلدته (النفر من أعمال =

عديدة، ويختلف عنه من حيث المضمون والغاية . . فإذا كانت المنازل تستعير المصطلح الصوفى لترسم حدود التجربة الروحية وآفاقها الرحيبة، فإن المواقف تنفذ فى أعماق المثول بين يدى الله بعد المرور بدرجات سلم الترقى الروحى المعروف بالأحوال والمقامات، فلا تستعير المصطلح الصوفى بدلالاته المعروفة. وإنما تنحت لغة خاصة بها، لغة ذات طابع سحرى لا نراه إلا فى (المخاطبات) للنِّفَّرى أيضا، وفى رسالة بعنوان (الغوثية) تتأرجح نسبتها بين الإمام الجيلانى ومحيى الدين بن عربى، كنا قد رجحنا نسبتها إلى الإمام الجيلانى[١] . . وتشترك هذه النصوص الثلاثة (المواقف، المخاطبات، الغوثية) فى أنها «خطاب فهوانى» يتنزل على مسامع قلب الصوفى بعد عروجه الروحى لأعتاب الحضرة الإلهية.

وتتألف (المواقف) من سبعة وسبعين موقفا، تبدأ بموقف «العز» الذى تقول الفقرة الأولى منه: **أوْقَفَنى فى العزِّ وقَال لى: لا يَسْتَقِل به منْ دُونى شَىْء، ولاَ يَصلُح منْ دُونى لشَىْءْ، وأنَا العَزيزُ الَّذى لاَ تُسْتَطَاعُ مُجَاوَرتُه ولاَ تُرَامُ مُداوَمتُهُ، أَظْهَرْتُ وأنا أَظْهَرُ منْهُ، فَمَا يُدْرِكُنى قُرْبُهُ ولاَ يَهْتَدى إلىَّ وُجُودُهُ؛ وأَخْفَيْتُ البَاطنَ وَأنَا أخْفَى مِنْهُ فَمَا يَقُومُ عَلىَّ دَلِيلُهُ وَلاَ يَصِحُ إلىَّ سبيلُهُ!**[٢].

وكان لا بد للتلمسانى، وهو الشغوف بغرائب المعانى ودقائق الإشارات، أن يتوق لشرح هذه المواقف التى حفظ لنا الزمان من شرحه عليها، هذه النسخ المخطوطة:

- نسخة بالسليمانية [قسم أسعد أفندى] برقم ١٩٣٦ تقع فى ٦٩٢ صفحة، كتبت بتاريخ ٧٤٣ هجرية.
- نسخة بالسليمانية [قسم شهيد على باشا] برقم ١٣٧٢ تقع فى ٢٠٠ ورقة، بدون تاريخ.

= الكوفة) أما تفاصيل حياته فلا تزال غامضة. انظر: كشف الظنون ٢/ ١٨٩١ ـ الأعلام ٧/ ٥٥ معجم المؤلفين ١٠/ ١٢٥ : . . وأيضا:

Arbrry: Ency. of Islan, Art (NIFFARI) Btockelmann:Giesch 1,200

(١) الجيلانى: ديوان عبد القادر الجيلانى (تحقيق يوسف زيدان ـ مؤسسة أخبار اليوم) مقالة الغوثية.

(٢) النفرى: المواقف والمخاطبات (تحقيق جون آربرى) موقف العز.

- نسخة بالسليمانية [قسم شهيد على باشا] برقم ١٤٣٣ تقع فى ٣٤٩ ورقة.

- نسخة بمكتبة سليم أغا [قسم هود جاى] برقم ٤٨٧ تقع فى ٤٣٨ صفحة.

- نسخة بمكتبة كوپريلى زاده، برقم ٧٤٤/ ٢ تقع فى ٢٥٩ ورقة، كتبت بخط نسخى مشكول سنة ٦٩٥ هجرية.

- نسخة ذكرها بروكلمان برقم (S. O. S. 200'358).

- نسخة بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٢١٥/ ن ح (الكتبخانة الخديوية).

(٣) شرح تائية ابن الفارض

تعدُّ تائية ابن الفارض الكبرى المعروفة باسم (نظم السلوك) واحدة من أشهر قصائد الشعر الصوفى، إن لم تكن أشهرها على الإطلاق.. فبرغم شهرة ابن الفارض وديوانه الشعرى[(١)]، فإن (التائية الكبرى) حظيت دوما بشهرة خاصة، باعتبارها التصوير الأتم للتصوف. ليس عند ابن الفارض وحده، وإنما عند صوفية الحقبة التى عاش فيها هذا الشاعر الصوفى المصرى الكبير.

وتقع هذه القصيدة فى ٧٦١ بيتا (من بحر الطويل) يقول البيت الأول منها:

سَقَتْنِى حُمَيَّا الحُبِّ رَاحَةُ مُقْلَتِى

وَكَأسِى مُحَيًّا مَنْ عَنِ الحُسْنِ جَلَّتِ[(٢)]

ونظرا لعمق المعانى الصوفية التى أوردها ابن الفارض عبر أبيات التائية الكبرى، فقد أشفق بعض الشراح من الخوض فى بيان مقاصدها. يقول البورينى فى مقدمة شرحه لديوان ابن الفارض: «وقد استوفيت شرح كلامه واستوعبت نظام بيانه،

---

(١) دونما إسهاب فى ذكر القائمة الطويلة من المراجع الخاصة بابن الفارض وديوانه الصوفى، يمكن الإشارة إلى كتابين للدكتور/ محمد مصطفى حلمى، هما أفضل ما كُتب فى ذلك:
- ابن الفارض سلطان العاشقين (الهيئة المصرية العامة - أعلام العرب).
- ابن الفارض، والحب الإلهى (دار المعارف بمصر).

(٢) ابن الفارض: الديوان تحقيق (د/ عبد الخالق محمود) ص ٨٣.

ما عدا التائية الكبرى، فإنى أوضحت فى عدم شرحها عذرا، لكونها فى بيان الدقائق الصوفية وفى إيضاح الرقائق المعنوية[1]». وهذا الإشفاق نجده أيضا عند العلمى الذى شرح الديوان، وأحجم عن التائية[2].

لكن الكثيرين من المتصوفة تناولوا القصيدة بالشرح والتأويل، فإذا كان أهل اللغة يشفقون من ذلك، فإن أهل التصوف يجدون بين أبياتها مستراحا لأفكارهم ومتنفسا لأحوالهم.. ولذا حظيت القصيدة بهذه الشروح:

- شرح الكاسانى الفرغانى، المتوفى ٦٦٩ هجرية.. بعنوان: منتهى المدارك.
- شرح عبد الرازق القاشانى، المتوفى ٧٣٠ هجرية.. بعنوان: كشف الوجوه الغر لمعانى نظم الدر.
- شرح السراج الهندى، المتوفى ٧٧٣ هجرية.
- شرح شمس الدين البساطى المالكى.
- شرح جلال الدين القزوينى الشافعى.
- شرح داود القيصرى، المتوفى ٧٥١ هجرية.
- شرح صدرالدين الأصفهانى، المتوفى ٨٣٦ هجرية.
- شرح ابن حجر العسقلانى، المتوفى ٨٥٢ هجرية.
- شرح علوان الحموى الهيتى، المتوفى ٩٢٢ هجرية.. بعنوان: مدد الفائض والكشف العارض.
- شرح عبد الرؤوف المناوى، المتوفى ١٠٢٢ هجرية.
- شرح أمير بادشاه، كتبه سنة ١٠٣٤ هجرية.
- شرح إسماعيل الأنقروى المولوى، المتوفى ١٠٤٢ هجرية[3].

---

(١) البورينى: مقدمة شرح الديوان ص ١٩.

(٢) انظر النابلسى: كشف السر الغامض فى شرح ديوان ابن الفارض ١/ ٤.

(٣) انظر: كشف الظنون ٢/ ٨٦ - ابن الفارض والحب الإلهى ص ٩٤.

وإلى جانب هذه الشروح يأتى شرح عفيف الدين التلمسانى، لتنتظم جميعا فى عقد واحد يعبر عن عناية الصوفية بهذه التائية الكبرى، كما يعبر عن المحاولة الدائبة لإظهار غوامض أفكار ابن الفارض وبيان المواطن العميقة المعنى فى قصيدته.. ومن شرح العفيف التلمسانى، نجد المخطوطات التالية:

- نسخة بالسليمانية (قسم شهيد على) برقم ١٢٧٥.
- نسخة بدار الكتب المصرية (قسم طلعت) برقم ١٣٢٨/ تصوف.
- نسخة بدار الكتب المصرية (قسم حليم) برقم ١/ فلسفة.
- نسخة بدار الكتب المصرية (رصيد عام) برقم ٢٤١٥/ و
- نسخة بدار الكتب المصرية (رصيد عام) برقم ١٦٨/ م.
- نسخة بدار الكتب المصرية (رصيد عام) برقم ٩٠١/ حكمة وفلسفة.

وأخيرًا، فمن لطائف ما يروى من التائية الكبرى، ما ذكره سبط ابن الفارض فى مقدمته للديوان حين يقول: إن شيخا من معاصرى ابن الفارض جاء يستأذنه فى شرح القصيدة، فسأله ابن الفارض: فى كم مجلد يقع شرحك؟ قال الشيخ: فى مجلدين.. فابتسم ابن الفارض وقال: لو شئت لشرحت كل بيت فى مجلدين[1].

(٤) شرح فصوص الحكم

يبدو أن العفيف التلمسانى كان يتعقب كل الكتابات الصوفية الغامضة بالشرح والتأويل.. فها هو يقف أمام واحد من أكثر كتابات الشيخ الأكبر (محيى الدين بن عربى المتوفى ٦٣٨)[2] تعقيدا وإيغالا فى الرمزية، فيتناوله بالشرح والتأويل.

---

(١) سبط ابن الفارض: ديباجة الديوان (تحقيق د/ عبد الخالق محمود) ص ٢٧.

(٢) انظر ترجماته فى: الذيل على الروضتين ١٧٠ - نفخ الطيب ٧/ ٩٠، ١٦١ - الوافى ٤/ ١٧٣ - البداية والنهاية ١٣/ ١٥٦ - فوات الوفيات ٢/ ٢٤١ - لسان الميزان ٥/ ٣١١ - النجوم الزاهرة ٦/ ٣٣٩ - مرآة الجنان ٤/ ١٠٠ - ميزان الاعتدال ٣/ ١٠٨ - شذرات الذهب ٥/ ١٩٠ - طبقات المفسرين للسيوطى ٣٨ - كشف الظنون (عدة مواضع تبدأ من ص ١٤ إلى ص ٢٠١٢) - إيضاح المكنون (عدة مواضع =

ـ نسخة بمكتبة بايزيد (قسم ولى الدين) برقم ١٧٥١، تقع فى ٢٨٨ ورقة، كتبت بتاريخ ٩٠٥ هجرية.

ـ نسخة بالسليمانية (قسم حاجى محمد) برقم ٢٦٥٤، عدد صفحاتها ٢٩٦.

ـ نسخة بمكتبة سليم أغا، برقم ٥١١، عدد صفحاتها ٣٤٠.

ـ نسخة بدار الكتب المصرية، برقم ٣٩٠/ ن ح (الكتبخانة الخديوية).

(٥) شرح القصيدة العينية

وهو شرح على قصيدة الشيخ الرئيس أبى على (ابن سينا)[١] التى تتناول موضوع النفس الإنسانية تناولا صوفيا قريب الصلة بمذهب أفلاطون وفلاسفة الإسكندرية. وتقع عينية ابن سينا فى عشرين بيتا (من بحر الكامل) يقول مطلعها:

هَبَطَتْ إلَيْكَ مِنَ المَحَلِّ الأَرْفَعِ
وَرْقَاءُ ذَاتُ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعِ[٢]

وكما هو الحال فى المؤلفات الأربعة السابقة، حظيت القصيدة العينية باهتمام الشراح، حتى إن شروحها لا تكاد تقع تحت الحصر! ففى دار الكتب المصرية وحدها عشرات المخطوطات من الشروح المختلفة لهذه القصيدة[٣].

وقد جعل العفيف التلمسانى لشرحه على القصيدة عنوان (الكشف والبيان فى معرفة علم الإنسان) وهو العنوان الذى أربك بعض المفهرسين ـ كالبغدادى[٤] ـ فذكروا (الكشف والبيان) و(شرح القصيدة العينية) وكأنهما مؤلفان مستقلان. ومن مخطوطات الكتاب:

---

(١) بخصوص ابن سينا يمكن الرجوع إلى: الكتاب الذهبى للمهرجان الألفى لابن سينا، تصدير د/ أحمد أمين ـ ترجمة ابن سينا لتلميذه ابن زيلة. طبعة حجر (حيدر آباد ـ الهند).

(٢) ابن سينا: الديوان (تحقيق د/ حسين محفوظ ـ طهران) ص ١٩.

(٣) من شراح العينية: محيى الدين بن عربى ـ الشاهرودى البسطامى ـ عبد الرءوف المناوى ـ مصطفى بن حسام الدين.. وغيرهم الكثير.

(٤) البغدادى: هدية العارفين ١/ ٤٠٠.

- نسختان ذكرهما بروكلمان برقمى 35 '455 S.S .

- نسخة بالظاهرية، برقم ٦٦٤٨ عام، عنوانها (كتاب الكشف والبيان فى علم معرفة الإنسان، شرح عينية ابن سينا) وهى مجهولة المؤلف!

- نسخة بدارالكتب المصرية برقم ٢٤١٥، وعنوانها (كتاب الكشف والبيان. .) يليها (الدر النفيس فى شرح قصيدة الشيخ الرئيس) وقد نسبتها الفهارس إلى الشيخ على الشاه رودى.

(٦) شرح الأسماء الحسنى

اعتاد كبار المتصوفة وضع الشروح على الأسماء الحسنى، التى ورد فى شأنها قوله صلى الله عليه وسلم (لله تعالى تسعة وتسعون اسما، من أحصاها دخل الجنة)[١] ومن البدهى أن شروح المتصوفة لهذه الأسماء الإلهية تختلف عن شروح غيرهم، فهم - خاصة المتأخرين منهم - مولعون بتناول آثار تجليات هذه الأسماء فى الكون، على النحو الذى يعطيه مشهد الوحدة. . حيث لا موجود سوى الله، وحيث كل الكون آثار لتجليات أسمائه وصفاته تعالى.

وعلى الرغم من ورود (شرح أسماء الله الحسنى) كواحد من مؤلفات التلمسانى عند معظم المترجمين والمفهرسين له[٢]، إلا أننا لم نجد غير نسخة خطية وحيدة من هذا الكتاب، محفوظة بالسليمانية (قسم لالولى) تحت رقم ١٥٥٦، وهى نسخة كتبت بتاريخ ٧٩٤ هجرية: تقع فى ٢٥٤ ورقة.

(٧) رسالة فى علم العروض

ليس من المستغرب أن يكتب التلمسانى، وهو الشاعر الكبير، هذه الرسالة فى

---

(١) أخرجه البخارى فى التوحيد ١٢ وشروط الإيمان ١٨ - والترمذى فى الدعوات ٨٣ - وابن حنبل فى المسند ٢/ ٢٥٨، ٢٦٧، ٣١٤، ٤٢٧، ٤٩٩، ٥٠٣، ٥١٦.

(٢) انظر: هدية العارفين ١/ ٤٠٠ - الأعلام ٣/ ١٩٣ - معجم المؤلفين ٤/ ٢٧٠ - كشف الظنون ٨٠٢ - إيضاح المكنون ٢/ ٢٣٢ - تاريخ الأدب العربى د/ عمر فروخ ٣/ ٦٥٦.

علم العروض . . لكن الغريب أن كرنكوف في مقالته على التلمساني بدائرة المعارف الإسلامية ، يقول إنها : الأثر الوحيد الباقي من مؤلفات التلمساني[١] .

وقد أشار كرنكوف إلى نسخة مخطوطة من هذه الرسالة العروضية ، محفوظة ببرلين تحت رقم ٧١٢٨ .

* * *

ويذكر بروكلمان للتلمساني مؤلفا بعنوان (المقامات) مشيرا إلى نسختين مخطوطتين منه بالموصل ـ تحت رقمي ١٣٦ ، ٢٣٦ ـ[٢] وهما على الأرجح نسختان من شرح التلمساني على مواقف النفري .

وفي دار الكتب المصرية ، مخطوطة محفوظة تحت رقم ٥١١ شعر/ طلعت ، وهي عبارة عن شرح لقصيدة البردة ـ ناقص من أوله ـ مكتوب عليها أنها لابن العفيف التلمساني . . وهي نسبة تدور حولها شكوك كثيرة ؛ إذ إن مؤلف البردة (محمد بن سعيد الصنهاجي الدلاصي ، المعروف بالبوصيري)[٣] توفي على أرجح التواريخ ، سنة ٦٩٤ هجرية ، أي بعد وفاة التلمساني بسنوات قليلة ، ولا نعتقد أن شهرة البوصيري السكندري كانت آنذاك قد وصلت إلى التلمساني نزيل دمشق ، ولم تكن قصيدته (من البسيط) التي يقول مطلعها :

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ
مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

نقول ، لم تكن هذه القصيدة قد بلغت من الشهرة آنذاك ما يؤهلها لشرح

---

(١) كرنكوف : مادة التلمساني بدائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) ٥/ ٤٦٣ .

(٢) Brockelmann 4583.

(٣) انظر ترجمة البوصيري في الوافي ٣/ ١٠٥ ـ شذرات الذهب ٥/ ٤٣٢ ـ كشف الظنون ١٣٣١ ، ١٣٤٩ ـ هدية العارفين ٢/ ١٣٨ ـ معجم المؤلفين ١٠/ ٢٨ ـ مادة (بوصيري) بدائرة المعارف الإسلامية ـ Brockl ... 472.
كما يمكن الرجوع إلى بحث الأستاذ عبد العليم القباني : الإمام البوصيري (الإسكندرية ١٩٦٥م .

التلمساني، خاصة أنها لا تتميز بتلك الخصائص التي نجدها في الأعمال التي شرحها التلمساني.. أعني، لا تتميز بالغموض! وبالإضافة لذلك، فإننا لا نجد واحدا من المفهرسين والمترجمين للتلمساني يذكر له هذا الشرح على البردة.

وبعد.. فإن للعفيف التلمساني، بالإضافة إلى ما ذكرناه من مؤلفات، ديوانه الشعري.

الديوان

يعتبر ديوان التلمساني هو أكثر أعماله تعبيرا عن شخصيته، وآفاق تصوفه. فإذا كانت سائر مؤلفات التلمساني - باستثناء رسالته في العروض - هي شروح على ماكتبه السابقون عليه، فإن هذا الديوان هو المؤلف المستقل الذي لم يتقيد فيه العفيف بعبارة غيره، بل انطلق بحسه الشعري المرهف، ليعبر عما يراه هو من حقائق المحبة، وغيرها من ملامح الطريق الصوفي.

والديوان هو أشهر مؤلفات التلمساني على الإطلاق، ولا توجد شكوك في نسبته له؛ إذ ذكره معظم المترجمين والمفهرسين للتلمساني[1]، واقتبس منه المؤرخون أبياتا كثيرة، نالت شهرة واسعة في حياة التلمساني وبعد وفاته.. وإن تضاربت حول جودتها الآراء!

---

(١) هناك ترجمات للتلمساني، وإشارات لديوانه، بالمصادر الآتية:
البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٣٢٦ - تاريخ الإسلام للذهبي (المجلد الأخير) - النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٨/ ٢٩ - المنهل الصافي لابن تغري بردي (المجلد السادس) - فوات الوفيات ١/ ١٧٨ - مرآة الجنان للذهبي ٤/ ٢١٦ - أعيان الشيعة للعاملي ٣٥/ ٣٦٠ - النهر الماد من البحر لأبي حيان الأندلسي ٣/ ٤٤٨ - العبر في خبر من غبر للذهبي ٥/ ٣٦٧ - نفحات الأنس لعبد الرحمن جامي ص ٦٦٧ - آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ٣/ ١٣٠ - الأعلام للزركلي ٣/ ١٩٣ - هدية العارفين للبغدادي ١/ ٤٠٠ - إيضاح المكنون للبغدادي ٢/ ٤٣٢ - كشف الظنون لحاجي خليفة ٢٢٦، ٨٠٢، ١٠٣٤، ١٨٢٩، ١٨٩١، - معجم المؤلفين لعمر كحالة ٤/ ٢٧٠ - تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ ٣/ ٦٥٦ - Ahlwardt 42 - مقدمة ابن خلدون ص ٣٩٤ - تاريخ ابن خلدون ٢/ ٤١٦ - مجموعة الرسائل لابن تيمية ١/ ٦٧ - الفلاكة والمفلوكون (مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٢٣٤ أدب/ تيمور، ص ٧٢) الكواكب الدرية في طبقات الصوفية (مخطوط دار الكتب رقم ٢٦٠/ تاريخ ورقة ٢٣١ب).
Balencia: History dela Litterture Arabiga294 Brockelmann458

ومن الآراء المتضاربة حول شعر التلمسانى، قول الدكتور عمر فروخ: أما شعره فسهل ينوء أحيانا بالضعف(١) . . فى حين يقول ابن العماد: وأما شعره ففى الذروة العليا من البلاغة(٢) . . ويقول ابن شاكر: وشعره جيد إلى الغاية(٣) . . وهو ما نجده أيضا عن ابن تغرى بردى حين يصف التلمسانى بأنه: من الشعراء المجيدين(٤) . عموما، فإن إصدار الحكم على جودة الشعر غالبا ما يخضع لمعايير مختلفة، وذلك - كما يقول الآمدى(٥) - لاختلاف أذواق الناس وقدر قبولهم لشاعر دون آخر . . لذا، فإن قيمة شعر التلمسانى لن تظهر لنا، إلا بعد مطالعة ديوانه؛ وبعد تحديد موقع هذه المطالعة من أذواقنا .

وديوان التلمسانى - فى معظمه - يدور حول تلك الأفكار الصوفية التى ظهرت عند ابن عربى وابن سبعين، وأتباعهما . . وقد كانت لنا وقفات هامشية كثيرة فى تحقيق الديوان، لإيضاح مراد التلمسانى من هذه الدقائق الصوفية التى قد يغيب مفهومها عن القارئ البعيد عن ميدان التصوف . لكننا هنا نود الوقوف عند أهم فكرتين فى الديوان، إذ أوقف العفيف التلمسانى أغلب أشعاره على تصويرهما . . وهما: الوحدة، المحبة .

الوحـــدة

تكررت إشارات التلمسانى إلى فكرة الوحدة بمفهومها الصوفى . . وهذه الفكرة تقول - ببساطة شديدة - إنه لا موجود على الحقيقة إلا الله تعالى، وإنه إذا قرن وجود المخلوقات بالوجود الإلهى، تلاشى الوجود الخلقى تماما، ولم يبق إلا: الله فقط .

والصوفية يستندون فى قولهم بهذه الوحدة الإلهية، التى تتلاشى معها كل مظاهر الوجود، إلى أمرين . . الأول: تأويلهم لبعض آيات القرآن الكريم مثل:

---

(١) د/ عمر فروخ: تاريخ الأدب العربى (دار العلم للملايين - بيروت) ٣/ ٦٥٦ .
(٢) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب (دار المسيرة - بيروت) ٥/ ٤١٢ .
(٣) ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات، تحقيق د/ إحسان عباس (دار الثقافة - بيروت) ٢/ ٧٦ .
(٤) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ٧/ ٣٠ .
(٥) الآمدى: الموازنة بين أبى تمام والبحترى (بيروت) المجلد الأول ص ٦ .

﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ (الحديد : ٣) . . . ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥) . . ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ (الأحقاف : ٣) والأمر الثانى : شهودهم فى لحظات الفناء أنه لا موجود إلا الله ، وما سواه لا يمكن أن يقال له (موجود) إلا على سبيل المجاز .

ومعارضو الصوفية يطلقون على هذه الفكرة اسم (وحدة الوجود) ويعدونها ضربا من الشرك بالله ، إذ لا تفرقة ـ كما يقول ابن تيمية ـ بين الوجود والثبوت ، والإطلاق والتعيين[(١)] . . وهذا يعد عندهم : قولا بحلول الله فى الموجودات ، وتأليه المخلوقات .

أما مؤيدو الصوفية ، فيعتبرون ذلك (وحدة شهود) وأنه حال مؤقت لصفوة أهل الفناء فى الله ، وذلك ـ كما يقول عبد الكريم الجيلى ـ نوع من معرفة تجليات الحق تعالى ، وظهور أسمائه وصفاته فى الكون ، فيرجع إليه الوجود المنسوب إلى المخلوق ، والوجود المنسوب إليه ، فيكون له تعالى : الوجود جميعه . . وهذا حقيقة التوحيد[(٢)] .

وعلى الرغم من أننا قد سبق أن أفردنا لموضوع (الوحدة) عدة أبواب وفصول فى مؤلفات أخرى[(٣)] : إلا أننا نرى الجدال بين الصوفية والفقهاء بصددها لا طائل تحته ، فكل فريق منهما لديه من الحجج ما يكفى لاتهام الفريق الآخر إما بالكفر وإما بقصَر النظر ـ وكل فريق يدعم موقفه بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة . . وكل فريق بما لديهم فرحون! وعلى الحقيقة ، فإن كانت (الوحدة) مشهدا ذوقيا موقوفا على الخاصة من أهل الله ـ كما يقول الصوفية ـ فقد كان الواجب على أهل التصوف أن يحجموا عن تفصيل القول فى هذا المشهد الذوقى ، باعتباره كشفا غير مشاع . . وهذا ما لم يفعله التلمسانى فى ديوانه!

---

(١) ابن تيمية : رسالة فى إبطال وحدة الوجود (مجموعة الرسائل والمسائل ، المجلد الأول) ص ٨١ .

(٢) عبد الكريم الجيلى : حقيقة الحقائق (دار الرسالة ـ القاهرة) ص ٥ .

انظر : يوسف زيدان : الفكر الصوفى (دارالنهضة العربية ـ بيروت) الباب الثالث ص ١٥٥ : ٢١٧ .

(٣) يوسف زيدان : عبد الكريم الجيلى فيلسوف الصوفية (الهيئة المصرية العامة ـ أعلام العرب) الفصل السابع ص ١٤١ : ١٦٤ .

المحبة

المحبة عند الصوفية، هى العلاقة الكبرى فى الطريق إلى الله. وهى فى مفهومها الصوفى: تفريغ القلب من التعلق بشىء سوى محبة الخالق عز وجل، والقيام بواجب محبته من عبادة وزهد وتقرب بفضائل الأعمال، والشوق إلى لقاء الله والوحشة من الدنيا.

ولا يختلف الصوفية والفقهاء حول وجوب محبة العبد لربه وحب الله لعباده، فقد وردت فى ذلك عدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية. لكن الصوفية حلَّقوا بأجنحة المحبة فى سماء الشوق إلى الله، حتى كانت أحوالهم فى مجملها: آيات حب بليغة.

ولا يكاد تراث واحد من الصوفية يخلو من حديث المحبة، سواء كان ذلك نثرا أو شعرا، ولم تكن أبيات التلمسانى الكثيرة فى المحبة خروجا على الإجماع الصوفى.. وإن كان فى أبيات المحبة عند التلمسانى إشكال كبير.

وعلى الرغم من أن أشعار التلمسانى تكتسى بطابع الرمزية الذى يتميز به الشعر الصوفى، حيث نجد (ليلى، لبنى، سلمى.. وغيرهن) هن محض إشارات إلى جمال الذات الإلهية، ومحض رموز يعبر بها الشاعر الصوفى عن استهلاكه فى محبة الله.. إلا أن الإشكال يكمن عند التلمسانى فى بضعة أبيات ـ قليلة جدا ـ لا يمكن حملها على جانب الرمز والإشارة الصوفية. يقول التلمسانى (من الطويل):

كَأَنَّ عِذَارَ مَنْ أُحِبُّ بِخَدِّهِ
رِضَاهُ، وَفِيهِ بَعْضُ آثَارِ صَدِّهِ

رَشِيقُ التَّثَنِّى رَاشِقُ الجَفْنِ فَاتِكٌ
جُيُوشُ الهَوَى مِنْ تَحْتِ رَايَةِ قَصْدِهِ

يُكَلِّفُ رِدْفَيْهِ مِنَ الثِّقْلِ مِثْلَ مَا
يُكَلِّفُ مِنْ ثُقْلِ الهَوَى قَلْبَ عَبْدِهِ

يَمُوجُ غَدِيرٌ تَحْتَ غُصْنِ قَوَامِهِ
وَثُعْبَانُ ذَاكَ الشَّعْرِ ظَامٍ لِوِرْدِهِ

إن هذه الأبيات الأربعة، من مقطوعة شعرية بديوان التلمسانى عددها خمسة عشر بيتا، فهل يمكن بحال أن نتأولها على المحبة بالمعنى الصوفى، مع هذه الحسية الواضحة فى التصوير، خاصة هذا الحديث عن ثقل الأرداف!

وهنا إشكالُ مماثلُ لذلك، تعرَّض الدكتور محمد مصطفى حلمى، أثناء دراسته للحب الإلهى عند ابن الفارض، فقد وجد ابن الفارض يقول فى أبيات شبيهة بأبيات التلمسانى (دوبيت)[1].

أَهْوَاهُ مُهَفْهَفًا ثَقِيلَ الرِّدْفِ
كَالبَدْرِ يَجِلُّ حُسْنُهُ عَنْ وَصْفِ
مَا أَحْسَنَ وَاوَ صُدْغِهِ حِينَ بَدَتْ
يَارَبِّ عَسَى تَكُونُ وَاوَ العَطْفِ[2]

وعبثا يحاول عبد الغنى النابلسى، المتوفى ١١٤٣ هجرية، أن يتأول البيتين فى شرحه المتعسف لهما، قائلا: إن «مهفهفا» تشير إلى «صورة التجلى الإلهى من حيث الأسماء الجمالية فى حقيقة الروح الأعظم» وإن «ثقيل الردف» تشير إلى «جميع العوالم المكتوبة بالقلم الأعلى فى اللوح المحفوظ الذى هو نفس العلم بالنور المحمدى».

وإذا كنا نتفق مع الدكتور حلمى فى تحفظه على شرح النابلسى[3].. فإننا نتفق معه أيضا فى تفسير هذه الأبيات الحسية عند ابن الفارض ـ وعند عفيف الدين التلمسانى من بعده ـ على النحو التالى.

---

(١) الدوبيت من فنون الشعر المعربة، نقل من الفارسية إلى العربية. ولفظ (دوبيت) معناه (بيتان) فلا يقال منه إلا بيتان بيتان فى أى معنى يريده الناظم.. انظر (ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب، للهاشمى ـ المطبعة التجارية بمصر ـ ص ١٤٥. ١٤٦).

(٢) ابن الفارض: الديوان، تحقيق د/ عبد الخالق محمود (دار المعارف ١٩٨٤) ص ٢١٥.

(٣) بخصوص شرح النابلسى وتعليق د/ محمد مصطفى حلمى، انظر: النابلسى: شرح ديوان ابن الفارض ٢/ ١٩٠.
د/ محمد مصطفى حلمى: ابن الفارض والحب الإلهى ص ١٥٤.

ليس هناك ما يمنع أن يكون الشاعر، قبل دخوله للطريق الصوفى، قد أحب حبا إنسانيا عبَّر عنه فى هذه الأبيات التى تحمل الطابع الحسى الفج، ثم انصرف الشاعر عن هذا الحب الزائل إلى المحبة الدائمة لله تعالى.. ولما جُمع شعره فى ديوان، ضُمت إليه هذه الأبيات التى أنشدها فى محبوبة إنسانية ذات أرداف! وإلا فإن هذى الصفات لا يمكن بوجه من الوجوه أن تشير إلى الذات الإلهية، مهما كان قدر الرمزية عند الشاعر الصوفى.

وأرانى ميَّالاً إلى تأكيد أن الحب الإنسانى الذى عبرت عنه أبيات ابن الفارض والتلمسانى الحسية، كان سابقا على دخولهما غمار التجربة الصوفية وإنشادهما شعر المحبة الإلهية، لأن المفترض فى المحبة الإلهية عند الصوفية أنها: لا تترك فى قلب المحب بقية لحب سواه عز وجل!

* * *

تلك هى أهم النقاط التى أردنا الوقوف عندها، قبل الولوج إلى أبيات العفيف التلمسانى التى نقدمها اليوم فى هذه الطبعة المحققة للديوان.

منهج تحقيق الديوان

نشير فيما يلى، إلى أهم خطوات منهج التحقيق النقدى، المتبع فى إخراج هذا الديوان :

الأصول المخطوطة

كانت الخطوة الأولى فى رحلة تحقيق الديوان، متمثلة فى البحث عن أكبر قدر من الأصول المخطوطة، لحصرها ومعرفة مواطن حفظها، ثم اختيار بعضها للاعتماد عليه فى التحقيق. وقد لاحظنا أن تلك الأصول المخطوطة كانت فى معظمها [مجموعات شعرية] أكثر منها [مخطوطات ديوان] فقد انفردت نسخ منها بأشعار لم ترد فى غيرها، وبدأت معظمها ببدايات مختلفة عن غيرها، واختلف كم القصائد بين مخطوطة وأخرى. وذلك كله يدل على أن ديوان التلمسانى قد جمع بعد وفاته.. وقد انتهى بحثنا إلى معرفة هذه الأصول المخطوطة :

- نسخة بمكتبة آصفية [برقم ١/ ٧٠٠] وهى النسخة التى أشار إليها بروكلمان[1].
- نسخة بالسليمانية، قسم أسعد أفندى [برقم ٣٩٤٣/ أدب صوفى] وتقع فى ١٨٨ ورقة.
- نسخة بالسليمانية، قسم أسعد أفندى [برقم ٢٧٥٧/ أدب صوفى] تقع فى ١٥٤ ورقة.
- نسخة بالسليمانية، قسم لالولى [برقم ١٧٥٥/ أدب صوفى] تقع فى ١٩٠ ورقة.

(1)Brockelmann: Giesheichte der Arabischen Litterur, LiedenII. 458= 16

- نسخة بالسليمانية، قسم آيا صوفيا [برقم ٣٩٤٣/ أدب صوفى] كتبت فى عهد السلطان محمود خان، تقع فى ١٨٩ ورقة.

- نسخة بالسليمانية، قسم خسرف باشا [برقم ١١٤٦] تقع فى ٢٠٠ ورقة.

- نسخة بمكتبة كوپريلى زاده [برقم ١٦٢٠/ ٩] وهى مجموعة من منتخبات شعرية أولها:

مَـادُونَ رَامَـةَ لِلمُـحِبِّ مَـرَامُ
سِـيـمَـا إذَا لاَحَتْ لَهُ الأَعْـلاَمُ

- نسخة بمكتبة آية الله الحكيم، النجف [برقم ٣٦٥] تقع فى ١٠٠ ورقة[1] أولها:

مَنَعَتْـهَـا الصِّـفَـاتُ وَالأَسْـمَـاءُ
أَن تُـرَى دُونَ بُـرْقُـعٍ أَسْـمَـاءُ

- نسخة بالظاهرية، دمشق [برقم ٤١٦٨/ شعر] كتبها محمد صادق بن أمين المالح سنة ١٣٢٧ هجرية أولها:

أَلَـمْ يَأْنِ أَنْ تُـرْوِى قُـلَيْبَ مُـتَـيَّمٍ
تَفِـيضُ مَـآقِـى جَـفْنِهِ وَهْوَ يَـظْمَـأُ

- نسخة بالظاهرية [برقم ٥٩١٧/ شعر] كتبت سنة ٩٩٨ هجرية أولها:

مَنَعَتْـهَـا الصِّـفَـاتُ وَالأَسْـمَـاءُ
أَنْ تُـرَى دُونَ بُـرْقُـعٍ أَسْـمَـاءُ

- نسخة بالظاهرية [برقم ٥٩٨٢/ شعر] بدون تاريخ، أولها:

نُفُـوسٌ نَفِـيـسَـاتٌ إلَى الحَىِّ حَنَّتِ
فَلَـمَّـا سَـقَـاهَـا الحُبُّ بِـالكَاسِ غَنَّتِ

---

(١) توجد من هذه المخطوطة صورة ميكروفيلمية بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

- نسخة بالظاهرية [برقم ٨٠٩٧/ شعر] بدون تاريخ، أولها:

يَقُولُ رَسُولُ اللهِ وَهْوَ الْمُصَدَّقُ
وَعَنْ عِلْمِ [الغَيْبِ] الإلَهِيِّ يَنْطِقُ

- نسخة بالمعهد الأحمدى، طنطا [برقم ١٠٦٤/ تصوف] كتبت بتاريخ ١٣١٧هـ، أولها:

مَنَعَتْهَا الصِّفَاتُ وَالأَسْمَاءُ
أن تُرَى دُون بُرْقُعِ أَسْمَاءُ

- نسخة بالاسكوريال، إسبانيا [برقم ٣٨٥].
- نسخة بدار الكتب المصرية [برقم ١٠٩٠شعر/ تيمور].
- نسخة بدار الكتب المصرية [برقم ١١٤٧شعر / تيمور].
- وكانت هذه النسخ الثلاث الأخيرة، هى نسخ التحقيق التى اعتمدنا عليها لاستخراج النص المحقق.

وصف نسخ التحقيق

لا تنتمى الأصول الثلاثة التى اعتمدنا عليها إلى أصل واحد، ولم تنسخ إحداها من الأخرى.. وقد بدأت مخطوطتان منها بترتيب القوافى ترتيبا هجائيا من الهمزة إلى الياء، وبدأت الثالثة بداية مختلفة ورتبت القوافى على غير النسق الوارد فى المخطوطتين السابقتين. وفيما يلى وصف النسخ:

نسخة أ

هى مخطوطة الاسكوريال رقم ٣٨٥/ أدب عربى، نسخة بقلم معتاد تقع فى ١٣٦ ورقة [الورقة صفحتان] مقاس الصفحة ١٤,٥ × ٢٠سم، بكل صفحة ما يقرب من عشرة أسطر شعرية[١].

(١) توجد من هذه المخطوطة صورة ميكروفيلمية بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

وعلى الورقة الأولى عنوان الديوان، وتملكات بها آثار شطب وطمس [انظر الصورة فيما يلى] وعلى الورقة الأخيرة: تم الديوان المبارك بمنِّ الله وحسن توفيقه. . نهار السبت خامس وعشرين من شهر جمادى الأولى أحد شهور سنة ٨٤٩هـ.

وهذه النسخة أفضل النسخ الثلاث من حيث وضوح الخط ودقة الناسخ، ويبدو أن الناسخ كان على علم بقواعد العروض، لأنه كان يضع عند الأبيات التى يراها مكسورة الوزن، علامة +. . وقد تعمد الناسخ تغيير بعض الكلمات ليضبط الأوزان بحسب اجتهاده! وقد عنى الناسخ بشكل كلمات الصفحة الأولى، ثم أهمل ذلك فى بقية الصفحات، وكان أحيانا يهمل نقط الحروف.

نسخة ب

وهى مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٠٩٠ شعر/ تيمور، نسخة لا بأس بها، بها خروم فى بعض المواضع، تقع فى ٥٠ صفحة مقاس ١٧,٥ × ٢٣سم، مزدحمة الأسطر، تحوى الصفحة الواحدة ثلاثين بيتا شعريا فى المتوسط العام.

وعلى الورقة الأولى، كُتب العنوان بخط باهت غير مقروء، وتحته ختم دار الكتب المصرية، وتملك مؤرخ بسنة ١٣١٥. وعلى الصفحة الأخيرة اسم الناسخ [عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى البخارى] وتاريخ النسخ [يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الأولى سنة ١١٤٤ هجرية].

وناسخ المخطوطة أمين فى نقله، حريص على شكل الكلمات ـ أحيانا كثيرة نجد الشكل غير صحيح ـ دقيق المراجعة. . وقد استبعد هذا الناسخ العديد من الأبيات التى بدت له غير واضحة المعنى!

نسخة جـ

وهى مخطوطة دار الكتب المصرية ١١٤٧ شعر/ تيمور، نسخة بقلم معتاد، واضحة، غير مشكولة، مقروءة فى معظم المواضع. تقع فى ١١٩ صفحة مقاس ١٤ × ٢٣سم، بالصفحة الواحدة ١٦ سطرا تقريبا.

وعلى الورقة الأولى عنوان الديوان، ثم يبدأ الناسخ فى الورقة الثانية بالبسملة ومن بعدها: «قال الشيخ العلامة العارف بالله المحقق عفيف الدين سليمان بن على التلمسانى رضى الله عنه ونفع به وجعلنا من أهل قربه بمحمد وحزبه» وهى ديباجة تشير إلى أن الناسخ من أهل التصوف.

وتحمل الصفحة الأخيرة اسم الناسخ [عبد الباقى الجزائرى الحسنى] وهو بحسب ما تذكر فهارس دار الكتب: صهر الأمير عبد القادر الجزائرى.. وقد ذكر الناسخ تاريخ النسخ: أواسط جمادى الأولى سنة ١٣٠٩ هجرية، وبذلك تكون النسخ الثلاث قد كتبت فى شهر جمادى الأولى.

وإذا كانت هذه النسخة هى أحدث النسخ الثلاث زمنا، فهى أيضا أقلها دقة واكتمالا. وقد خالفت النسختين السابقتين فى أنها لم ترتب الأشعار بحسب الترتيب الهجائى للقوافى.

المقابلة بين النسخ

لم يكن من الممكن اتخاذ واحدة من نسخ التحقيق [مخطوطة أصلية] واعتبار النسخ الباقية ثانوية ـ كما يحدث فى الكثير من الأعمال المحققة ـ إذ إن هذه النسخ جميعا، متأخرة عن عصر التلمسانى بزمن طويل. وإذا كانت النسخة [أ] أقدمها، فإن النسخة [ب] أدقها، والنسخة [جـ] تحتوى على أشعار لم ترد فى غيرها.

لذلك، كانت المقابلة بين النسخ المخطوطة تقوم على اعتبار أنها جميعا فى مرتبة واحدة من حيث الأهمية، فلم نقم بإصلاح نسخة منها على أساس أنها [المخطوطة الأم] وإنما قابلنا بينها جميعا، وغايتنا استخراج النص الشعرى كما وضعه التلمسانى.

عمل المحقّق

يمكن إيجاز العمل الذى قمنا به فى التحقيق، فيما يلى:

[١] اختيار الكلمة الصحيحة بعد المقابلة، والإشارة إلى ما رأينا أنه من خطأ النساخ

فى الهامش. وقد كان اختيارنا للكلمة الصواب يقوم على مراعاة الوزن العروضى، وطبيعة أسلوب التلمسانى، وحدود المصطلح الصوفى.

[٢] تشكيل الكلمات وضبطها ضبطا كاملا.

[٣] الفصل بين المقطوعات الشعرية بذكر البحور.

[٤] ترتيب المقطوعات وفقا لما ورد فى النسخة [أ] ثم ما ورد فى [ب]، [جـ] على التوالى.. وإذا اجتمعت النسخ الثلاث على ذكر المقطوعة الشعرية، لم نذكر ذلك فى الهامش، أما إذا انفردت إحدى النسخ بمجموعة أبيات، أشرنا فى الهامش إلى انفرادها بذلك.

[٥] ترقيم الأبيات حتى يسهل الرجوع إليها.

[٦] وضع علامة [م] عند كل تدوير يقع فى أحد الأبيات[1].

[٧] تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تشير إليها الأبيات.

[٨] شرح المفردات اللغوية والمصطلحات الصوفية، والتعليق على المواضع التى نراها غامضة فى مفهومها الصوفى[2].. أما ما يسمى فى البلاغة بمواطن الجمال، فقد آثرنا عدم الإشارة إليه كى لا نحرم القارئ من استكشاف هذه المواطن الجمالية.

[٩] قمنا بعمل فهارس للديوان: فهرس للآيات القرآنية ـ فهرس للأحاديث النبوية ـ فهرس للمفردات والمصطلحات الصوفية.

---

(١) التدوير فى العروض وفى الشعر، هو استكمال التفعيلة الأخيرة من الشطر الأول فى بداية الشطر الثانى.

(٢) فيما يتعلق بشرح المفردات اللغوية. كان أكثر اعتمادنا على [لسان العرب] لابن منظور، فى طبعته البيروتية التى أصدرتها [دار لسان العرب] بتصنيف يوسف خياط.. أما المصطلحات، فقد رجعنا بصددها إلى عدة مراجع منها: الرسالة القشيرية ـ اللمع للسراج الطوسى ـ التعرف للكلاباذى ـ اصطلاحات الصوفية لابن عربى ـ اصطلاحات الصوفية للقاشانى.

ملاحظات التحقيق

ظهرت لنا عند تحقيق الديوان بعض الملاحظات التى يمكن تلخيصها فيما يلى :

[١] كان النساخ كثيرا ما يتصرفون فى النص وفق ما يرونه صوابا، كما كانوا يستبعدون من الأبيات ما لا يوافق عليه كل واحد منهم! ولولا أن المقابلة تمت بين أصول مخطوطة لا تنتمى لأصل واحد، لكان النقص كبيرا فى الديوان .

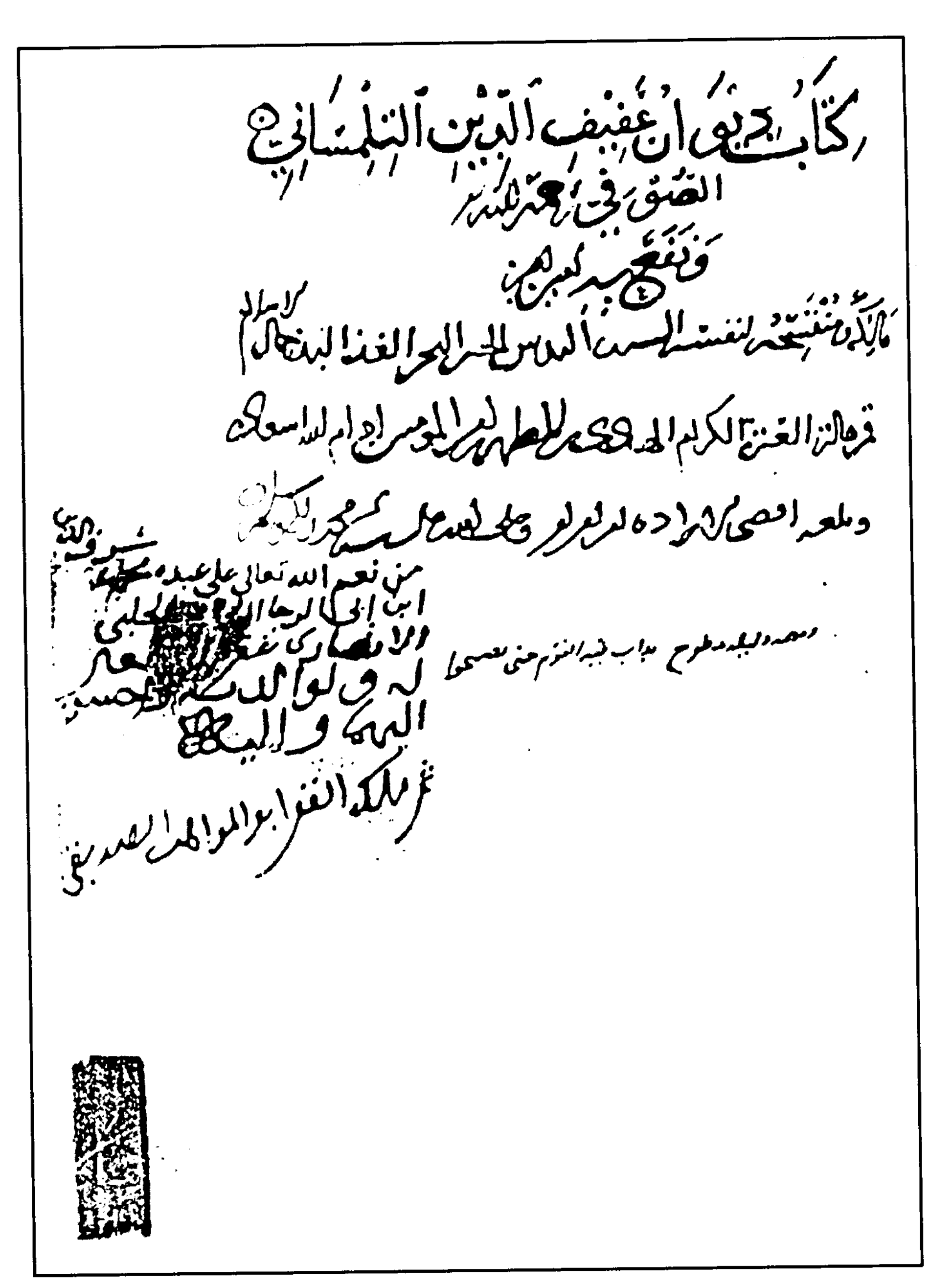
[٢] هناك بعض الأبيات التى تبدأ بحرف الروى نفسه، وقد انفردت النسخة [جـ] بها . . وسوف نجد هذه الأبيات عند نهاية قوافى كل حرف .

[٣] لم يخرج التلمسانى فى شعره عن الخصائص العامة لشعر الصوفية، وإنما أضاف إليها مذاقا خاصًا يتميز به .

[٤] يهوى التلمسانى فى أبياته : الإكثار من التضمين للآيات القرآنية ـ تعمد التقديم والتأخير فى الجملة الشعرية ـ استخدام أسماء البلدان كرموز، فنجد مصر تعنى الإصرار، وحران تشير إلى حر قلب المحب، وصفد تعنى الأصفاد . . إلخ، وقد أشرنا لذلك فى هوامش التحقيق .

* * *

وعلى الصفحات التالية، بعض النماذج من المخطوطات التى اعتمدنا عليها فى التحقيق، يليها ثبت بالرموز المستعملة فى هوامش الصفحات، ثم يأتى النص المحقق لديوان التلمسانى .


كتاب ديوان عفيف الدين التلمساني

مخطوطة [أ]

نسخة الاسكوريال رقم 385

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله

حرف الهمزة

منعتها الصفات والأسماء أن ترى دون برقع أسماء

قد حللنا بشعرها موهنا وهدتنا بها لها الأضواء

كيف شئنا من الظما نشتكي يا لقومي وفي الرحال الماء

لم تكلنا خيرنا من لوعة فما كان من شيد والسر دون البكاء

نحن قوم منا وذلك شرط في هواها فلتنشر الأحياء

وأقامت نفوسنا في حماها لا تبالي بها لبعض الصفاء

فالملبي إذا دعته بنا ويجيبونها بها الأصداء

يا أبا الخير ثم لك الخير بطرز منمق الفقر منك هذا العناء

مخطوطة [أ]

الصفحة الأولى

وبوجه لا تجلى الشمس غطاؤه على عمره الناظرون إن يجلاه

وأنت الذي يهدى للسائل جمة إذا أمرت الفى إليه غيد إماه

وردت إلى الغاني معاني سر أخذ لمعشوقها الوضع الذي إليه أحرز

تم الديوان المبارك من الله وحسن توفيقه

ولله الحمد كثيرا لكرمه واحسانه

الخميس خامس وعشرين من شهر

جمادى الأولى احد

شهور سنة ٩٦١

مالكه

على بن محمد العراقي ...

والصلوة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي الطيب

الطاهر الزكي وعلى آله الطيبين الطاهرين

مخطوطة [أ]

الصفحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي اسرى بعباده [illegible]
الى [illegible] الأسرار ورقاهم من حضيض [illegible]
أعنتهم في ميادين محبته فسابقوا اليه في أشرف مضمار [illegible]
سابقهم ولاحقهم قريب الوسن ولذيذ القرار واصلهم فهجروا
فيه الأوطان والديار وعمروا أوقاتهم [illegible] عن الرسوم والآثار
ونفروا من نفوسهم رغبة في نفيسهم فما أحسن ذلك النفار
[illegible] أفناهم بمشاهدة جماله الأشياء عن الأفكار فوجدوه واحدا [illegible]
[illegible] عن الأغيار فمنهم من أسكره فغيبه من ذلك
[illegible] منها ومنهم [illegible] فصرح وباح فعاقبه بالإنكار ومنهم من محاه ثم أثبته
[illegible] أولئك الأقدار بالإرادة لها إختيار ومنهم من رحمه ومنهم من حرمه فكل
عنده بمقدار هذا أسعده وهذا أشقى وهذا في الجنة وهذا في
النار وهذا تولاه [illegible] الدوام والإستمرار [illegible]
ما سمي الجبار [illegible] من إستغرق في محبته [illegible]
الأسرار فقال دعني وأي مختار [illegible]
[illegible] عند [illegible] أحمده حمدا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان
لظلوم كفار صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأبرار وتابعيه الأخيار
ما لمع البرق [illegible] الأمطار

[illegible] الصفات [illegible] أن [illegible]
قد ظللنا بشعرها وهو منها [illegible]

مخطوطة [ب]

نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٠٩٠ شعر/ تيمور

الصفحة الأولى

في خدك وردتان قد زكتا — من ذوق [illegible]
في قلبي جمرتان قد أوقدتا — نار لهيب
حلفتك بالإله عما أذنبتي — رفقا بكئيب
حيران يهيم بين جفا [illegible] — والأمر عجيب

لو كنت شربتها من الندمان — في حضرة ساقي دائم الإحسان
أفنتك بها عنك وأبقتك لها — في مشهد غيبة عن الأكوان

في ثغرك خمرتان قد حرمتا — من غير دليل
والعاشق ظمآن [illegible] — تشفيه [illegible]
عيناك وحاجبيك [illegible] — والمبسم [illegible]
أطلق برضاك في هواك أسرتا — حيران ذليل

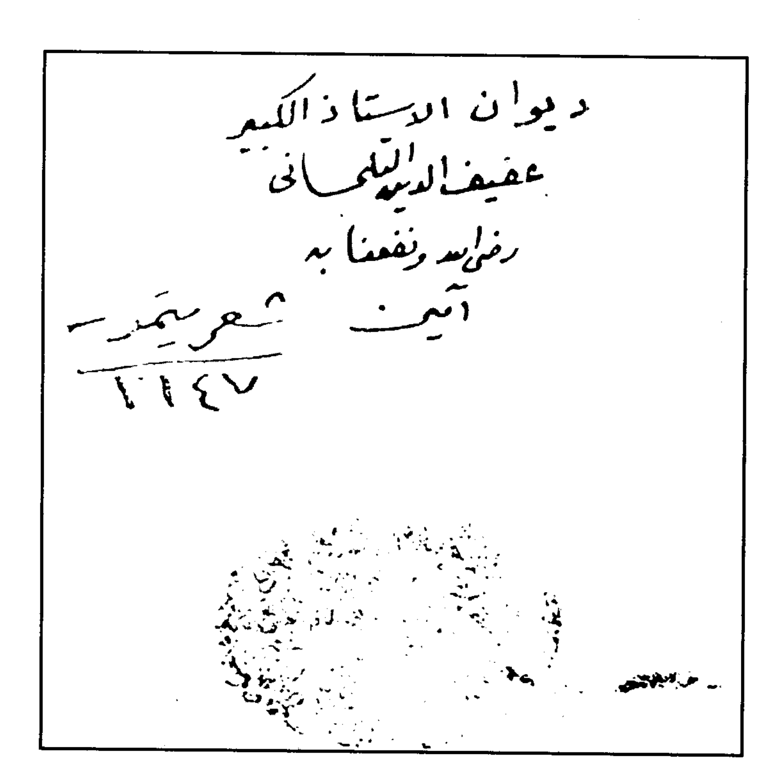
في طي سنا برق لمات العذب — أسرار هوى [illegible]
قد ألغزها [illegible] في ترجمة — لا تفهم بالرسل ولا بالكتب

الدهر [illegible] — والكون [illegible]
والملك لنا [illegible] — والعيش [illegible]

تم الديوان المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
على يد افقر عباد الله العبد الفقير [illegible]
[illegible] رحمة ربه [illegible] عثمان بن عبد
الرحمن بن يحيى [illegible]
غفر الله له ولوالديه
وللمسلمين
أجمعين
آمين
وصلى الله على سيدنا محمد [illegible] الى يوم الدين
والحمد لله وحده [illegible]

مخطوطة [ب]

الصفحة الأخيرة



ديوان الاستاذ الكبير
عفيف الدين التلمسانى
رضى الله ونفعنا به
آمين
شعر تيمور
١١٤٧

مخطوطة [ب]

نسخة دار الكتب المصرية رقم ١١٤٧ شعر/ تيمور

الصفحة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ العلامة العارف بالله المحقق عفيف
الدين سليمان بن علي التلمساني رضي الله عنه ونفع به
وجعلنا ربنا من اهل قربه بمحمد وحزبه

بقول رسول الله وهو المصدق ... وعن علم الغيب الذي ينطق
اتبعوا الهدى واهدوا الى الطاعة لنا ... ولا تفرقوا فيه ولا تتفرقوا
واختلاف فيه الكتاب منزل ... فبالعقل منه والفعال تخلقوا
ذلفت بذعه وهي غيب مقدس ... فيسبقني جبريل فيه واسبق
وقد كنت قبل الغيب فيه ممكنا ... فاوجبت مكاني الوجود المحقق
الا لا اب لولا بي كنت شائقي ... لها آخر الدنيا يوفى ويلحق
ولا اب والابنا مثل عيني وصورتي ... وبينهما الامر الذي يفرق
وذهبت بالثاني عن حجتي ... بحسني لعيني مبتدا تشوق
ونيرت نفسي في غرامي واشتهي ... ورق بتقييد الذي عند المطلق
ونهيت بانفاسي ليلي صبوة ... تزيد على ضوء النهار فتشرق
ليالي انس لم تزل ابدا بها ... على البيض من ايام دهري رونق

مخطوطة [جـ]

الصفحة الأولى

[illegible]

[illegible]

يقر لو بدما يشكو فاجحد حسنه ... وقد يفهم الاثبات من صيغة النفي

يبيت وحيى لوعة وطماعة ... وما الحب الا

يهابك هذا القلب اصمات حبه ... يبث لكم اليك ويستحي

يعلل بالسلوان بعدك نفسه ... وهيهات ما في الحي بعدك من حي

تمت على يد الفقير الى مولاه الغني

عبد الباقي الجزائري الحسني غفر الله

له ولوالديه ولاخوانه ولمحبيه

له ولهم بمنه وكرمه

في اواسط

جمادى الاولى

[illegible]

مخطوطة [جـ]

الصفحة الأخيرة

رموز التحقيق

أ مخطوطة الاسكوريال رقم 385 .

ب مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٠٩٠ شعر/ تيمور .

جـ مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١١٤٧ شعر/ تيمور .

.·. اتفاق الأصول المخطوطة .

= بيت شعر ساقط .

ـ كلمة ساقطة .

× بيت شعر فى غير موضعه .

+ كلمة فى الهامش .

( ) الأرقام، اختلافات الأصول والتعليقات .

الديوان

قافية الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

[بحر الخفيف]

١ مَنَعَتْهَا الصِّفَاتُ وَالأَسْمَاءُ
أَن تُرَى دُونَ بُرْقُعٍ أَسْمَاءُ[2]

قَدْ ضَلَلْنَا[3] بِشَعْرِهَا وَهْوَ مِنْهَا
وَهَدَتْنَا بِهَا لَهَا الأَضْوَاءُ

كَيْفَ بِتْنَا مِنَ الظَّمَا نَتَشَاكَى[4]
يَالَقَوْمِى[5] وَفِى الرِّحَالِ المَاءُ

كَمْ[6] بَكَيْنَا حُزْنًا بِمَنْ لَوْ عَرَفْنَا
كَانَ مِنْ شِدَّةِ السُّرُورِ البُكَاءُ

---

(١) أ : وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وحضرته وسلم، حرف الهمزة . ب : حرف الهمزة .

(٢) أسماء، معشوقة عربية يشير بها الصوفية إلى الذات الإلهية وتجلياتها فى الوجود (راجع مقدمة تحقيقنا لديوان عبد القادر الجيلانى) .

(٣) ج : ظللنا .

(٤) ب : نتشاكا .

(٥) ج : كيف كنا من الظما يالقومى!

(٦) = ب .

٥ نَحْنُ قَــومٌ مِــتْنَا وذَلِكَ شَــرطٌ
فِى هَوَاهَا[١] فَلْيَــيْـئس[٢] الأحْــيَــاءُ

وَأَقَــامَتْ نُفُــوسَنَا فِى حِــمَــاهَا
لا بِنَا بَلْ بِهَــا لِيَـصْـفُــو الصَّــفَــاءُ[٣]

فَــالـمُـلَـبِّى[٤] إِذَا دَعَـتْ هِى مِـنَّا
وَمُــجِــيــبُــوهَا بِهَــا الأَصْــدَاءُ

يَا أَبَا الخَــيْـرِ[٥] قُمْ لَكَ الخَـيْـرُ فَــاطْرِبْ[٦]
مَــسْــمَعَ الفَــقْـرِ[٧] مِنْكَ ذَاكَ[٨] الغِنَاءُ

لاتَفُتْ[٩] كَــاسَكَ الَّتى مِنْ لَـمَــاهَا[١٠]
هِى فِــيــهَــا تَنَافَسَ النُّـدَمَــاءُ[١١]

---

(١) الموت عند الصوفية شرط المحبة للخالق، وهم يقصدون بالموت معنىً رمزيا . . فهو موت رغبات النفس ومتطلباتها الحسية من جهة، وموت التعلق بما سوى الله من جهة أخرى.

(٢) أ: فلتيئس، ج: فليس.

(٣) الصفاء عند الصوفية، هو التوحيد الخالص الذى أقرت به كل الأرواح قبل خلق الأجساد. وهم يستدلون على ذلك بآية الميثاق «وإذ أخذ ربك . . » ويطلقون على هذا التوحيد الشهودى الخالص عدة اصطلاحات مثل: الصفاء، الصفاء الأول، توحيد الذر، فطرة بلى!

(٤) × ب.

(٥) المراد بأبى الخير هنا، منشد الأشعار فى مجالس الصوفى، فهو الذى تهيم الأوراح فى سماء معانى ألفاظه التى تحدو بالأرواح إلى بلاد الأفراح.

(٦) أ: يطرب، ب، ج: فطرب.

(٧) راجع ما سنقوله عن الفقر ـ بمفهومه الصوفى ـ فيما بعد.

(٨) أ: هذا.

(٩) وأرخ يا فتى أراجيف قلبى: من سواها ففى هواها الغناء.

(١٠) اللمى، سمرة الشفتين. . واللمياء من الشفاه، اللطيفة القليلة الدم (لسان العرب لابن منظور ـ بيروت ٣/ ٤٠٠).

(١١) غير واضحة فى أ.

لَمْ[1] أَقُلْ قَـدْ عَـدَتْـكَ كَـأْسُكَ لَـكِنْ[2]

رُبَّمَـا طَـوَّحَتْ بِكَ الـصَّـهْـبَـاءُ[3]

١٠ إِنَّمَـا يَـشْـرَبُ[4] التى تَـسْلُبُ[5] العَـقْلَ

نَدَامَـى[6] هُمُ[7] لَـهَـا أَكْـفَـاءُ

أَسْكَروُهَا بِهِمْ كَـمَـا أَسْكَـرَتْهُمْ

فِى أبْـتِـدَاهُـمْ بِهَـا[8] فَـتَمَّ الـوَفَـاءُ[9]

فَـجَـزَاءٌ مِنْـهَـا وَمِنْهُمْ وِفَـاقٌ

وَوِفَـاقٌ[10] مِنْـهَـا وَمِنْهُمْ جَـزَاءُ[11]

قَـدْ[12] تَسَـمَّتْ بِهِمْ وَلَيـسُـوا سِـوَاهُا

فَـالـمُـسَـمَّى أُولَـئِكَ الأَسْـمَـاءُ[13]

---

(١) ج : كم.

(٢) ب : لاكن.

(٣) الصهباء : الخمر التى عصرت من عنب أبيض (لسان ٢/ ٤٨٦).

(٤) ج : تشرب.

(٥) أ، ب : تشرب.

(٦) أ : ندما، ب : نداما.

(٧) ج : وهم.

(٨) أ : فى ابتداها، ج : فى ابتداء بهم.

(٩) السكر الوارد فى أول البيت، هو سكر الأرواح بخمرة قوله تعالى «ألست بربكم . . » والوفاء الوارد فى آخر البيت، هو الوفاء بالعهد والميثاق التوحيدى الذى شهدت به الأرواح فى عالم الذر بقولهم «بلى».

(١٠) + ج : وكذا.

(١١) التضمين من قوله تعالى : «جزاء وفاقا . . النبأ/ ٢٦».

(١٢) ج : تسمت.

(١٣) يشير التلمساني هنا إلى ما يعرف عند الصوفية بتجلى الأسماء الإلهية، وهى حالة من الترقى الصوفى، تكون بعد الفناء التام.

[البسيط]

١ شَهِدْتَ نَفْسَكَ فِينا وَهِى وَاحِدَةٌ
كَثِيرَةٌ ذَاتُ أَوْصَافٍ وَأَسْمَاءِ

وَنَحْنُ فِيكَ شَهِدْنَا بَعْدَ كَثْرَتِنَا
عَيْنًا بِهَا اتَّحَدَ[١] المَرْئِىُّ والرَّائِى[٢]

فَأَوَّلٌ أَنْتَ مِنْ قَبْلِ الظُّهُورِ لَنَا
وَآخِرٌ أَنْتَ عِنْدَ[٣] النَّازِحِ النَّائِى

وَبَاطِنٌ فِى شُهُودِ العَيْنِ[٤] وَاحِدُهُ
وَظَاهِرٌ[٥] لامْتِيَازَاتٍ[٦] بِأَسْمَاءِ[٧]

٥ أَنْتَ المُلَقِّنُ سِرًا لاَ أَفُوهُ[٨] بِهِ
وأَنْتَ نُطْقِى وَالمُصْغِى لِنَجْوَائِى[٩]

---

(١) ب: عين بها تجد.

(٢) ج: بالرائى.

(٣) ب: عند عود.

(٤) ب: الغيب.

(٥) الإشارة هنا لقوله تعالى: هوالأول والآخر والظاهر والباطن.. (الحديد: ٣).

(٦) ج: لا ماراة!

(٧) أ: لايدا.

(٨) أ، ج: سرى ما أفوه.

(٩) لهذا البيت أبعاده الصوفية ودلالاته الذوقية البعيدة، وأكثر هذه الدلالات بساطة، هو أن المراد بتلقيه السر (ما علمه الله لآدم ولم يعلمه للملائكة) والمراد بكون الإنسان نطق الله، كونه قارئا وتاليا للقرآن (كلام الله) وكونه المخصوص بالنجوى والوحى الإلهى.

[الخفيف]

١ خُــذْ لوَجْــدِى مِنْ ذَمَّــةِ البُــرَحَــاء(١)
وَأَجِــرْنِــى مِنْ لَـوْعَــــتِــى وَعَـنَائِــى
يَا أَمِــــيــــرًا عَـلَى الـمِــــلاَحِ وَقَـلْبِــى
أَبَـدًا خَــــافِـق(٢) لَـهُ كَــــالـلِّـواءِ(٣)
وَبِـنَجْــــدٍ عُــــرْبٌ نُزُولٌ أَضَــــاعُــــوا
لِـلــمُــــحِــــبِـينَ ذِمَّــــةَ النُّـزَلاَءِ
ضَــرَبُوا خَـيْـمَـةَ الـمَلِـيـحَــةِ فِى الرَّوْضِ
وَأَجْــرَوْا أَنْهَــارَهَـا(٤) مِنْ بُـكَائِـى(٥)
٥ وَدَعُــوا لِلعَــقِــيقِ دَمْــعِى وَمِـنْ أَيْنَ [م]
لِدَمْــــعِى الـعَــقِــيقَ لَولاَ دِمَــــائِى
فَـهُمُ، لا عَـدِمْـتَـهُمْ، أَطْـلَقُـوا الدَّمْعَ [م]
وَقَـلْبِـى فِــــيــــهِـمْ مِنَ الأُسَـــــرَاءِ
فِى العُــيُـونِ الـمَـرِيضَــةِ الجَــفْنِ سُقْــمِى
يَـالقَــــوْمِـى ـ وَعِـنْدَهُــنَّ شِــــفَـــائِـى

---

(١) البرحاء فى اللغة، الشدة والمشقة، وهى أيضا شدة الحمى (لسان العرب ١ / ١٨٦) والمراد بها هنا: فرط المحبة لله والشوق إليه.
(٢) ب، ج: خافقا.
(٣) اللواء: الراية.
(٤) ج: نهاره
(٥) ب: بكاء.

وَلِظَبْىِ الحِـــمَى[1] إشَـــارَةُ وَجْـــدِى
حِينَ أُكْنِى عَنْ ظَبْيـــةِ[2] الوَعْـــسَـاءِ[3]

[الطويل]

أَلَمْ[4] يَـأنِ أَنْ تَرْوِى قُـلَيْبَ مُـــتَـــيَّـمٍ
تَفِــيضُ أَمَـــاقِى جَـــفْنِهِ وَهْـوَ يَظْمَـــأُ ١

أَصَـــابَتْهُ عَـــيْنٌ أَغْـمَـــدَتْ نَصْلَ فَـصْلِه[5]
وَقَلْـبُ الهَـــوَى مَنْ كَـــانَ قَلْبٌ مُـــرَزَّأُ[6]

أُحِبُّ حَـــبِـيـــبًـا لاَ أُسَـــمِّـيــه هَيْـبَـةً
وَكَـــتْمُ الـهَـــوَى لـلِقَـلْبِ أَنْكَى وَأَنْكأُ

أخَـــافُ عَلَـيْـــــهِ مِـنْ هَوَاىَ فَكَيْـفَ لا
أَغَـــارُ عَلَـيْـــــهِ مِنْ سِـــوَاىَ وَأَبْـرأُ

٥ أبِيـتُ أُعَـــانِى فِــيـــهِ حَـــرَّ جَـــوَانِجى
وَبَيْـنَ جُـــفُـــونى مَـــدْمَعٌ لَيْس يَرْقَـــأُ[7]

---

(١) أ: عيون (٦) ب: الحما.
(٢) ب: قاعة.
(٣) الوعساء، موضع مشهور. . وهو كناية عن عالم الحضرة الربانية حيث يتجلى الجمال الإلهى (ظبية الوعساء) الذى تكررت الإشارة إليه فى الأبيات.
(٤) الأبيات فى ج فقط.
(٥) فى الأصل: فصل فصله.
(٦) رزأ: يقال فى اللغة «رزأ فلان فلانا» إذا بره. ورزأه: أصاب منه خيرا، ورجل مرزأ: كريم يصاب منه كثيرا (لسان العرب ١/ ١١٥٩).
(٧) الرقء، سكون الدمعة وجفافها. . ومنها «الرقوء» وهو الدواء الذى يوضع على الجرح فيوقف نزيف الدم (لسان العرب ١/ ١٢٠٣).

أراهُ بِقلبى كُلَّ يومٍ وليلةٍ
وإنْ كُنتُ عَنْ وِرْدِ الوِصَالِ أُحَلأُ[1]

أتانى كتابٌ مِنهُ قُمْتُ بِحَقِّهِ
فَها أنا أبكى ما اسْتَطَعْتُ وأقْرأُ

أتانِى هَواهُ مِلْءُ سَمْعى ونَاظِرى
وقَلْبى فَمالِى مِنهُ مَلْجَأُ ومَنْجأُ

أغِثْنى بِيَوْمٍ مِنْ لِقَائِكَ واحِدٍ
فإنى بِيَوْمٍ مِنْ لِقائكَ أُجْزأُ

١٠ أُغالِطُ نَفْسى مِنْكَ بالوَصْلِ والرِّضا
ومَنْ لى بِهِ وَهْوَ النَّعيمُ المُهَنَّأُ

(١) الحلأ: الضرب والطرد عن الماء. وفى الحديث: يرد على يوم القيامة رهط فيحلئون عن الحوض، أى يصدون عنه ويمنعون من وروده (لسان العرب ١/ ٦٩٠).

قافية الباء

[الـوافـر]

١ تَذَكَّـــرَ[*] بِالحِـــمَى قَلْـبى[1] الطَّـرُوبُ
لَيَـــالِى[2] غَـــابَ عَنْـهُنَّ الـرَّقِـــيبُ
وأَيَّامًـــا صَـــفَـــا[3] عَـــيْشُ التَّـــصَـــابِى
وَمَنْ أَهْـوى نَدِيـمِى[4] وَالحَـــبِـــيبُ
غَـــرِيبُ الحَىِّ قَلْبِـى فى حِـــمَـــاكُمْ
نَـزِيـلٌ فِـى دِيَـارِكُـمُ غَـــــرِيبُ
رَحَلْـتُمْ عَنْ حِـــمَـىَ الوَادِى سُـــحَـــيـرًا
وَسِــــــرْتُـمْ وَهْـوَ خَـلْفَـكُمُ جَـنِيـبُ
٥ عَـــجِـــبْتُ لِـنَارِكُمْ بِـربَا الـمُـــصَـلَّى[5]
وَمِـنْهَـــا الـصَّبُّ فِـى نَـجْـــدٍ يَـذُوبُ

(*) الأبيات التالية ساقطة من ب، وفى (أ) كتب الناسخ بخط سميك (حرف الباء) وفى هامش ب (حرف الباء)، والأبيات الأربعة الأولى فى هامش الصفحة.

(١) ب: بالحما قلبا.

(٢) ب: ليال.

(٣) أ: مضى

(٤) غير واضحة فى أ.

(٥) .ً. المصلا! والضبط من معجم البلدان، يقول ياقوت الحموى: المصلى موضع الصلاة، وهو موضع بعينه فى عقيق المدينة (معجم البلدان ٥/ ١٤٤).

وَنَشْرِكُمُ[1] عَلَى بُعْدٍ وَقُرْبٍ
إلى الـمُشْتَاقِ تَحْمِلُهُ الجَنُوبُ[2]

وَإنْ أَرْجُوكُمُ وأَخِيبُ كُلاًّ
سِوَاكُمْ قَصْدُ رَاجِيهِ[3] يَخِيبُ

وَبِى - مَنْ لاَ أُسَمِّيهِ حَيَاءً[4]
بِحُكْمِ حُضُورِهِ[5] فَهْوَ[6] الرَّقِيبُ

يَمِيسُ[7] قَوَامُهُ فَيَكَادُ قَلْبِى
يَطِيرُ مِنَ[8] اللَّذَادَةِ إذْ يَطِيبُ

[المنسرح]

١ هَذَا[9] الـمُصَلَّى وَهَذِهِ الكُتُبُ
بِمِثْلِ هَذَا يَهُزُّكَ[10] الطَّرَبُ

فَالحَىُّ قَدْ شُرِعَتْ مَضَارِبُه
وَحُسْنُه عَنْهُ زَالَتِ الحُجُبُ

---

(١) النشر، الريح الطيبة.
(٢) الجنوب : رياح تهب من مطلع سهيل إلى مطلع نجوم الثريا، والعرب تقول للاثنين إذا كانا متصافيين : ريحهما جنوب (لسان العرب ١/ ٥١٠).
(٣) أ: راحته.
(٤) أ: أحيا.
(٥) أ: حصورة
(٦) أ: وهو
(٧) غير واضحة فى كل النسخ الخطية!
(٨) أ: مع.
(٩) -ج.
(١٠) ب: يهزنا.

وَكُـلُّ صَبٍّ صَبَـا لِسَـاكِنِه
يَسْجُدُ شَوْقًا لَهُ[1] وَيَقْتَرِبُ

أَنِخْ مَطَايَاكَ عِنْدَ رَبْعِهِمُو
كَيْ لاَ تَطَاكَ[2] الرِّحَالُ والنُّجُبُ[3]

١ وَاسْعَ عَلَى الجَفْنِ خَاضِعًا فَعَسَى
يَشْفَعُ فِيكَ الخُضُوعُ وَالأَدَبُ

وَارْجَ[4] قِرَاهُمْ[5] إِذَا نَزَلْتَ بِهِمْ
فَأَنْتَ ضَيْفٌ لَهُمْ وَهُمْ عُرُبُ

وَاسْجُدْ لَهُمْ وَاقْتَرِبْ[6] فَعَاشِقُهُمْ
يَسْجُدُ شَوْقًا لَهُمْ[7] وَيَقْتَرِبُ

عِنْدِي لَكُمْ يَا أُهَيْلَ كَاظِمَةٍ
أَسْرَارُ وَجْدٍ حَدِيثُهَا[8] عَجَبُ

أَرَى بِكُمْ خَاطِرِي يُلاحِظُنِي[9]
مِنْ أَيْنَ هَذَا الإِخَاءُ[10] وَالنَّسَبُ

---

(١) أ: لهم.
(٢) تطاك، مخففة لضرورة الشعر.
(٣) النجب، جمع نجيب، وهو القوى من الإبل، السريع الخفيف (لسان العرب ٣/ ٥٨٠).
(٤) ـ ب.
(٥) القرى، ما يقدم للضيف.
(٦) تضمين لقوله تعالى: «كلا لا تطعه واسجد واقترب.. (العلق/ ١٩)».
(٧) ب: لهم شوقا.
(٨) أ.
(٩) ب: يطالبنى.
(١٠) أ: الإخا، ب، الإفا.

١٠ وَإنْ تَشَوَّقْتُكُمْ بَعَثْتُ لَكُمْ
كُتبَ غَرَامِى وَمِنْكُمُ الكُتُبُ
وَأَشْرَبُ الرَّاحَ حِينَ أَشْرَبُهَا
صِرْفًا وَأَصْحُو بِهَا فَمَا السَّبَبُ[(١)]
خَمرَتُهَا مِنْ دَمِى وَعَاصِرُهَا
ذَاتِى وَمِن أَدْمُعِى لَهَا الحَبَبُ
إنْ كُنْتُ أَصْحُو بِشُرْبِهَا فَلَقَدْ
عَرْبَدَ[(٢)] قَومٌ بِهَا وَمَا شَرِبُوا
هِيَ النَّعِيمُ المُقِيمُ فى خَلَدِى
وَإنْ غَدَتْ فى الكُؤُوسِ[(٣)] تَلْتَهِبُ
١٥ فَغَنِّ لى إنْ سَقَيْتَ يَا أَمَلِى
بِاسْمِ الَّتى بى عَلَىَّ تَحْتَجِبُ[(٤)]

[المنسرح]

١ بَيْنَ فُؤَادِى وَخَدِّهِ[(٥)] نَسَبُ
كِلاَهُمَا بِالجَحِيمِ[(٦)] يَلْتَهِبُ[(٧)]

---

(١) يشير الصوفية إلى أن الأثر الناشئ من خمر الحب الإلهى، هو الصحو لا السكر . . فهذه الخمر الأزلية تورث صحوا بما تفتحه من أبواب الحقائق التى تتجلى لقلب المحب.

(٢) ب: سكر.

(٣) أ: الكؤوس.

(٤) فى إحدى المشاهدات الذوقية التى يراها الصوفى بعين قلبه، يتحقق الإنسان بتجليات الله فى الكون، ويعرف أن كل مظاهر الوجود، إنما هى حقائق للتجلى الإلهى المحجوب بالكثرة الظاهرة للأشياء . . فتكون الذات الإلهية ـ كما يقول التلمسانى هنا ـ قد احتجبت به عنه!

(٥) أ: وخدها. (٦) ج: بالنعيم. (٧) أ: تلتهب.

هُمَــا سَــواءٌ وَالْفَــرْقُ بَيْنَهُــمَــا
أَنَّهُــمَــا سَــاكِــنٌ وَمُــضْطَرِبُ
وَلِى عَلَى عَــاذِلِى حُــقُــوقُ هَوَىً
عَلَيــهِ شُكْرِى بِبَــعْــضِــهَــا يَجِبُ
لامَ - فَلَــمَّــا رآهُ هَــامَ بِــهِ
فَكُنْتُ[1] فِى عِــشْــقِــهِ أَنَا السَّــبَبُ
٥ وَقَــائِلٍ[2] وَالهَــوَى يُرَنِّحُنا
وَنَال مِــنَّا السُّــرُورُ والطَّرَبُ
حَلَّــتْ لَنَــا الرَّاحُ[3] مِنْ لَوَاحِــظِه[4]
فَلْيَحْــرُمُ[5] الخَــمْــرُ بَعْــدُ وَالعِنَبُ
خُــذَا نَدِيمَىَّ سَلْوَتِى لَكُــمَــا
عَــطَاءَ مَــنْ لاَ يَــمُــنُّ[6] إذْ يَــهَــبُ
وَخَلِّيَــانِى وَقَــهْــوَةً[7] جُلِيَتْ
لَيْسَتْ[8] سِوَى الثَّغْرِ فَوْقَهُ[9] حَبَبُ

---

(١) ب : وكنت .

(٢) ب : وقابل . (٣) أ، ج : الخمر .

(٤) اللحظة، النظرة من طرف العين. واللحاظ، مؤخرة العين وخطها الممدود، والمعنى المشار إليه هنا: أن الذات الإلهية أباحت السكر من نشوة جمالها، وحرمته من الخمر ونبيذ العنب!

(٥) أ: فلتحرم. (٦) - ج .

(٧) يمن: يستعظم عطيته. والمن كلمة قرآنية، ذات حقول دلالية واسعة، يضيق المقام هنا عن استعراضها . . [راجع لسان العرب - مادة: منن].

(٨) القهوة اسم من أسماء الخمر، غالبا ما يشير بها الصوفية إلى كأس المحبة الإلهية . . انظر: قصيدة النادرات العينية، للجيلى (تحقيق يوسف زيدان) البيت الخامس.

(٩) .'. ليس. (١٠) أ، جـ : فوقها .

إنِّى امـــرؤٌ مِنْ عِـــصـــابَةٍ كَـــرُمَتْ
أَذْهَبُ فِـى الحُبِّ حَـيْـثُـمَـــا ذَهَبُـوا

١٠ سُــقُــوا ولَمْ يَسْكَرُواْ[1] وَكَمْ فِـئَـةٍ
أَسْكَرَهُـمْ عِـطْرُهَا وَمَـــا شَـــرِبـوا

دُعُــــوا إلى بَابِ عَلْوَةٍ[2] كَـــرَمًـــا
وَوَجْـهُـهَـا بِـالجَـمَـال مُـحْـتَـجِبُ

فَـقَـدَّمُـوا سَـجْـدَةً[3] وَهُمْ زُمَـرٌ
لِغَـافِـرٍ[4] سَـبَّح اسْـمَـهُ الأدَبُ

عَـيَّنَتْ[5] الـعَـيْنُ مِنْهُـمُ[6] أثَرًا
لأنـهُم فِـى بقَـائِهَـا[7] سُـلِـبُـواْ

فَـمَـا دَرَى صَـاعِـدٌ[8] بِمُنْحَـدِرٍ
وَلاَ الْـتَـقَـى[9] ذَاهِبٌ ومُـنْقَـلِـبُ[10]

(١) ج: يشركوا.
(٢) فى ب (علزة).. وعلوة، معشوقة عربية، طالما أشار التلمسانى بها إلى الذات الإلهية. وباب علوة، كناية عن مقام الحضرة الإلهية التى يرقى إليها صفوة الصوفية.
(٣) جـ: سجدا.
(٤) جـ: الغافر.
(٥) ب: غيبت، جـ: عبرة.
(٦) ب: عنهم.
(٧) أ: نقابها، ب: بقاء ما.. والبقاء مقام صوفى من مقامات غايات الطريق، وهو البقاء فى الله بعد الفناء عما سواه.
(٨) أ، جـ: مصعد.
(٩) أ: ولا درى، ب: ولا التقا.
(١٠) يريد التلمسانى هنا أن يقول: إن للواصلين إلى الله طرقا عديدة ومتنوعة، حتى إن أحدهم لا يكاد يلتقى بالآخر فى الطريق. وهناك عبارة صوفية شهيرة تقول: الطرق إلى الله على عدد أنفاس البشر!

[الطويل]

١ أَفِى[1] ولَهِى بِاسْمِ المَلِيحَةِ تَعْتِبُ
وَتُعْرِضُ إنْ وَحَّدْتُهَا[2] ثُمَّ تَغْضَبُ[3]

وَلَوْ فُزْتَ مِنْ ذَاكَ الجَمَالِ[4] بِنَظْرَةٍ
لأَصْبَحَ مِنْكَ العَقْلُ يُسْبَى وَيُسْلَبُ

وَهَبْتُكَ سُلْوَانِى وَصَبْرِى كِلاَهُمَا[5]
وَأَمَّا غَرَامِى فَهْوَ مَا لَيْسَ يوهَبُ[6]

وَقَيَّدْتُ أشْوَاقِى بِإطْلاَقِ صَبْوَةٍ[7]
إلَيْهَا صَبَابَاتُ المُحِبِّينَ تُنْسَبُ

٥ فَهَا أنَا وَالسَّاقِى يُنَاوِلُ كَأْسَهَا[8]
فَأَشْرَبُ صِرْفًا أَوْ يُغَنِّى فَأَطْرَبُ

---

(١) الأبيات فى أ، ب وساقطة من ج. (٢) ب: وجدتها.

(٣) يشير التلمسانى هنا إلى الخلاف بين الصوفية وفقهاء الظاهر، وقد كان هؤلاء الفقهاء دوما يعترضون على طريقة الصوفية فى التوحيد.

(٤) غير واضحة فى ب. (٥) غير واضحة فى ب.

(٦) يحمل هذا البيت على معنيين: الأول أن المحب قد يصبر على عاذليه، لكنه لا يترك غرامه المتأجج.. والمعنى الثانى، وهو الأرجح هنا، أن المحبة واحدة من العطايا الإلهية التى لا توهب، ولا تسمى مواهب! فقد قال الحق «فلهم أجر غير ممنون» يعنى أن أهل العطايا نالوا ما هو لهم بحكم الاستحقاق الأزلى، لذلك قدم الله تعالى محبته على محبة عبده فقال «يحبهم ويحبونه».. يقول عبد الكريم الجيلى: فليس ما نالوه بموهوب حتى يكون ممنونا، بل هم ظفروا بما اقتضته حقائقهم فى الأزل، فكانت محبة الله لهم سابقة (انظر الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل ٢/ ١٥) ومن هنا قال الإمام عبد القادر الجيلانى (الديوان، قصيدة ما فى الصبابة).

مازلت أرتع فى ميادين الرضا . ° . حتى وهبت مكانة لا توهب

(٧) فى أ (صهوة) وفى ب (صبوت).. والصبوة فى اللغة: جهلة الفتوة واللهو من الغزل [لسان العرب ٢/ ٤٠٧].

(٨) كاسه.

وَلَوْ لَـمْ يرَوْا راووقَــهَــا[1] كَــصَلِيــبِــهِ
لَـمَــا عَــذَروا[2] حَــلاَّجَـهَـا حِينَ يُـصْلَبُ

[الخفيف]

١ لاَتَلُمْ صَــبْــوَتِى فَــمَنْ حَبَّ يَصْــبُــو[3]
إنَّمَـــا يَرْحَــمُ الــمُــحِبَّ الــمُــحِبُّ
كَــيْفَ لاَ يُـوقِــدُ النَّــسِــيمُ[4] غَــرَامِى
ولَـهُ فِى خِــيَــــامِ لَيْلَـى[5] مَــهَــبُّ
مَــا اعْــتِـــذَارِى إذَا خَــبَتْ لِـىَ نَارٌ
وَحَــبِــيــبِـى أَنْوَارُهُ لَـيْسَ تَخْــبُــو[6]
هَـذِهِ الحُلَّةُ الَّـتى حُـلَّ فِــيَــهَــا
عَــقْــدُ صَـبْـرِى وَحَـلَّهَـا لِـىَ حِبُّ
٥ مَـــلأَ[7] الـكَوْنَ حُـــسْنُهُ فَلِهَــذَا
كُلُّ قَـلْبٍ إلَى مَــعَــانِيــهِ يَصْــبُــو[8]

---

(١) الراووق : الشراب الرائق المصفى . ويقال «ألقى عليه أرواقه» إذا أحبه حبا شديدا حتى يستهلك فى حبه [لسان العرب ١/ ١٢٥٨] .
(٢) ب : غدروا .
(٣) = جـ، ب : يصبوا .
(٤) النسيم ، إشارة إلى نفحات الإشراق والتجلى الإلهى .
(٥) خيام ليلى : إشارة إلى عالم الحضرة الإلهية .
(٦) ب : تخب .
(٧) ب : ما لاء .
(٨) ب : يصب .

عَـايَنَتْ[١] حُـسْنَهُ[٢] القُلُوبُ فَـأَمْـسَى
وَلَـهُ فِـى الـقُلُـوبِ سَلْـبٌ وَنَـهْـبُ[٣]

نَصَـبُوا حَـانْ حُـبِّـهِ ثُـمَّ نَادُوْا
: يَـا نِيَـامَ القـلـوب لِلرَّاحِ هُبُّـوا[٤]

بِنْتُ كَـرْمٍ زُفَّتْ[٥] لِكُلِّ كَـرِيمٍ
مَـا عَـلَى نَفْـسِـهِ النَّفِـيسَـةِ صَـعْبُ

رَاحَ لِلـرَّاحِ وَالخَـلاَعَـةِ عَـبْـدًا
وَهَوْ فِـى مَـذْهَـبِ الحَـقِـيـقَـةِ رَبٌّ[٦]

[الطويل]

١ لِـمَـعْنَاىَ[٧] قَلْبِى[٨] نَحْـوَكُمْ أَبَدًا يَصْـبُـو
وَعِنْدِى لَـكُمْ وَجْـدٌ جَـمِـيـعِى لَـهُ نَهْبُ

وَمَـازَالَ سَـلْبِى فِـيكُمُ[٩] وَاجِـبًـا لَـكُمْ
وَفِى حُـبِّـكُمْ يَاسَـادَتِـى يَجِبُ[١٠] السَّلْبُ

---

(١) أ: شاهدت.
(٢) يفرق أهل الطريق بين الجمال والحسن؛ فالجمال هو ذات الله تعالى، والحسن هو تجليات هذا الجمال فى الكون.
(٣) أ: نهب وسلب.
(٤) ب: هب.
(٥) ب: رقت.
(٦) غير واضحة فى أ.
(٧) = ب.. وتبدو الأبيات كأنها مدح لبعض مشايخ التلمسانى فى الطريق الصوفى.
(٨) : قلب.
(٩) أ: نحوكم.
(١٠) أ: يحب.

غَـدَا وَصْـفُكُمْ لِلْـحُسْنِ ذَاتًا فَـشَـمْـسُكُمْ

بكُمْ منْكُـمُ فِـيكُمْ[1] لَهَـا الشَّـرْقُ والغَـرْبُ

تُحَـرِّكُـهَـا الأَشْـوَاقُ نَـحْـوَ جَـمَـالِكُمْ

فَـتَـمْنَعُـهَـا تِلْكَ الـمَـهَـابَةُ والحُـجْبُ

٥ فَـلاَ هِـى يَغْـشَـاهَـا سُكُونٌ وَلاَ تَرى

سَبِـيـلاً لِذَا حَـارتْ فَـدَارَتْ[2] فَـلاَ تَنْبُـو[3]

تَدُورُ عَـلَى بُعْـدٍ مِنَ الـمَـرْكَـزِ الَّذِى

بِه أَنْـتُمُ إِذْ كَـانَ شَـخْـصُكُمْ القُـطْبُ[4]

فَلَـوْ قِـيْـسَتِ الأَبْـعَـادُ مِـنْ كُلِّ جَـانِب

تَسَـاوَتْ فَـلاَ بُـعْـدٌ يُرَامُ[5] ولاَ قُـرْبُ[6]

[الطويل]

١ إِذَا[7] مَـاسَ مَنْ يَهْـوَاكَ تِيـهًـا فَـلاَ عَـتْبُ

وَمَنْ ذَا يَرَى ذَاكَ الجَـمَـالَ فَـلاَ يَـصْبُـو[8]

---

(١) جـ: فيكم منكم.

(٢) جـ: له حارت فداءتكم!

(٣) تنبو؛ تبتعد.. والنبوة فى اللغة، الجفوة والإقامة والارتفاع (لسان العرب ٣/ ٥٧٣).

(٤) القطب؛ هو قمة الترتيب الطبقى للأولياء.. وهو الإنسان الكامل فى كل زمان [راجع: الفكر الصوفى عند عبد الكريم الجيلى ص ٦٩ وما بعدها].

(٥) أ: هناك.

(٦) يرى الصوفية أن القطب [الإنسان الكامل] هو نقطة دائرة الوجود، ومركز دوران الأفلاك، وهى الفكرة التى عرض لها ابن عربى بتوسع فى [الفتوحات المكية] وغيرها من رسائله الصغرى.. ولا شك فى أن هذه الفكرة ترتبط بشكل ما، بالاعتقاد فى أن الأرض التى خلقها الله للإنسان ـ هى مركز الأفلاك السماوية كلها!

(٧) الأبيات فى أ، ب، وساقطة من جـ. (٨) ب: ولا يصب.

وَمَنْ ذَا الَّذى يُسْقَى بِذِكْرِكَ[1] قَهْوَةً
وَلاَ يَنْثَنِى تِيهًا وَيَزْهُو[2] بِهِ العُجْبُ

سَبَيْتَ[3] الوَرَى حُسْنًا وَأَنْتَ مُحَجَّبٌ
فَكَيْف بِمَنْ يَهْوَاكَ إنْ[4] زَالَتِ الحُجْبُ

وَأَصْبَحْتَ مَعْشُوقَ القُلُوبِ بِأَسْرِهَا
وَمَاذَرَّةٌ[5] فِى الكَوْنِ إلاَّ لَهَا قَلْبُ[6]

٥ إذَا سَكِرَ العُشَّاقُ كُنْتَ نَدِيمَهُمْ
وَأَنْتَ لَهُمْ سَاقٍ وَأَنْتَ لَهُمْ شُرْبُ

وَإنْ زَمْزَمَ[7] الحَادِى وَمَالُوا صَبَابَةً
فَلَيْسَ لَهُمْ قَصْدٌ سِوَاكَ وَلاَ أَرْبُ

وَلِمْ لا يَذُوبُ العَاشِقُونَ صَبَابَةً
وَوَجْدًا وَسُلْطَانُ المِلاَحِ لَهُمْ حِبٌّ

---

(١) ب : بيدك .

(٢) ب : ويزهوا .

(٣) ب : سلبت .

(٤) مطموسة فى أ .

(٥) ب : ولا ذرة .

(٦) يستند الصوفية إلى قوله تعالى «وإن من شيء إلا يسبح بحمده» وقوله تعالى «ولله يسجد ما فى السموات والأرض» فيعبرون بصيغ مختلفة عن ذلك المشهد الذوقى الذى يرى فيه الصوفى كل ذرات الوجود منجذبة إلى الله بفعل المحبة ومسبحة بحمده بحكم الافتقار إليه . . وربما تشابهت هذه الفكرة مع ما يقرره أرسطو فى تفسيره لحركة العالم ، باعتبار العالم منجذبا إلى الله (المحرك الأول) انجذاب تعشق . لكن هذا الربط بين آراء أرسطو الفلسفية ، ومشاهد الصوفية الذوقية ـ وهو ما نجده عند بعض الباحثين ـ يحمل بين طياته الكثير من التعسف .

(٧) الزمزمة : الصوت الخفى . . وقوله «زمزم الحادى» إشارة إلى ارتقاء قافلة الأرواح فى سيرها إلى قرب الحق تعالى .

[السريع]

١ لِـي فِي هَـوَاكُـمْ مَـــــذْهَـبٌ مُـــذْهَـبُ
وَمَـطْـلَـبٌ مَـــــامِـــــثْلُهُ مَـطْـلَـبُ

أَصْـــبَـــحْتُ عَـــبْـــدًا رَاضِـــيًـــا بِـالَّذِي
تَـرْضَـــونَ[1] لاَ أَرْجُـــو وَلاَ أَرْهَـبُ[2]

إِذَا تَـجَلَّـى كَـــأْسُ سَـــاقِـــيكُـمُ
كُـنْـتُ لَـهُ أَوَّلَ[3] مَـنْ يَـشْـــــــرَبُ

وَإِنْ تَغَـنَّى[4] بِـاسْـــمِكُـمْ مُنْشِـــدٌ[5]
فَـــــــإِنَّـنِـي أَوَّلُ مَـنْ يَـطْـرَبُ

٥ يَا قَـــمَـــرًا فِي مُـــهْـجَـــتِي[6] لَمْ يَزَلْ
مَطْلَعُـهُ الـمَـشْـــرِقُ[7] وَالـمَـغْــرِبُ

وَيَـا غَـــــزَالاً فِـــي فُـــــؤَادِي لَـهُ
مَـــرْعًى[8] وَمِنْ دَمْـــعِي لَهُ مَـــشْـرَبُ

---

(١) أ: يرضون.

(٢) يشير التلمسانى هنا إلى ما يعرف عند الصوفية بسقوط الدارين، وهو ما يكون حينما يصل الصوفى إلى منتهى مقام الرضا، فتسقط إرادته وتدبيره بالكلية.. وهو المعنى الذى أشار إليه الإمام عبد القادر الجيلانى حين قال:

أصـــبـحت لا أمـــلا ولا أمنيـــة ... أرجـــو ولا مـــوعـــودة أترقـــب

(٣) ج: أكرم.

(٤) ب: تغنا.

(٥) ب، ج: منشدا.

(٦) ب: حسنة.

(٧) أ: الحسن.

(٨) ب، ج: مرعا.

مَـــا الـعَـــــيْشُ إلاَّ فـى هَواكَ الَّـذِى
كُـلُّ نَـعِـــــــــيمٍ فَـلَـهُ يُـنْـسَـبُ

[البسيط]

١ أَيُنْكِرُ الـوَجْـدُ[١] أَنِّى فِى الهَـوى شَـحِبٌ[٢]
وَدُونَ كُـلِّ دُخَـــانٍ سَـــاطِـعٍ لَهِـبُ
وَمَـا سَلَوتُ كَـمَــا ظَنَّ الـوُشَـاةُ وَلَا
أَسْلُو كَـمَــا يَتَـرَجَّى[٣] العَـاذِلُ التَّـعِبُ
فَــإِنْ بَـكَى[٤] لِصَـبَـاباتِى عَــذُولُ هَوىً
فَـلِى بِمَـا مِنْهُ يَـبْكِى عَــــاذِلِى طَـرَبُ[٥]
نَاشَــــدْتُكَ الـله يَارُوحـى اذْهَبِـى كَلَـفًـــا
بِحُبِّ قَــوْمٍ عَنِ الجَـرْعَـاءِ[٦] قَــدْ ذَهَبُـوا

(١) الوجد؛ حال صوفى يشير إلى آثار المحبة. . ومن أكثر تعريفاته شهرة، ما نقله السراج الطوسى فى كتابه اللمع (ص ٣٧٩) عن أبى سعيد بن الأعرابى حين يقول: الوجد ما يكون عند ذكر مزعج أو خوف مقلق أو توبيخ على زلة أو محادثة بلطيفة أو إشارة إلى فائدة أو شوق إلى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض أو استجلاب إلى حال أو داع إلى واجب أو مناجاة بسر. . ولاستشراف آفاق الدلالة الصوفية لهذا المصطلح، يمكن الرجوع إلى [اللمع ص ٣٧٥ ـ التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٣٤ ـ اصطلاح الصوفية ص ٥).

(٢) أ: شجب.

(٣) أ: يرتجى.

(٤) ب: يكن.

(٥) جـ: الطرب.

(٦) الجرعاء؛ الأرض الرملية الجرداء المستوية [لسان العرب ١/ ٤٤٣] وهى اسم لموضع يشير به الصوفية إلى مقامات القرب من الله.

٥ لاَ تَسْأَلِيهُم ذِمَامًا فِى مَحَبَّتِهِمْ

فَطَالَمَا قَدْ وَفَا بِالذِّمَّةِ العَرَبُ

هُمْ أَهْلُ وُدِّى وَهَذَا وَاجِبٌ لَهُمُ

وَإِنَّمَا وُدُّهُمْ لى فَهْوَ لاَ يجبُ

هُمْ أَلْبَسُونِى سَقَامًا مِنْ جُفُونِهمُ

أَصْبَحْتُ أَرْفُلُ فِيهِ وَهْوَ يَنْسَحِبُ[1]

وَصَيَّرَتْ أَدْمُعِى حُمْرًا خُدُودُهمُ

فَكَيْفَ أَجْحَدُ مَامَنُّوا وَمَا وَهَبُوا

هَلِ السَّلاَمَةُ إلاَّ أنْ أمُوت بِهِمْ

وَجْدًا وَإِلاَّ فَبُقْيَاىَ هُوَ العَطَبُ[2]

١٠ إنْ يَسْلُبُوا البَعْضَ مِنِّى فَالجَمِيعُ لَهُمْ

وَإِنَّ أَشْرَفَ أَجْزَائِى الَّذِى سَلَبُوا[3]

لَوْ تَعْلَمُ العَذَبَاتُ[4] المَايِسَاتُ بِمَنْ

قَدْ بَانَ[5] عَنْهَا إِذَنْ مَا اخْضَرَّتِ العَذَبُ[6]

وَلَوْ دَرَى مَنْهَلُ الوَادِى[7] الَّذِى وَرَدُوا

مَنْ وَارِدُو مَائِهِ لاَهْتَزَّهُ[8] الطَرَبُ

---

(١) جـ: فيها وهى تنسحب.

(٢) ب: فإبقاى هو العجب.

(٣) أ: فإن أشرف أجزاى، ب: وإن أشرف أجزاء، ج: فإن أشرف جدى.

(٤) ب: الغاديات. (٥) جـ: غاب.

(٦) العذب؛ طرف كل شيء. والعذب والعذبات أغصان الشجر [لسان العرب ٢/ ٧١٦].

(٧) جـ: الوداد. (٨) ب: واردى ماؤه لاهتزه، جـ: من فى قبابهم لاهتزت.

إنِّى لأَكْتُمُ(١) أنفَاسِى إذَا ذُكِرُوا

كَيْلاَ يُحرِّقَهُمْ مِنْ زَفْرَتى اللَّهَبُ

وَتُرْسِلُ الدَّمْعَ عَيْنى فِى(٢) مَنازِلِهِمْ

كَيْلاَ تُسَابِقَهَا(٣) فِى سَحِّهَا السُّحُبُ

١٥ كَذَا لِكُلٍّ(٤) مُحِبٍّ غَيْرَةٌ(٥) لَهُمُ

وَعِنْدَ كُلِّ غَيُورٍ فِطْنَةٌ عَجَبُ

أُسَائِلُ البَانَ عَنْ مَيْلِ(٦) النَّسِيمِ بِهِمْ

سُؤَالَ(٧) مَنْ لَيس يُدْرَى فِيهِ مَا السَّبَبُ(٨)

وَتِلْكَ(٩) آثَارُ لِينٍ مِنْ(١٠) قُدُودِهِمُ

مَرَّتْ بِهَا(١١) الرِّيحُ فَاهْتَزَّتْ لَهَا(١٢) القُضُبُ(١٣)

---

(١) = ب، ج: لاكظم.

(٢) جـ: فى عينى.

(٣) أ: كى لا يسابقنى، ب: كى لا يشابهها.

(٤) ب: كذاك كل.

(٥) . ٌ . عبرة؛ والكلمة غير منقوطة فى أ.

(٦) ب: هل مر.

(٧) أ: سواك؟ : سواك

(٨) ب: فيهم السبب.

(٩) = ب

(١٠) جـ: ليلى فى.

(١١) جـ: به. (١٢) أ: به.

(١٣) القضب؛ الأغصان. وهو أيضا نوع من الشجر، له ورق كورق الكمثرى، إلا أن القضب ورقه أرق وأنعم. . وهى هنا كناية عن الأرواح التى تهتز شوقا إلى عالم النور. وفى مخطوطة أ ورد البيت التالى:

يصحو السكارى ولا أصحو ظما بكم ويسكر السكر من بعض الذى شربوا

[الطويل]

١ نَعَمْ[١] هَذِهِ الدَّارُ الَّتِى أَنْتَ[٢] تَطْلُبُ
إلى أَيْنَ عَنْهَا يَالَكَ الخَيْرُ تَذْهَبُ

أَعَنْ دَارِ لَيْلَى بَعْدَ مَا بَانَ بَانُهَا[٣]
وَفَاحَ شَذَا أَنْفَاسِهَا تَتَحَجَّبُ[٤]

لَقَدْ سَمَحَتْ رُوحِى بِقُرْبِ مَزَارِهَا
بفُرْقَةِ جِسْمٍ لَمْ تَزَلْ فِيهِ تَرْغَبُ[٥]

وَهَلْ كَانَتِ الأَجْسَادُ إلاَّ مَطِيَّنَا
تُقَرِّبُهَا[٦] مَعْنىً لَهَا حِينَ تَقْرَبُ

٥ نَعَمْ ذَلِكَ المَعْنَى الَّذِى أَشْرَقَتْ بِهِ
بُدُورُ سَنَاهَا[٧] بَعْدَمَا عَنْك تَغْرُبُ

وَلاَحَتْ وَهَلْ يَوْمًا[٨] تَوارَتْ وَإِنَّمَا
بِتَنْزِيهِهَا عَنْ ذَاكَ طَرْفِى[٩] يُكَذِّبُ

---

(١) الأبيات فى أ، ج وساقطة من ب.

(٢) جـ١ : نحن نطلب.

(٣) البان؛ نوع من الشجر.

(٤) جـ: تنجنب.

(٥) فى جـ ورد البيت على هذه الصورة:

لقد عزمت عينى لفقد مزارها   بطرفة جفن لم تزل فيه ترقب

(٦) ج : تقربنا منها حين تقرب.

(٧) أ: سنى ما بعدها.

(٨) ج : يوم.

(٩) أ: ينزهها عن ذاك طرفك.

[الوافـر]

١ نَدَىً[1] فِى الأُقْحُوانَةِ أَمْ رُضَابُ[2]
وَطَلٌّ[3] فِى الشَّقِيقَةِ[4] أَمْ سَرَابُ[5]

فَتِلْكَ[6] وَهَذِهِ ثَغْرٌ وَكَأْسٌ
بِذَا[7] ظَلْمٌ[8] وَفِى هَذِى شَرَابُ

وَخُضْرُ خَمَائِلٍ[9] كَسَجُومِ[10] غِيدٍ
قَدْ انْتُقِشَتْ وَرَقَّ بِهَا[11] الخِطَابُ[12]

يُرِيكَ بِهَا الشَّقِيقُ سَوَادَ هُدْبٍ
وَحُمْرَةَ وَجْنَةٍ فِيهَا الْتِهَابُ

٥ وَوُرْقٌ[13] حَمَائِمٍ فِى كُلِّ فَنٍّ
إِذَا نَطَقَتْ لَهَا لَحْنٌ صَوَابُ

---

(١) وردت الأبيات الأربعة الأخيرة فى هامش ب، وبقية الأبيات ساقطة من المخطوطة.
(٢) فى جـ (شراب). . والرضاب هو الريق، ويقال أيضا لقطع السكر والثلج وفتات المسك [لسان العرب ١/ ١١٧٥].
(٣) فى جـ (ظل). . والطل؛ الندى الذى تخرجه عروق الأشجار إلى غصونها، وهو أيضا: المطر الخفيف الذى ينزل من السماء فى الصحو. والطلة، الخمرة اللذيذة [لسان العرب ٢/ ٦٠٩].
(٤) الشقيقة؛ زهرة حمراء. والجمع شقائق، يقال «شقائق النعمان» لأن النعمان بن المنذر حمى أرضا، فكثرت فيها هذه الزهرة.
(٥) ج: رضاب. (٦) جـ: وتلك.
(٧) جـ: بلا.
(٨) الظلم؛ الثلج. ويقال أيضا لرقة الأسنان وبياضها.
(٩) جـ: حمائم.
(١٠) السجوم؛ شجر له ورق طويل [لسان العرب ٢/ ١٠٢] ويقال «نبات غيد» أى ينثنى من نعومته.
(١١) جـ: لها.
(١٢) الخطبة؛ الخضرة.
(١٣) الورق؛ جمع ورقاء. . وهى الحمامة الرمادية.

لَهَا بِالظِّلِّ أَزْرَارٌ[1] حِسَانٌ

وَأَطْوَاقٌ وَمِنْ وَرِقٍ[2] ثِيَابُ

كَأَنَّ النَّهْرَ سَيْفٌ مَشْرفِىٌّ[3]

لَهُ فِى كَفِّ صَيْقَلِهِ[4] اضْطِرَابُ

تُجَرِّدُهُ يَمِينُ الشَّمْسِ طَوْرًا

وَطَوْرًا بِالظِّلاَلِ لَهُ قِرَابُ

يُعَابُ السَّيْفُ إِذْ فِى جَانِبِيهِ

فُلُولٌ وَهْوَ مِنْهَا لاَ يُعَابُ[5]

١٠ فَإِنْ قُلْتَ الحَبَابُ انْسَابَ ذُعْرًا[6]

وَرُمْتَ الرَّقْشَ[7] صَدَّقَكَ الحَبَابُ

وَلِلأَغْصَانِ هَيْنَمَةٌ[8] تُحَاكِى

حَبَايِبَ رَقَّ بَيْنَهُمُ[9] العِتَابُ

تَثَنَّتْ وَالحَمَامُ لَهَا يُغَنِّى

كَشَرْبِ مُدَامَةٍ شَرِبُوا وَطَابُوا[10]

---

(١) جـ: أزار.

(٢) الورق؛ الفضة والدراهم المضروبة منها [لسان العرب ٣ / ٩١٢].

(٣) جـ: مشرقى.

(٤) جـ: صليقة.

(٥) يشير التلمسانى إلى التعاريج التى تكون بضفتى النهر، فتزيده جمالا.

(٦) ج: وعرا.

(٧) ج: الرقص.

(٨) الهينمة؛ الكلام الخفى لا يفهم [لسان العرب ٣ / ٨٣٩].

(٩) أ: بينهم رق، ج: رق بينها.

(١٠) ب: وطاب.

[البسيط]

١ لَوْلاَ[1] الحِمَى وَصَبَايَا[2] بِالحِمَى عُرُبُ
مَا كَانَ فِى البَارِقِ النَّجْدِىِّ[3] لى أَرَبُ
حَلَّتْ عُقُودَ اصْطِبَارِى دُوْنَهُ حُلَلٌ
حُقُوقُهَا كَارتيَاحَاتِى[4] لَهَا تُجِبُ
وَفِى رِيَاضِ بِيُوتِ الحَىِّ مِنْ إضَمٍ[5]
وَرْدٌ جَنِىٌّ وَفِى أَكْمَامِهَا القُضُبُ[6]
يَسْقِى الأَقَاحِىَ مِنْهَا قُرْقُفٌ[7] فَإذَا
لاَحَ الحَبَابُ عَلَيْهَا فَاسْمُهُ الشَّنَبُ[8]
٥ يَقْضِى بِهَا لِعُيُونِ النَّاظِرِينَ عَلَى
كُلِّ القُلُوبِ قَضَاءً مَالَهُ سَبَبُ
إلاَّ تَمَارُضَ[9] أَجْفَانٍ إذَا سَلَبَتْ
فَمُقْتَضَى هَمِّهَا المَسْلُوبُ لاَ السَّلَبُ

---

(١) الأبيات فى أ، وساقطة من جـ.
(٢) أ: وظبا، جـ: وظباتى.
(٣) البارق؛ الجبل. وهو اسم نهر بباب الجنة [معجم البلدان ١/ ٣٢٠].
(٤) غير واضحة فى جـ.
(٥) إضم؛ الوادى الذى بجبال تهامة ـ حيث تقع المدينة المنورة ـ يسمى من عند المدينة (القناة) ومن أعلى منها (الشظاة) ومن عند الشظاة إلى البحر، يسمى إضما [معجم البلدان ١/ ٢١٤].
(٦) أ، + جـ: ومن أكمامها يهب.
(٧) القرقف؛ الماء البارد الصافى. وهو اسم من أسماء الخمر [لسان العرب ٣/ ٧٠].
(٨) الشنب؛ البرد والعذوبة فى الفم. ويقال أيضا لبياض الأسنان وبريقها [لسان العرب ٢/ ٣٦٦].
(٩) أ: تمرض.

وَلِى لَدَى[1] الحِلَّةِ[2] الفَيْحَاءِ غُصْنُ نَقًا[3]
يَهْفُو فَيَجْذِبُهُ خَفْقٌ فَيَنْجَذِبُ

لاَ يَقْدِرُ الحِبُّ أنْ يُخْفِى مَحَاسِنَهُ
وَإنَّمَا فِى سَنَاهُ الحُجْبُ تَحْتَجِبُ

أُعَاهِدُ الرَّاحَ أَنِّى[4] لاَ أُفَارِقُهَا
مِنْ أَجْلِ أنَّ الثَّنَايَا شِبْهُهَا الحَبَبُ

١٠ وَأَرْقُبُ البَرْقَ لاَ سُقْيَاهُ مِنْ أَرَبِى
لَكِنَّهُ مِثْلُ خَدَّيْهِ لَهُ[5] لَهَبُ

يَا سَالِمًا فِى الهَوَى مِمَا أُكَابِدُهُ
رِفْقًا بِأَحْشَاءِ صَبٍّ شَفَّهَا الوَصَبُ

فَالأَجْرُ يَا أَمَلِى إنْ كُنْتَ تَكْسِبُهُ
مِنْ كُلِّ ذِى كَبِدٍ حَرَّاءَ تَكْتَسِبُ[6]

يَا بَدرَ تَمٍّ مُحَاقِى[7] فِى زِيَادَتِهِ
مَا أَنْ تَنْجَلِى[8] عَنْ أُفْقِكَ السُّحُبُ[9]

---

(١) أ: لذا.
(٢) الحلة؛ شجرة شاكة أصغر من العوسج. وهى اسم علم لعدة مواضع [راجع، ياقوت: معجم البلدان ٢/ ٢٩٤].
(٣) أ: نقى.
(٤) جـ: فيه.
(٥) جـ: لها.
(٦) أ: تكتسب.
(٧) المحاق؛ آخر الشهر إذا أمحق الهلال فلم ير [لسان العرب ٢/ ٤٤٦].
(٨) جـ: ينحلى. (٩) جـ: الحجب.

صَحَا السُّكَارَى وَسُكْرِى فِيكَ[1] دَامَ وَمَا
لِلسُّكْرِ[2] مِن سَبَبٍ يُرْوَى وَلاَ نَسَبُ

١٥ قَدْ أَيَّسَ الصَّبْرَ وَالسُّلْوَانَ أَيْسَرُهُ
وَعَاقَبَ الصَّبَّ عَنْ آمَالِهِ الوَصَبُ[3]

وَكُلَّمَا لاَحَ يَا دَمْعِى وَمِيضُ سَنىً
تَهْمِى وَإِنْ هَبَّ يَا قَلْبِى صَبًا تَجِبُ[4]

[المنسرح]

١ مَا صَادِحَاتُ[5] الحَمَامِ فِى القُضُبِ
وَلاَ ارْتِفَاعُ المُدَامِ بِالحَبَبِ

إلاَّ لِمَعْنىً إِذَا ظَفَرْتَ بِهِ
أَلْزَمَكَ الحَدُّ صُورَةَ اللَّعِبِ

مِنْ أَجْلِ ذَا فِى الجَمَالِ مَانَقَلَتْ
قَوْمًا عَنِ الْقَبْضِ بَسْطَةُ[6] الطَّرَبِ

---

(١) + أ: منك.

(٢) للسكر فى الاصطلاح معنيان، الأول: نشوة المحبة وغلبة الوجد والغناء عما سوى الله بفعل الجذب الإشراقى.. والمعنى الآخر: نشوة الأرواح بالتوحيد الشهودى فى عالم الذر، وهو المعنى الذى قال فيه ابن الفارض فى مطلع رائعته الخمرية:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

(٣) ج: وعاق (ذو) العتب من آماله السلب!

(٤) تهمى، تنهمر.. الصبا، ريح باردة.. تجب، تضطرب.

(٥) الأبيات التالية فى(أ) وليست بباقى النسخ الخطية. وهى فى جملتها خطاب من الشاعر للمريد المبتدئ، مشيرا لهذا المريد بالحقيقة الصوفية القائلة بأن كل ما فى الوجود، إنما هو تجليات الجمال الإلهى؛ ناصحا باتباع عشاق هذا الجمال.. أى مشايخ الطريق الصوفى.

(٦) القبض والبسط، كلمتان قرآنيتان (سورة البقرة، آية ٢٤٥) وهما عند الصوفية حالان متقابلان، فالقبض هو غلبة الخوف الناشئ من معرفة جلال الله تعالى، والبسط هو غلبة الرجاء بعد مشاهدة =

قَــدْ شَــاهَدُوا[1] مُطـلَقَ الجَـمَـال بلاَ
رَقِــيبِ غَـــيْـــرِيَّةٍ[2] وَلاَ حُـــجُبِ

٥ فَـــأُولَعُـــوا بِالـقُـدُودِ مَـــايسـةً
أَعْطَـافُـهَـا وَالـمَـبَـاسِمِ الشُّنُبِ[3]

وَافْــتَـتَـنُوا بَالـعُـيُــونِ إنْ رَمَــقَتْ
تَرْمِـى قِــسِـيًّـا بِأَسْـهُـمِ الهُــدُبِ

وَأَسْلَـمُــوا فِى الـهَــوىَ أَزِمَّــتَــهُمْ
طَوْعًـــا لِحُكْمِ الـكَوَاعِـب العُـــزُبِ

مَــا فِـى خَـبَـايَا غَـرَامِ أَنْفُـسِـهِمْ
شَـــائِبَـــةٌ مِـنْ شَـــوَائِبِ الرِّيَـبِ

قَـــدْ خُلِـقَتْ لِلـجَـمَـال أَعْـيُـنُهُمْ
وَطُهِّــرَتْ بِالـمَـدَامِعِ الـسُّــرُبِ[5]

= تجليات الجمال الإلهى (راجع : الرسالة القشيرية ص ٣٥، اللمع فى التصوف ص ١٥٦، اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص ١٢، اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ٣٧).

(١) الشهود عند الصوفية، هو رؤية الحق بالحق، ومعرفة شواهد الحق التى هى حقائق الأكوان الشاهدة بالمكون، الدالة عليه (انظر، القاشانى : اصطلاحات الصوفية ص ١٥٣، ١٥٤).

(٢) الغيرية : كل ما سوى الله.

(٣) الشنب؛ بياض الأسنان وبريقها.. والمعنى المراد هنا، أن الصور المستحسنة هى إشارات للجمال الأزلى. وتعلق الصوفى إنما يكون بجوهر الجمال، لا بظاهر صوره الحسية المتجلية فى الكون، وذلك ما أشار إليه التلمسانى فى البيت الثامن وما بعده.

(٤) كواعب؛ جمع «كاعب» وهى المرأة حين يبدو ثديها للنهوض (لسان العرب ٣/ ٢٦٦) والعزب؛ جمع «عازبة» وهى المرأة التى لا زوج لها ويقال «عزبت الأرض» إذا لم يكن بها أحد (لسان ٢/ ٧٦٣) وعادة ما يشير الصوفية بالكواعب.. على ما فى ذلك من معنى حسى ــ إلى تلك الواردات الإلهية التى تشرق عليهم فى خلواتهم.

(٥) يلاحظ هنا أن التلمسانى قد جعل «الدمع» بمثابة وضوء العين وطهارتها.. وانظر فيما يتعلق بالبكاء ودلالته الصوفية، ما نذكره فى تعليقاتنا الآتية.

١٠ مـــالاحَـظُوا رُتْبَــةً تقَـــيِّـــدُهُـمْ

وَهُمْ جَــمِـــيــعًـــا عُــمَـــارَةُ الـرُّتَبِ[١]

فَطُـفْ بِحَـــانَـاتِهِـمْ عَـــسَى قَـــبَسٌ

مِـنْ بَعْـضِ كَـــاسَـــاتِهـمْ بِـلا لَهَـبِ

تَصْـــرِفُ مِـنْ صَــرْفِــهَـــا هُـمُـــومَكَ أَوْ

تُصْـــبِحُ فِـى الـقَـــوْمِ[٢] مُلْـحَقَ النَّسَبِ

وَكُـنْ طُـفَـــيْـلَتَـــــهُمْ عَـلَى أَدَبِ

فَـــمَـــا أَرَى شَـــافِـعًـــا سِـــوَى الأَدَبِ

وَإِنْ تَـدَانَـيْـتَ مِنْ سُــــرَادِقِـــــهِـمْ

فَـاسْـجُـدْ لِعِـزِّ الجَـمَـالِ وَاقْـتَـرِبِ[٣]

١٥ وَغِـبْ حَنَانَيْكَ فِـى حُـــضُـــورِهِـمُ

عَنْـكَ فَـــمَنْ غَـــابَ عَـنْهُ لَـمْ يَغِـبِ[٤]

---

(١) الرتب؛ الأحوال والمقامات. . وهى الدرجات الروحية التى ينزل بها الأولياء فى الطريق الصوفى الممتد من الخلق إلى الحق: وللصوفية كلام مطول فى الأحوال والمقامات والفرق بينهما، فمن ذلك قول القاشانى: الحال ما يرد على القلب بمحض الموهبة، من غير تعمل ولا اجتلاب، كالحزن والخوف والبسط؛ فإذا دام وصار ملْكًا، سُمى مقاما «اصطلاحات الصوفية ص ٥٧) وللمزيد حول هذه النقطة، يمكن الرجوع إلى الفصول التى عقدها السهروردى فى ذلك بكتابه (عوارف المعارف، ص ٢٢٥ وما بعدها).

(١) القوم ـ فى الاصطلاح الصوفى ـ إشارة إلى الصوفية وأهل الطريق.

(٣) قوله تعالى: «واسجد واقترب. . العلق ١٦».

(٤) الغيبة؛ هى أن يغيب الصوفى من حظوظ نفسه فلا يراها (التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٤٠) وهى غيبة القلب من كل ما يجرى من أحوال الخلق، لاشتغاله بأمر الحق تعالى (ألفاظ الصوفية ومعانيها ص ٢٤٥). . والغيبة التى يشير إليها التلمسانى هنا، هى التى عرض لها الكلاباذى حين قال: وغيبة أخرى، وهى أن يغيب الصوفى عن الفناء والفانى، بشهود البقاء والباقى، فيكون الشهود شهود عيان، وتكون الغيبة غيبة عن شهود الضر والنفع. . لاغيبة استتار واحتجاب (التعرف ٤١) وذلك هو المراد فى إشارة التلمسانى إلى الغيبة فى الحضور.

[مخلع البسيط]

١ وَاصَلَنِى[1] هَجْرُ مَنْ أحِبُّ

فَلَمْ[2] يَغِبْ لاَ وَلاَ يَغِيبُ

فَلَوْ يَكُونُ السُّلُوُّ حَيًّا[3]

مَا مَاتَ مِنْ هَجْرِهِ المُحِبُّ

وَارَحْمَتَا لانْكِسَارِ جَفْنٍ

لاَ يَعْرِفُ الصَّحْوَ مِنْهُ هَدْبُ

جَارَ[4] عَلَيْهِ الخُمَارُ حَتَّى

أَتْلَفَهُ[5] وَالخُمَارُ صَعْبُ

٥ يَا غُصْنًا لاَ يَمِيلُ[6] نَحْوِى

وَالمَيْلُ فِى الغُصْنِ مُسْتَحَبُّ[7]

صَيَّرْتَنِى[8] كَالنَّسِيمِ سُقْمًا

لِمْ لاَ تَمِيلُ إذَا أَهُبُّ

(١) الأبيات فى أ، ج.

(٢) ج: قلم.

(٣) ج: فلو يكون للسلوحبا.

(٤) أ: جاز.

(٥) أ: أسقمه.

(٦) ج: يميل.

(٧) أ: يستحب.

(٨) = ج.

[مخلع البسيط]

١ أُحْكُمْ[1] فَفِيكَ العَذَابُ عَذْبُ
مَا بَعْدَ حُلْوِ الخِطَابِ خَطْبُ
لِى وَلَهٌ فِى هَوَاكَ فَارَ
وَدَمْعُ صَبٍّ عَلَيْكَ صَبُّ
وَمَا تَنَزَّهْتُ فِيكَ حَتَّى
فِيكَ نُزِّهْتُ[2] حِينَ أَصْبُو
وَأَمْكَنَنِى مِنْ لَمَاكَ بَرْقٌ
مِنَ الحَيَا لاَ يَكَادُ يَخْبُو
٥ يَا سَائِلِى عَنْ شَذَا نَسِيمٍ
قَمِيصُهُ بِالوِصَالِ رَطْبُ
ذَاكَ سَلاَمُ الحَبِيبِ وَافَى
فِى عَهْدِهِ لِلَّثَامِ قُرْبُ
إِذَا تَجَلَّى عَلَى النَّدَامَى
فَهْوَ لَهُمْ خُضْرَةٌ وَشُرْبُ
وَعَاذِلِى عَادَ لِى بِلُطْفٍ
تَكَادُ مِنْهُ الصَّبَا تَهِبُ
أَضْمَرَ غَدْرًا فَعَادَ عُذْرًا
إِذْ رُفِعَتْ لِلْمُحِبِّ حُجْبُ

---

(١) الأبيات فى أ فقط.
(٢) غير واضحة فى الأصل.

[الطويل]

١ رَوَتْ[١] نَفَحَاتُ الطِّيبِ عَنْ نَسْمَةِ الصَّبَا
حَدِيثَ غَرَامٍ عَنْ سُوَيْكِنَةِ الخِبَا[٢]

وَأَهْدَى النَّسِيمُ الحَاجِرِيُّ[٣] سَلاَمَهَا
فَيَا لُطْفَ مَا أَهْدَى النَّسِيمُ وَمَا حَبَا

أَيَا صَاحِبِي مَا لِلْحِمَى فَاحَ نَشْرُهُ[٤]
فَهَلْ سَحَبَتْ لَيْلَى ذيولاً عَلَى الرُّبَا

فَمَاذَا الشَّذَا إِلاَّ وَقَدْ زَارَ طَيْفُهَا
فَأَهلاً بطَيفٍ زَارَ مِنْهَا وَمَرْحَبَا

٥ فَيَا طِيبَ عَيْشٍ مَرَّ لِي بِفِنَائِهَا
وَلَوْ عَادَ يَوْمًا كَانَ عِنْدِيَ أَطْيَبَا

لَيَالِيَّ أُنْسٌ كُلُّهَا سَحَرٌ بِهَا
وَأَيَّامُ وَصْلٍ كُلُّهَا زَمَنُ الصِّبَا

مُمَنَّعَةٌ رَفْعُ الحِجَابِ وَضَوْءُهَا
كَفَاهَا فَمَا تَحْتَاجُ أَنْ تَتَنَقَّبَا[٥]

---

(١) الأبيات فى أ فقط.

(٢) سويكنة؛ تصغير (ساكنة) والخبا، مخفف (خباء) وهو من بيوت الأعراب التى تتخذ من وبر أو صوف (لسان العرب ١/ ٧٨٩).

(٣) الحاجر؛ منزل من منازل الحاج فى البادية (لسان ١/ ٥٧٣) وهو فى لغة العرب؛ ما يمسك الماء من شفة الوادى (معجم البلدان ٢/ ٢٠٠٤).

(٤) النشر؛ الريح الطيبة.

(٥) فى الحديث الشريف: إن لله سبعين حجابا من نور.. (أخرجه: مسلم، باب الإيمان ٢٩٣ - ابن حنبل، المسند ٤/ ٤٠١، ٤٠٥ - ابن ماجة، المقدمة ١٣).

هِىَ الشَّمْسُ إلاَّ أنَّ نُورَ جَمَالِهَا
يُنَزِّهُهَا فِى الحُسْنِ أنْ تَتَحَجَّبَا
لَئِنْ أَخْلَفَ الوَسْمِىُّ[1] مَاحِلَ تُرْبِهَا
فَقَدْ رَاحَ مِنْ دَمْعِ المُحِبِّين يَخْصِبَا

[الكامل]

١ لَوْلاَ[2] الحَيَاءُ وأنْ يُقَالَ صَبَا[3]
لَصَرَخْتُ مِلْءَ السَّمْعِ وَاطَرَبَا
حَضَرَ[4] الحَبِيبُ وَغَابَ حَاسِدُنَا[5]
مِنْ بَعْدِ طُولِ تَحَجُّبٍ وَخَبَا[6]
فَاليَوْمَ أَخْلَعُ فِيكَ يَا أَمَلِى[7]
ثَوْبَ[8] الوَقَا وَأَطْرَحُ الرُّتَبَا[9]

---

(١) الوسمى، مطر أول الربيع، وهو بعد الخريف. سُمى بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات، فيصير فيها أثرا ووسما فى أول السنة (لسان العرب ٣/ ٩٢٨).

(٢) الأبيات فى أ، ج.

(٣) اعتادت العرب أن تقول لمن كفر: إنه «صبا» وهى الكلمة التى كانت دوما تقال للنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى بداية دعوته للإسلام.. والصابئة فرقتان مختلفتان تماما، الأولى صابئة بغداد (المندائية) وهى فرقة يهودية نصرانية والثانية صابئة حران (عبدة الكواكب) وهى فرقة وثنية عاشت زمنا طويلا فى ظل الدولة الإسلامية، وشارك رجالها فى مسيرة العلم بديار المسلمين.

وتذهب صابئة حران إلى أن لهم أنبياء، هم: أغاذيمون وهرمس وأورفيوس، وهم يقولون بأن للعالم صانعا لا يمكن الوصول إلى جلاله مباشرة، بل لا بد من توسط أرواح الكواكب السبع السيارة، لذلك جعلوا أماكن عبادتهم على شكل هياكل سبعة، لم يبق حتى القرن الخامس الهجرى منها إلا هيكل القمر.. (راجع دائرة المعارف الإسلامية، مادة صابئة ـ كارديفو ـ الترجمة العربية ١٤/ ٨٩ وما بعدها).

(٤) أ: حضروا. (٥) ج: حاسده. (٦) أ: وغبا!

(٧) ج: يا منى أملى. (٨) ج: فيك. (٩) ج: الريبا.

[المنسرح]

١ قُمْ[1] فَاسْقِنِى مِنْ يَدَيْكَ صَافِيةً[2]

خَدُّكَ يَكْسُو شُعَاعَهَا لَهَبَا

كَأنَّ مَاءَ[3] الصَّفَاءِ قَابَلَهَا

مِنْكَ ابْتِسَامٌ فَمَثَّلَ الحَبَبَا

فَهَا أنَا[4] فِى الحُضُورِ مُنْتَهِزٌ

يَا مُنْيَةَ النَّفسِ غَيْبَةَ الرُّقَبا

مِنْ عَجَبٍ أَنَّنِى[5] أُزِيدكَ[6] مِنْ

شُرْبِى[7] وَسُكْرِى عَلَى قَدْ غَلَبَا

[الكامل]

١ أَهلاً[7] بمُعْتَلِّ النَّسِيمِ ومَرْحَبا

ومُذَكِّرِى عَهْدَ الصَّبَابَةِ والصِّبا

حَمَلَ التَّحِيَّةَ عَنْ أُهَيْلِ المُنْحَنَى[8]

وأَبَانَ عَنْهُمْ بالمَقَالِ وأعْرَبا

---

(١) فى المخطوطتين، اتصلت الأبيات دونما فواصل، وربما أدت القافية المتشابهة إلى خلط هذه الأبيات بسابقتها . . ولما كان البحر العروضى مختلفا، فقد فصلنا كلا منهما عن الأخرى.

(٢) الصافية، الخمر . . يشير بها التلمسانى هنا إلى الواردات الإلهية.

(٣) ب: كأنما.

(٤) أ: فهانا (٥) . . أن

(٦) أ: استزيدك، ج: أسريك!

(٧) ج: قرى.

(٨) الأبيات فى أ فقط.

(٩) المنحنى، موضع . . يشير به التلمسانى إلى عالم الملكوت.

فَــعَــرَفْتُ عَــرْفَــهُمُ[1] بِهِ لَـكِنَّنِى

أَنْكَـرْتُ صَـبْــرًا عَـنْ عُــهُــودِىَ نَكَّبَــا

يَا عَــاذِلِى كُـنْ عَــاذِرِى فِـى حُــبِّــهِمْ

لَـمْ أَلقَ لِـلسُّـلْوانِ عَنْـهُمْ مَــذْهَبَــا

٥ لاَ تَلْح[2] فِــيْــهِمْ مُــغْــرَمًــا أَلِفَ الـضَّنَا

يَجِــدُ السَّــقَــامَ بِـهِمْ لَذِيـذًا طَـيِّــبَــا

نَزَلَ الـغَــرامُ بِـهِ فَــرَحَّـلَ صَــبْــرَهُ

عَنْهُ وَخَــيَّــمَ فِى حَــشَــاهُ وَطَنَّبَــا

غِــبْــتُمْ وَأَنْـتُمْ حَــاضِــرُونَ بِمُـهْـجَـتِى

أَفَــدِى الحُــضُــورَ بِمُهْـجَـتِى وَالغُــيَّــبَــا

[المنسرح]

١ مَــاهَبَّ[3] مِنْ نَـحْــوِكُمْ نَـسِـيمُ صَـبَــا

إِلاَّ وَأَذْكَى بِمُــهْــجَــتِى[4] لَهَــبَــا

وَلاَشَــدَا مُـطْـرِبٌ بِـذِكْــرِكُـمُ

إِلاَّ[5] وَنَـادَى الـمَــشُــوقُ وَأَطَرَبَـا

---

(١) العرف، الرائحة.

(٢) اللحو، اللوم والعذم. . والملاحاة، كالسباب والشتم (لسان العرب ٣/ ٣٥٤).

(٣) الأبيات فى أ، ج وساقطة من ب.

(٤) ج: لاضلعى.

(٥) ـج.

وَلاَ تَذَكَّرْتُ عِيشَةً سَلَفَتْ

بِالخَيفِ[1] إلاَّ وَقُلْتُ وَاحَرَبَا[2]

لاَ نَالَ مِنْكَ المَشُوقُ بُغْيَتَهُ[3]

إنْ كَانَ يَوْمًا إلى سِوَاكَ صَبَا

٥ يَا حَبَّذَا لَوْعَتى عَلَيْكَ[4] وَيَا

بُشْرَاىَ إنْ مُتُّ فِيكَ[5] مُكْتَئِبَا

أَحْبَابَنَا[6] هَلْ بِقُرْبِكُمُ أَمَلُ

أَمْ هَلْ بِوَصْلِكُمُ أَرَى سَبَبَا

آهًا لأَيَّامِنَا بِقُرْبِكُمُ

وَطِيبِ عَيْشٍ بِوَصْلِكُمْ ذَهَبَا

يا سَائِقَ العِيسِ[7] نَحْوَ كَاظِمَةٍ

أَبْلِغْ[8] سَلاَمِى لِنَازِلِينَ قُبَا[9]

وَقُلْ قَضَى ذَلِكَ[10] المَشُوقُ بِكُمْ

وَمَا قَضَى مِنْ وِصَالِكُمْ أَرَبَا

---

(١) الخيف، ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع من مسيل الماء، ومنه سمى مسجد الخيف فى منى.. والخيف المشار إليه هنا، هو بطحاء مكة (معجم البلدان ٢/ ٤١٢).

(٢) أ: واخربا.

(٣) ج: مطلبه. (٤) - ج.

(٥) ج: فيك كئيب. (٦) = ج.

(٧) العيس، الإبل. (٨) ج: بلغ.

(٩) قباء، مواضع عديدة.. المشار إليه هنا، مسجد الرسول المشهور الذى وردت فى فضله أحاديث كثيرة، وفيه كانت أول صلاة جمعة فى الإسلام.

(١٠) أ: ذاك.

[الطويل]

١ قِفَـا[1] بالـمَـطَايَا بَيْنَ نَجْـد وَشِـعْبِـه[2]
نُؤَدى تَـحِـيَّـاتِ الـغَـرَامِ لِـصَـبِّـه

فَـبَـيْنَ رُبَـا تِـلْكَ الـرُّبُـوعِ مَنَـازِلٌ
لِعَـلْوَةَ[3] مَـاءُ الـدَّمْعِ أَكْـثَـرُ شُـرْبِه

إذَا مَـا الـتَـثَـمْنَا بِالـنَوَاظِـرِ تُرْبَـةً
تَمَـسَّكَـتِ الأَجْـفَـانُ مِنَّا بِتُـرْبِهِ

أَجِـنُّ إلَيْـهَـا وَهْيَ قَـلْبِى وَهَلْ تَـرَى
سِـوَاىَ أَخُـو[4] وَجْـدٍ يَـحِنُّ لِقَلْبِـهِ

٥ وَيُـحْـجَبُ طَـرْفِـى عَنْـهُ إذْ هُـوَ نَاظِـرِى
فَـمَـا بُـعْـدُهُ إلاَّ لإِفْـرَاطِ قُـرْبِهِ

[الطويل]

١ أَيَا[5] عَـرَبَ الجَـرْعَـاءِ مَنْ أَيْمَـنِ الشِّـعْبِ
بِكُـمْ لاَ بِشَىءٍ غَـيْـرِكُمْ شَـغَفُ الـصَّبِّ

أَلَمْ تَـعِـدُونَا أَنْ نَرَاكُـمْ بِذِى الغَـضَـا
أَظُـنُّكُـمُ تَعْـنُـونَ أَنَّ الغَـضَـا قَـلْبِى

---

(١) الأبيات فى أ فقط.

(٢) الشِّعب، الطريق فى الجبل، وكل ما انفرج بين جبلين، والشِّعب هنا، ماء فى طريق مكة (معجم البلدان ٣/ ٣٤٧).

(٣) علوة، معشوقة عربية.

(٤) غير واضحة فى ج.

(٥) الأبيات فى أ فقط.

غَــرَامًــا بِكُمْ والنَّارُ يَـضْـرِمُـهَــا الصَّـبَــا

أَقَـــولُ عَـلَى نَارِى بِـكُمْ لِـلـصَّـبَـــا هُـبِّى

وَوَجْـــــدًا إذا مِـلْتُـمْ إلـىَّ مَعَ الـهَـــوَى

أقـــولُ اعــتــذارًا يَـحْــسُنُ الميلُ للـقُــضْبِ

٥ وَإنْ تُوقِــدُوا نَارَ الحَــرِيقِ فَكَمْ أَضـا

وَنَارُ فُـــؤادِى فِى حَــشَـــا الْوَالِهِ الـصَّبِّ

وَإنْ تَجِــدُوا بِالـشِّـعْـبِ سَـيْــلاً وَلُجَــةً

فَــأَنْتُمْ بِمَـجْــرَى الدَّمْعِ يَاسَــاكِنِى قَـلْبِى

سَــبَـتْنَا الجُـفُــونُ البَــابِلِيَّـاتُ مِنْكُمُ

وَإنَّ(١) لُبَـــانَاتِ(٢) اللُّبَـــاءَةِ فِـى الحَبِّ

[نُصَـيْـصٌ فَــهَــلاَّ لِلرَقِــيبِ وَعَــاذِلٍ

لِكَيْـمَـا يَبِيـتَـا فِى عَــذَابٍ وَفِى نَصْبِ](٣)

غَــــزَالُكُمُ ذَاكَ الـمُــــمَنَّعُ وَصْلُـهُ

أَبَاحَ حِـــمى دَمْــعِى وَبَـالَغَ فـى نَهْــبِى

١٠ هُـوَ الظَّـبْـىُ لا صَــــائِـدُ الـظَّـبْىِ لَحَظُـهُ

وَيَا مَـا أُحَـيْـلاَ الصَّـيْـدَ فى شَـرَكِ الهُدْبِ

---

(١) + أ: وهن.

(٢) اللبانات؛ جمع لبنة.. واللبن فى اللغة: الضرب الشديد!

(٣) ما ورد فى هذا البيت غريب كل الغرابة عن الإطار العام لشعر الصوفية، فهم كثيرا ما يذكرون فى شعرهم ما يعانون من لوم الرقيب والعاذل؛ لكنها المرة الأولى التى نرى فيها تمنى النصَب والعذاب لهما.. وربما كان هذا البيت مدسوسا على سياق القصيدة.

حَـــلاَ لحَظُهُ وَالــمُـــرُّ فِـى الحُبِّ وَصْلُهُ

وَلَمْ تَـحْلُ حَــتَّـى مَــرَّ فِى رِيقِــهِ العَــذْبِ

عَلَى عِـطْفِــهِ حَــتَّى مِنَ الـوُرْقِ غَـيْـــرَتِى

أَلَمْ تَـرَهَا هَـاجَتْ عَـلَى الغُـــصُنِ الـرَّطْبِ

فَـــإنْ ذَبَـلَتْ أَجْــفَـــانُـهَـــا وَهْىَ نَـرْجِسٌ

فَــمِنْ طولِ مَـــا أَدْمَنْتُ فِــيــهِنَّ مِنْ شُــرْبِ

وَمِنْ عَـــجبٍ وَهْىَ الكُئُــوسُ فَــمَـــالَـهَـــا

إذَا كُـسِّـرَتْ صَـحَّتْ وَدَارَتْ عَلَى الـشَّـرْبِ

١٥ فَــــهَلْ عَــــــوْدَةٌ فِـى لَيْـلَـةٍ مِنْ ذَوابَـةٍ

عَنِ الـبَـدْرِ مِـنْ ظَلْمَـــائِهَـــا دَائِمًـــا تُنْبِى

تَـرَقَّى بِـهَـــا قَلْبِى إلـى سِـــرِّ وَقْـــدِه

سَـــلاَمٌ عَلـى مَنْ تَحْـتَــهُ سُــبَـحُ الرُّطْبِ[1]

أَرَادَ[2] تَـولِّى الحَـلِّ وَالعَـــــقْـــــدِ عِنْـدَهُ

فَجَـارَ عَلَى الـمسَـجْوُنِ مَنْ مُـقْتَـضَى الجَذْبِ

دَعَـــانِى انْكِسَـــارُ الجَــفْنِ مِنْهُ لِـضَـمَّـــةٍ

فَـجَـاوَبَنِـى: مَـا لِلغُـصُـونِ سِـوَى الهُـضْبِ

وَغَـــرَّدْتُ تَـغْـــرِيدَ الحَـــمَـــامِ تَـوَصُّـــلاً

إلَيْــهِ لِــمَـــا بَـيْنَ الحَـــمَـــائِمَ وَالقُـــضْبِ

(١) + أ: سلم من. . وشطر البيت: على محفة السبح الرطب! والسبح، موضع السجود (راجع المزيد من معانى الكلمة فى: لسان العرب (٢/ ٨١، ٨٢، ٨٣).

(٢) صدر البيت غير واضح فى الأصل.

٢٠ وَقُلْتُ زَكَاةُ الحُسْنِ فَرْضٌ فَقَالَ مَا
تَمِيلُ[١] الغُصُونُ الوُرْقُ إلاَّ عَلَى النُّدْبِ

[المجتث]

١ يَا سَاكِنِينَ[٢] بِقَلْبِى
مَتَى أَفُوزُ بِقُرْبِ
سَلَبْتُمُونِى ولَكِنْ
أَنَا السَّعِيدُ بِسَلْبِى
يَا عُرْبَ وَادِى[٣] المُصَلاَّ
لأَنْتُمُ خَيْرُ عُرْبِ
نَزِيلُكُمْ مُسْتَهَامٌ
مُوَلَّهُ القَلْبِ مَسْبِى
٥ وَلَسْتُ أَسْلُو هَوَاكُمْ
حَاشَا غَرَامِى وَحُبِّى
إذَا رَضِيتُمْ تَلاَقِى
فَذَاكَ مَطْلُوبُ قَلْبِى
رُوحِى لَكُمْ إنْ قَبِلْتُمْ
وَالرُّوحُ جُهْدُ المُحِبِّ

---

(١) فى الأصل: يخيل.
(٢) الأبيات فى أ، ج.
(٣) أ: بان.

أَنْتُمْ ذَخِيرَةُ قَلْبِى
يَوْمَ الْمَعَادِ وَحَسْبِى
عَشِقْتُكُمْ وَبِحَقِّى(١)
إن تُهْتُ مِنْ فَرْطِ عُجْبِى
١٠ وَمِلْتُ سُكْراً وَلَمْ لا
وَمِنْكُمُ كَانَ شُرْبِى
وَقَدْ سَقَانِى حَبِيبِى
وَخَصَّنِى دُونَ صَحْبِى
وَلَسْتُ بَعْدَ عِيَانِى
جَهْراً سَنَا وَجْهُ رَبِّى
أَصْبُو لِزَنْدٍ وَبَانٍ
وَذِكْرِ غَارٍ وَكُثْبِ(٢)

[مجزوء الخفيف]

١ هَاكَ قَلْبِى فَسِرْ بِهِ
لِلْحِمَى دُونَ سَرْبِهِ
فَلَكَمْ فِى خِيَامِهِ
مِنْ فَقِيدٍ لِقَلْبِهِ

---

(١) أ: وبحق.

(٢) الرند والبان والغار والكثبان ـ وغيرها ـ من مظاهر الحسن التى تشير إلى جمال الذات الإلهية.. وهنا، وقد وصل التلمسانى إلى معاينة الجمال ذاته، فهو لم يعد ينظر إلى هذه المظاهر المتجلية فى الكون، لوقع العين على العين.

وَتَعَـــــرَّضْ بِـذَى الـنَّقـــــا
لِـلصَّـــبَـــا فِـى مَـــهَـــبِّـــهِ
فَـــهْـــوَ نَـشْـــرٌ مُـــعَطَّـرٌ
بِـشَــــذَا نَـشْــــرِ عُـــرْبِـهِ
٥ وَإِذَا مَـــــــا دَعَـــــاكَ
داعِــى هَــوَاهُــمْ فَـلَـبِّـــــــهِ

[الطويل]

١ عُـيُـونَ[1] الحَـيَـا جُـوْدِى لِتُـرْبَةِ يَثْـرِبِ
بِدَمْـعٍ هَتُـونٍ وَدْقُـهُ[2] مُـتَـصَـوِّبِ
عُـودِى[3] بِطِيـبٍ مِنْ سَـلاَمِى طِـيـبُـهُ[4]
نَسِـيمُ الصَّـبَـا النَّجْـدِىِّ يَا خَـيْـرَ طَيِّبِ
بِلاَدٌ بِـهَـا لِلْوَحْىِ مَـرْبَـا[5] وَمَـرْبَعٌ[6]
وَمُنْتَـجَـعُ الغُـفْـرانِ[7] عَنْ[8] كُلِّ مُـذْنِبِ

---

(١) فى هذه الأبيات: يتعرض التلمسانى للكلام عن حقيقة النبى - عليه الصلاة والسلام - كما يراها الصوفية، ويسهب فى بيان النبى وفقا لنظرية الإنسان الكامل.
(٢) الودق؛ المطر... وهى كلمة قرآنية وردت فى الكتاب العزيز مرتين (النور آية: ٤٣، الروم آية: ٤٨).
(٣) ب، ج: عاد.
(٤) ب: نشره.
(٥) ب: صربا.
(٦) ج: مرتع. (٧) ب: الفرقان.
(٨) ج: عنى. (٩) ب: مذهب.

وَحَيْثُ[1] الكَمَالُ[2] الطَّلْقُ والـمَـرْكَزُ[3] الَّذى
إليْـه انْـتَـهى[4] دَوْرُ الـمُـحِيطِ الـمُكَوْكَبِ

٥ أَفَـاضَـتُـهُ أَنْـوَارُ الغُـيُـوبِ[5] عَلَى[6] الوَرَى
إفَـــاضَـــةَ[7] وَهْبٍ خَـــارِجٍ عَنْ تَكَـسُّبِ

فَـأَخْـبَـرَ عَـمَـا غَـابَ بِالـشَّـاهِدِ الَّذى
يُبَـــرْهِنُ[8] بِالإعْـــجَـــازِ فِى كُلِّ مَطْـلَبِ

إذَا نَـظَرَتْ عَـــيْـنا بَصِـــيـــرَتِهِ إلـى
حَـقِـيْـقتـه الـمُـثْلَى فَـأَحْـسِنْ[9] وَأَطِيبِ

يَرَى بَرْزَخَ البَـحْـرَينِ[10] كَـوْنًا مُكَوَّنًا[11]
وَمَطْلَعَـهُ[12] فِى حَـدِّهِ[13] الـمُـتَـرَتِّبِ[14]

---

(١) ب: حيث.

(٢) ب: الركاب.

(٣) ب: المركب، ج: المركن.

(٤) ـ أ.

(٥) ب: العيون.

(٦) ج: عن.

(٧) ب: أفاضت.

(٨) ب: ترهب.

(٩) أ: محقق.

(١٠) ب: الكونين.

(١١) ب: كون مكون.

(١٢) أ: مطلعها.

(١٣) جـ: خده.

(١٤) وفقا لنظرية [الإنسان الكامل] فإن حقيقة صاحب هذا المقام تجمع بين الحقائق العلوية والحقائق السفلية، فهو البرزخ الجامع للبحرين.. وهو المقابل بحد كماله، سائر حقائق الوجود [راجع التناول التفصيلى لهذه النظرية فى كتابنا: الفكر الصوفى.. ٦٥ وما بعدها].

فَيَأْخُذُ مِنْ هَذَا لِهَذَا[1] بِحَقِّهِ[2]
عَلَى نَسْبَةٍ مَحْفُوظَةِ الأُمِّ وَالأَبِ[3]

١٠ س عَلَى يَدِّ مَعْنَاهُ يَمُرُّ وُجُوبُهُ
لإِمْكَانِهِ[4] مَرَّ[5] السَّحَابِ المُصَوِّبِ

فَيَقْبَلُ مِنْهُ[6] قَابِلٌ[7] حُكْمُ فَاعِلٍ
بِمَضْمُونِ مِيرَاثِ الكَمَالِ المُهَذَّبِ

وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا التَّوَسُّطِ[8] مُثْبِتًا
عَلَى النَّاسِ حَقًّا أَوْ تَمَيُّزَ مَنْصِبِ

---

(١) ب : بهذا.

(٢) ب : لحقه.

(٣) النسبة المشار إليها هنا، هى نسبة الخلق والاختراع فى عالم المخلوقات، وهى محفوظة الأم والأب، باعتبار أن وقوع فعل الإيجاد يكون وفقا لما هو مسطور أزلا فى «اللوح المحفوظ» بفعل «القلم الأعلى». . وبخصوص الدلالة الصوفية لكلمتى «اللوح والقلم» يمكن الرجوع إلى: اصطلاح الصوفية لابن عربى ص ١٤/ اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ٧٣/ الإنسان الكامل للجيلى ٢/ ٥ وما بعدها/ ألفاظ الصوفية للدكتور حسن الشرقاوى ص ٢٧٧/ المعجم الصوفى للدكتورة سعاد الحكيم ص ٣١٤.

(٤) للوجوب والإمكان مباحث مطولة فى الفكر الإسلامى الفلسفى والصوفى: والإشارة هنا إلى ما يعرف بقاعدة انتقال الأشياء من وجودها العلمى الكامن فى اللوح المحفوظ، إلى وجودها العينى الحادث. . وهناك فى الأكوان! فالأول وجود واجب، والآخر وجود ممكن. الأول وجود قديم، والآخر وجود حادث. . وهناك دلالة أخرى لما يشير إليه التلمسانى، وهى أن الحقيقة الأزلية للنبى (الواجب) تتجلى على وجوده الجسمى الزمانى (الممكن) تجليا متواترا، يشبهه التلمسانى بمر السحاب.

(٥) ج : من.

(٦) ج : عنه قاتل.

(٧) القابل : المخلوقات!

(٨) التوسط : الحقيقة المحمدية التى هى واسطة وجودية بين الخلق والخالق.

وَلَكِـنْ يَرَى(1) أَنْ(2) لَيْـسَ حَـــوْلٌ وَقُـــوَّةٌ

بِغَـيْرِ الجَـوَادِ(3) الـمُطْلَقِ الجُـودِ فَاعْـجَبِ(4)

وَمَــــا ذَاكَ إلاَّ أَنَّ نُكْـتَــــةَ قَلْبِــــهِ

أُزِيلَ بِهَـــا دَاعِى الهَـــوَى وَالتَّـــحَـوُّبِ(5)

١٥ فَــهَــذَا لَهُ مَــعْنَى(6) الـمَـقَـامِ مُـغَـيَّبٌ

وَلَـمْ يَكُ عَـنْهَـــا أَهْلُهُ بِـمُـــغَـــيَّبِ

إِذَا صُــــفَّـتِ الأَقْــــدَامُ مِنَّا وَأَمَّـنَـا

صَــلاةَ(7) شُـهُــودٍ لاَ صَــلاَةَ تَحَــجُّبِ(8)

مَــضَى لَمْ يُـعَــقِّبْ دَانِيًــا مِنْ شُــهُــودِهِ(9)

بِنَـا وَمَــــضَـــيْنَـا خَلْفَــــهُ لَمْ نُـعَـــقِّبِ

أُولـئكَ وُرَّاثُ الـنَّبِـىِّ شَـــــهَـــــادَةً

وَغَـيْــبًـا وَلَيْـسَ البَـرُ مِـثْلَ الـمُـقَـرَّبِ(10)

---

(1) أ: ولد ير. (2) ج: إذ.

(3) فى أ (الكمال) . . والجواد هنا: الله تعالى.

(4) أ: فارغب.

(5) الحوبة: الذنب . . وفى الحديث الشريف: اللهم ارحم حوبتى!

(6) أ: دار، +أ: معنى. (7) أ: صلوة.

(8) للصوفية نظرتهم الخاصة للعبادات، فهم يرون أن فروض التعبد، لا ينبغى لها أن تقف عند حد الظاهر. فالصلاة عندهم ليست حركات وسكنات وكلمات يعجل بها طرف اللسان، وإنما تنضاف إلى ظواهرها حقائق تجعل منها «صلاة شهود» لا تحتجب بالشكل الظاهر عن حقيقة هذا الفرض. . وقد أسهب ابن عربى فى تناول حقائق الصلاة فى كتابه [الفتوحات المكية] كما توسع الجيلى من بعده فى الكلام عن تلك الحقائق. راجع كتابنا: عبد الكريم الجيلى فيلسوف الصوفية [الهيئة المصرية العامة للكتاب، أعلام العرب، ص ١٠٣ وما بعدها].

(9) أ: لشهوده.

(10) المقرب؛ هو الولى الكامل. وهى تسمية أخذها الصوفية من الحديث القدسى: ما زال عبدى =

وَتِلْكَ سَبِيلٌ قَدْ دَعَا بِبَصِيرَةٍ
لَهَا وَدَعَوْنَا كُلَّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ[1]

٢٠ فَذَلِكَ دَاعِى اللَّه بِالْمَنْهَجِ الَّذِى
بِهِ صُورَةُ التَّكْمِيلِ فِى كُلِّ مَذْهَبِ

شَرِيعَةُ حَقٍّ حَقُّ كُلِّ شَرِيعَةٍ
مَقَامُ خُصُوصٍ عَنْ عُمُومٍ مُرَتَّبِ

مُشَارًا إِلَيْهِ صُورَةً مِنْ جِهَاتِهَا
جَمِيعًا وَمَعْنىً مِنْ حَقَائِقِ غُيَّبِ

[السريع]

١ يَاحَبَّذَا[2] الكَاسُ بِكَفِّ الحَبِيبْ
أَذَابَتِ[3] الأَنْوَارَ وَسْطَ اللَّهِيبْ

وَحَبَّذَا الرَّاحُ الَّتِى لَمْ تَزَلْ
تَصْرِفُنِى بِالسُّكْرِ[4] حَتَّى أَغِيبْ

= يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . . » والقرب فى مفهومه الصوفى يقترن دوما بالكشف، ولهذا جعل ابن سبعين عنوان كتابه الأشهر «بدء العارف وعقيدة المحقق المقرب الكاشف» ثم مضى فى فصول الكتاب يفصل حقائق هذا المحقق المقرب .

(١) فى أ جاء البيتان على النحو التالى :

وتلك سبيل قد دعا ببصيرة إليها ودعونا كل ناء وأقرب!
وليست عموما بل خصوصا لفتية هم ما هم فى كل شرق ومغرب!

(٢) الأبيات فى أ، ب .

(٣) أ : إذا أثبت .

(٤) أ : فى السكر .

يَا غُصْنَ البَانِ[1] أَدِرْ وَرْدَهُ
والوَرْدُ فِى البَانِ لَعَمْرِى عَجِيبْ
وَنَاوِلِ الأَقْمَارَ شُهْبَ الدُّجَى[2]
يَا شَمْسُ وَالأَمْرُ أَيْضًا غَرِيبْ
٥ أَفْدِيكَ مَا فِى صَبْوَتِى رِيبَةٌ
وَلا لِسُلْوَانِى بِقَلْبِى نَصِيبْ
فَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ سِوَى[3] جَفْوَتِى
فِعْلُ[4] حَبِيبى كُلُّهُ لِى[5] حَبِيبْ

[المجتث]

١ يَا نَسْمَةَ[6] البَانِ هُبِّى
عَلَى رُسُومِ[7] المُحِبِّ
وَمَا عَلَيْكِ إذَا مَا
وَقَّدْتِ نِيرَانَ قَلْبِى
إنْ تَكْتُمِى سِرَّ لَيْلَى
فَطِيبُهَا عَنْهَا يُنْبِى

(١) أ: يا غصن بان.
(٢) ب: الدجا.
(٣) ب: سوا.
(٤) ب: تجعل. (٥) أ: له.
(٦) الأبيات من أ.
(٧) الرسوم: جمع (رسم) وهو بقية الأثر، ورسم الدار: ما كان من آثارها لاصقا بالأرض [لسان العرب ١/ ١١٦٧].

أَوْ لاَ فَمَا لِشَذَاهَا
يُسْبِى العقولَ ويُصْبِى

٥ أَهْدَتْ إلىَّ حَدِيثًا
فَهِمْتُهُ دُون صَحبِى

فحَلَّ فِى الحَالِ سَلْبِى
دُونَ الجَمِيعِ ونَهْبى

يَا طَالِباً حَىَّ لَيْلَى
ذَاتِى حِمَاها فَطُفْ بِى

ونَادِ بَاسْمِى تَجِدْهَا
عَلَى لِسَانِى تُلَبِّى

[الطويل]

١ أَمَالِكَ[1] رِقِّى لاَ تَلُمْ عَاشِقًا صَبَا
فَحُسْنُكَ لِلألْبَاب يَا مُنْيَتى سَبَا

وَإنْ يَكُ فَرْطَ عِشْقِى فَطَاعَتِى
هَوَاكَ شَفِيعٌ لِى إذَا مِتُّ مُذْنِبا

وَهَبْ أَنَّ ذَاكَ[2] الحُسْنَ عَنِّى مُحَجَّبٌ
أَلَيس برِيَّاهُ سَرَتْ نَسْمَةُ الصَّبَا

فَدَيْتُ[3] حَبِيبًا رنَّحَ السُّكْرُ عِطْفَهُ
فَمَاسَ بِغُصْنٍ مَا رأَت مِثْلَهُ الرُّبا

---

(١) الأبيات فى أ فقط .

(٢) ج : ذاك أن . (٣) أ : قديت .

٥ يُجَــرِّدُ مِنْ أَجْــفَــانِه السُّــودِ أَبْيــضَــاً

أَرَاقَ دمَــا(١) العُــشَّــاقِ طُرّاً ومَــانَبــا

جَــلاَ خَــدُّهُ لِى كَــاسَ رَاحٍ وإِنَّمَــا

بدُرِّ اللَّمَى(٢) الـمَـعْسُولِ حُسْنًا(٣) تَحبَّبا

تَسَتَّــرْتُ بِالأَسْــقَــامِ فِــيــه فَــمُــذْ بَدَا

ظَهَرْتُ كَمَا فِى الشَّمْسِ قَدْ يظْهَرُ الهَبا

وَأَكْــسَــبَنِى حُــسْنًا وَلاَ غَــرْوَ إِنَّمَــا

لِكُلِّ مَلِيحٍ(٤) مِنْهُ مَــا قَــدْ تَكَسَّبــا(٥)

وَإِنِّى لَذَاكَ(٦) الـمُـغْــرَمُ العَــاشِقُ الَّذِى

إِلَى غَــيْرِ ذَاكَ الـمُطْلَقِ الحُسْنِ مَاصَبــا

---

(١) أ: دم.

(٢) اللما.. واللمى: سمرة الشفتين واللمياء من الشفاه: اللطيفة القليلة الدم (لسان العرب ٣/ ٤٠١).

(٣) أ: لى قد.

(٤) ج: محب.

(٥) يرى الصوفية أن الكون مجلىً للجمال الإلهى، فكل مظاهر الحسن فى الوجود، إنما هى آثار جمال الذات الإلهية. وإلى هذا المعنى تنوعت إشارات الصوفية فى أشعارهم، فمن ذلك قول ابن الفارض:

فكل مليح حسنه من جمالها — معار له بل حسن كل مليحة

[ديوان ابن الفارض، التائية الكبرى، بيت ٢٤٢]

وفى نفس المعنى يقول عبد الكريم الجيلى:

تجلى حبيبى فى مرائى جماله — ففى كل مرئى للحبيب طلائع

فلما تجلى حسنه متنوعا — تسمى بأسماء فهن مطالع

وأبرز منه فيه آثار وصفه — فذلكم الآثار من هو صانع

[النادرات العينية، أبيات ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨].

(٦) ج: وها أنا ذاك.

١٠ يُرَنِّحُهُ بِالأَبْرَقِ الفَرْدِ[١] بَارِقٌ
وَيُصْبِيهِ فِى[٢] نُعْمَانَ[٣] مِنْ عَلْوَةٍ[٤] نَبَا
إِذَا رُمْتَ أَنْ تُبْدِى مَصُونَاتِ سِرِّهِ
فَحَدِّثْ بِذَاكَ الحَىِّ عَنْ ذَلِكَ الخِبَا

[الطويل]

١ غَرَامِى[٥] فِيكُمْ مَا أَلَذَّ وَأَطْيَبَا
وَفِى حُبِّكُمْ أَهْلاً بِسُقْمِى وَمَرْحَبَا
غَزَالُكُمُ ذَاكَ المَصُونُ جَمَالُهُ
إِلَى غَيْرِهِ فِى الحُبِّ قَلْبِىَ مَاصَبَا
تَجَلَّى عَلَى كُلِّ العُيُونِ فَعِنْدَمَا
سَبَى حُسْنُهُ كُلَّ القُلُوبِ تَحَجَّبَا[٦]
أَأَحْبَابَنَا هَلْ عَابِدٌ فِى حِمَاكُمُ
أُوَيْقَاتِ وَصْلٍ كُلُّهَا زَمَنُ الصِّبَا

---

(١) فى ج (الأجرع). . والأبرق؛ الجبل الذى تختلط الحجارة فيه بالرمال. يقول ياقوت: وفيه لغات وألفاظ كثيرة (أبرق، أبراق، برقاء، برق، برقة، برقاوات) ومعانى هذه الألفاظ على اختلافها واحد. وإنما تجىء مختلفة لإقامة وزن الشعر. . والأبرق الفرد؛ جبل مشهور جاء ذكره فى الشواهد الشعرية (انظر: معجم البلدان ١/ ٦٥، ٦٩).
(٢) أ: من، ج: عن.
(٣) نعمان؛ هو نعمان الأراك، وادٍ بين مكة والطائف، غزاه النبى صلى الله عليه وسلم. . (معجم البلدان ٥/ ٢٩٣).
(٤) ج: من على.
(٥) الأبيات فى أ: فقط
(٦) يريد التلمسانى هنا أن يقول: إن كلال القلوب بالمحبة، سبى جمال المحبوب حين تجلى للعيون، احتجب الجمال بهذا السبى!

٥ عَلَى حُبِّكُمْ أَنْفَقْتُ حَاصِلَ أَدْمُعِي

وَغَيْرَ وَلاكُمْ عَبْدُكُمْ مَاتَكَسَّبَا

وَحَاشَاكُمُ أَنْ تُبْعِدُوا عَنْ جَنَابِكُمْ

حَلِيفَ هَوىً بِالرُّوحِ فِيكُمْ تَقَرَّبَا

وَأَنْ تَهْجُرُوا مَنْ وَاصَلَ السُّهْدُ جَفْنَهُ

وَهَذَّبَ فِيكُمْ عِشْقَهُ فَتَهَذَّبَا

وَأَحْسَنْتُمُ تَأْدِيبَهُ بِصُدُودِكُمْ

فَلاَ تَهْجُرُوهُ بَعْدَ مَا قَدْ تَأَدَّبَا

وَلِي مُهْجَةٌ دِينُ الصَّبَابَةِ دِينُهَا

فَكَيْفَ تَرَى[1] عَنْكُمْ مَدَى[2] الدَّهْرِ مَذْهَبَا

١٠ وَلِي فِي ظِلاَلِ السَّرْحَتَيْنِ[3] تَنَزُّلٌ

لَبِسْنَا بِهِ بُرْدًا مِنَ الوَصْلِ مُذْهَبَا

يَرُوقُكَ أَنْ يَرْوِي أَحَادِيثَ وُرْقِهِ

وَتَصْبُو إِلَى الأَلْحَانِ شَجْوًا فَتَطْرَبَا

وَتَسْتَنْشِقَ الأَنْفَاسَ مِنْ نَسَمَاتِهِ

فَتَفْهَمَ مَعْنَى الزَّهْرِ مِنْ مَنْطِقِ الصَّبَا

---

(١) فى الأصل : ترا .

(٢) فى الأصل : مدا .

(٣) غير واضحة فى الأصل .

[مجزوء الوافر]

١ تُرَى[1] يَا جِيرةَ الشِّعْبِ
يُسَرُّ بِوَصْلِكُمْ قَلْبِى
وَتَجْمَعُ بَيْنَنَا دَارُ
عَلَى الإكْرَامِ وَالرَّحبِ
أُهَيْلَ الحَىِّ وَاعَطَشِى[2]
لِذَاكَ المَنْهَلِ العَذْبِ
ويَا شَوْقِى[3] إلى عَيْشٍ
مَضَى فِى ظِلِّهِ الرَّحْبِ
٥ وأيَّامٍ بِلاَ عَتْبٍ
تَقَضَّتْ فِى هَوَى[4] عُتْبِ[5]
إذَا ذُكِرَتْ لَيَالِيهِ
تَهِيجُ[6] لَوَاعِجُ الصَّبِّ
وَيُحْيِى[7] قَلْبَ عَاشِقِهِ
حَدِيثُ نَسِيمِهِ الرَّطْبِ[8]

---

(١) أ: تروا، ب: متى، ج: «ترى السحب بسر وصالكم: لذاك المنهل العذب». . . والبيت الأول مكسور الوزن ولا معنى له!

(٢) أ: يا عطش. . وصدر البيت ساقط من ج.

(٣) = ب، ج.

(٤) مطموسة تماما فى ب.

(٥) عتبى، معشوقة عربية.

(٦) ج: يهيج.

(٧) ب: وتحى.

(٨) مطموسة فى ب، وفى أ:

فغن بذكرها سعد وأثن معاطف الركب

وَمُحْتَجِبٍ تَبَسُّمُهُ[1]

يُمَزِّقُ ظُلْمَةَ الحُجْبِ

يُصَانُ حِمَاهُ بِالإِجْلَالِ

لَا[2] بِالسُّمْرِ وَالقُضْبِ

١٠ مِنَ الأَقْمَارِ مَنْزِلَتَاهُ[3]

فِى طَرْفِى وَفِى قَلْبِى

وَظَبْىِ[4] نَقًا وَبِالأَسْرَارِ

يَأْنَسُ لَيْسَ بِالسَّرْبِ[5]

[الرمَل]

١ بَعَثَتْ[6] فِى طَىِّ أَنْفَاسِ الجَنُوبِ

لِينَ عِطْفَيْهَا إِلَى بَانِ الكَثِيبِ

فَغَدَتْ أَكْمَامُ أَزْهَارِ الرُّبَا

طَرَبًا تَفْتُقُ أَزْرَارَ الجُيُوبِ

فَعُمُومُ الكَوْنِ يَهْوَى حُسْنَهَا[7]

وَخُصُوصًا صَاحِبُ القَلْبِ الطَّرُوبِ

---

(١) أ: وميسمة.

(٢) ج: أو.

(٣) ب: منزله، ج: منزلتان

(٤) = ج.

(٥) ب: الشرب!

(٦) الأبيات فى ب، ج.

(٧) راجع ما ذكرناه عن تسبيح المخلوقات، فيما سبق.

وَإِذَا يَا سَعْدُ جَاوَزْتَ النَّقَا
فَاحْبِسْ العِيسَ تَرَى[1] نَهْبَ القُلُوبِ
٥ فَبِذَاكَ الحَىِّ كَمْ مَيْتِ هَوَى
قَدْ بَرَاهُ السُّقْمُ عَنْ عَيْنِ الطَّبِيبِ
يَا بِرُوحِى أَنَا أَفْدِى شَادِنًا
فَاتِنًا أَمْسَى نَدِيمِى وَحَبِيبِى

[الخفيف]

١ لَوْ[2] سَقَيْنَا الرُّبُوعَ مَاءَ الشَّبَابِ[3]
مَا وَفَيْنَا فَكَيْفَ مَاءُ التَّصَابِى
فَاسْقِنِى مِنْ مَنَازِلِ الحَىِّ وَجْدًا
يَا رُبُوعَ الهَوَى دُمُوعَ السَّحَابِ[4]
يَا ثُغُورَ[5] الأَقَاحِ كُونِى رُضَابًا
إِنَّ[6] أَشْهَى الأَقَاحِ[7] ذَاتُ الرُّضَابِ
وَبِكَأْسِ الشَّقِيقِ كُونِى شَرَابًا
أَنْتِ فِى حُمْرَةٍ كَلَوْنِ الشَّرَابِ

---

(١) ج: نرى.
(٢) الأبيات فى ب، ج.
(٣) ب: الشبابى.
(٤) ب: السحابى.
(٥) ج: ياكئوس.
(٦) ج: أنا.
(٧) ج: الأقداح.

٥ أَوْثَقَـــتْنَا بِالنَّرْجِسِ الغَضِّ مِنْهَــــا[١]

أَعْــيُنٌ لاَ كَــأَعْــيُنِ الأَحْـبَــابِ

تِلْكَ فِــيهَـا مِنْ فَـتْرَةِ الحُسْنِ[٢] جَـمْعٌ

فَــارِقٌ لِلجُـــسُــومِ[٣] وَالأَلْبَــابِ

[الطويل]

١ بَدَا[٤] عَـلَمٌ لِلحُبِّ يَمَّـــمْتُ نَحْــوَهُ

فَلَمْ أَنْقَلِبْ حَتَّى احْتَسَبْتُ بِهِ قَلْبِى[٥]

بَلَوْتُ الـهَـوَى قَـبْلَ الهَـوَى فَـوَجَـدْتُهُ

إِسَــاراً بِلاَ فَكٍّ سَــقَـامًــا بِـلاَ طِبِّ

بِرُوحِى حَـبِـيبٌ لاَ أُصَـرِّحُ بِاسْـمِــهِ

وَكُلُّ مُــحِـبٍّ فَـهْــوَ يُكْنِى عَنِ الحُبِّ

بَـرَانِى هَـوَاهُ[٦] ظَـاهِـرًا بَـعَــدَ بَـاطِنٍ

فَــجِــسْــمِى بِلاَ رُوحٍ وَقَلْبِى بِـلاَ لُبِّ

٥ بِـحُـــبِّكَ هَـلْ لِى فِـى لِـقَـــائِكَ مَـطْمَعٌ

فَــإِنِّى مِنْ كَــرْبٍ عَلَيْكَ إِلَى كَــرْبِ

---

(١) ج : رمقتنا لنرجس الغصن فيها .

(٢) ج : فيها لكثرة الجمع .

(٣) فى ب «الحسوم» . . والحسوم التباع ؛ فإذا تتابع الشىء فلم ينقطع أوله عن آخره فهو حسوم . وفى قوله تعالى : سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما «أى متتابعة (لسان العرب ١/ ٦٣٥) وقد رأينا «الجسوم» أوفق!

(٤) الأبيات فى ج فقط .

(٥) فى الأصل : قلب .

(٦) فى الأصل : هوه .

بِكُلِّ طَرِيقٍ لِى إِلَيْك مَنِيَّةٌ
كَأَنِّى مَعَ الأَيَّام بَعْدَكَ فِى حَرْبِ
بَكَيْتُ فَقَالُوا أَنْتَ بالحُبِّ بَائِحٌ
صَمَتُّ فَقالُوا أَنْتَ خِلْوٌ مِنَ الحُبِّ
بوَارِقُ لاَحَتْ لِلْوِصالِ فَشَمَّهَا
فَيَابَعْدَ بُعْدٍ قَدْ دَنَا زَمَنُ القُرْبِ
بَقِيتُ وَهَلْ يَبْقَى صَبٌ بِه لَوْعَةٌ
تُقَلِّبُهُ الأَشْوَاقُ جَنْبًا إلىَ جَنْبِ
١٠ بَلَغْتُ المُنَى مِمَّنْ أُحِبُّ بِحُبِّهِ[١]
وَلاَ بُدَّ لِلمَرْبُوبِ مِنْ رَحْمَةِ الرَّبِّ

[الكامل]

١ لَمَّا[٢] انْتَهَتْ عَيْنى إلىَ أَحْبَابِهَا
شَاهَدْتُ صِرْفَ الرَّاحِ عَيْنَ حَبَابِهَا
أَأَرَى سِوَى لَيْلَى إذَا حكَمَ الجَفَا
مِنْهَا عَلَىَّ بِبُعْدِهَا وَحِجَابِهَا[٣]

---

(١) يستند التلمسانى هنا إلى أن محبة الرب لعبده سبب فى محبة العبد لربه، كما ورد فى قوله تعالى: يحبهم ويحبونه (راجع ما سبق].

(٢) الأبيات من أ فقط.

(٣) الحجاب كلمة قرآنية، تعنى فى اللغة: الستر والمنع، وتعنى فى المصطلح الصوفى: انطباع الصور الكونية ـ المانعة لقبول تجلى الحق ـ فى القلب [اصطلاحات الصوفية ص ٥٧] وقد توسع الصوفية فى الإشارة إلى مراتب الحجب، فمن ذلك نجد: حجاب الحسن ـ حجاب الكون ـ حجاب العين ـ حجاب الوهم ـ حجاب النور . . . إلخ.

وَالكَونُ مِنْ عُشَّاقِهَا وَيفُوتُنى
أَدَبٌ يَرَاهُ الحُبُّ مِنْ آدابِهَا
لاَ وَالَّذى جَعَلَ الضَّنَا وَالحُزْنَ
جِلْبَابِى بِهَا وَالحُسْنَ مِنْ جِلْبَابِهَا
٥ ونَعِمْتُ مِنْ أَكْوَانِهَا وَرَأَى السِّوى
غَيْرِى فَأَصْبَحَ قَلْبُهُ يُكْوَى بِهَا
وَلَقَدْ طَرَقْتُ الحَىَّ بَيْنَ خِيَامِه
فَكَأَنَّنى لِلسُّقْمِ مِنْ أَطْنَابِهَا
وَقَرأتُ هَاتِيكَ البِيُوتَ تَصَفُّحًا
فَكَأَنَّنِي المَسْئُولُ عَنْ إعْرَابِهَا
حَتَّى إذَا جَذَبَ الصَّبَاحُ لِثَامَهُ
وَرَمَتْ مَلِيَحةُ شَمْسِهِ بِنِقَابِهَا
رَأَت الدُّجَيْنَةُ[1] أَنَّنى مِنْ بَعْضِهَا
فَذَهَبْتُ بِالأَنْوَارِ عِنْدَ ذِهَابِهَا
١٠ وَشَهِدْتُ لَيْلَى لاَ تَرَاهَا غَيْرُهَا
وَجَمَالُهَا قَدْ شَفَّ مِنْ جِلْبَابِهَا
وَطَلَبْتُهَا فَوَجَدْتُ أَسْبَابَ المُنَى[2]
مَوْصُولَةً بِالْيَأسِ مَنْ أَسْبَابِهَا

---

(١) فى الأصل: الدجنة.

(٢) فى الأصل: المنا.

إلاّ لِمَنْ أعطَى الصَّبَابَةَ حَقَّهَا
وَأَتى بيُوتَ الحَيِّ مِنْ أَبْوَابِهَا
ووَفَى بِعَهْدِ رَسُولِهَا فى أَمْرِهِ
عَنْهَا فَقَامَ مَقَامَهُ[1] فى بَابِهَا

[البسيط]

١ عَيْنَاكِ[2] إنْ سَلَبَتْ نَوْمِى بلاَ سَبَبِ
فَالنَّهْبُ يَا أُخْتَ سَعْدٍ شِيَمةُ العَرَبِ
وَقَدْ سَلَبْتِ رُقَادَ النَّاسِ كُلِّهِمِ
لِذَاكَ جَفْنُكِ كَسْلانٌ مِنْ التَّعبِ
هَلْ ذَاكَ لاَمِعُ بَرْقٍ لاَحَ مِنْ إضَمِ
أَمْ ابتَسَمْتِ فَهَذَا بَارِقُ الشَّنَبِ[3]
وَتِلكَ نَارُكِ بِالجَرْعَاءِ سَاطِعَةٌ
أَمْ ذَاكَ خَدُّكِ وَهَّاجٌ مِنَ اللَّهَبِ
٥ لاَ أَنْقَذَ اللَّهُ مِنْ نَارِ الجَوَى أَبَدًا
قَلْبِى الَّذى عَنْ هَوَاكُمْ غَيْرُ مُنْقَلِبِ[4]

---

(١) قوله هنا «قام مقام الرسول» إشارة إلى ما ورد فى الحديث الشريف من قوله صلى الله عليه وسلم : العلماء ورثة الأنبياء . . (أخرجه البخارى فى الصحيح ـ والترمذى وأبو داود وابن ماجة والدارمى فى السنن ـ وابن حنبل فى المسند ـ والغزالى فى الإحياء . . وهو حديث صحيح متفق عليه) .

(٢) الأبيات فى أ فقط .

(٣) الشنب ، البياض والبريق ، خصوصا فى الأسنان (لسان العرب ٢/ ٢٦٦) .

(٤) الإشارة هنا إلى كون القلب كثير التقلب ، فكما يقال : ماسمى الإنسان إلا لنسيه ، وما سمى القلب إلا لأنه يتقلب !

إنْ عَـــذَّبَتْـــهُ بِـنَارٍ مِن مَـــحَـــبَّـــتِـــهَـــا

نُعْمٌ[1] فَــذَاكَ نَعـيـمٌ غَـيْــرُ مُــحْــتَـجِبِ

مَنْ رَامَ ذِكْـــرَ سِـــوَاهَا يَلْتَـــمِسْ أَحَـــدًا

غَـــيْـــرِى فَـــذِكْـــرُ سِـــوَاهَا لَيْسَ مِنْ أَرَبِى

إنْ حَـــــــدَّثَـتْـــهُ الأَمَـــــانِـى أَنَّـنِى أَبَـدًا

أَسْلُـو هوَاهَا فَـــقَـــدْ أصْـــغَى إلَى الـكَـذِبِ

[الطويل]

١ هَلُمُّـــوا[2] فَــعِنْدِى لِـلمَـــحَـبَّـــةِ وَالهَـــوَى

سَـــقَـــامُ غَـــرامٍ لَسْتُ أُحْـــسِنُ طِـبَّـــهُ

هَـبُـــوا لِىَ جَـــفْنًا يَـمْلِكُ العَـــقْـلُ دَمْـعَـــهُ

وَإلاَّ فَـــقَلْبًـــا يَحْكُمُ الصَّـــبْـــرُ[3] لُبَّـــهُ

هَوَتْ قَـــدَمى فِى الحُـبِّ عَنْ غَـيْـــرِ خِـبْـــرَةٍ

فَـــأَلْـفَـــيْـتَـــهُ حُلْوَ[4] التَّـــجَـــرُّعِ عَـــذْبَهُ

هُوَ الـشُّـــهْـــدُ مَـــمْـــزُوجًـــا بِسُمٍّ وَعَلْـقَمٍ

أُؤَمِّلُ عَـــتْـبَـــاهُ وَأَحْـــذَرُ عَـــتْـبَـــهُ

---

(١) نعم: مرخم نعمى . . معشوقة عربية .

(٢) الأبيات فى جـ فقط .

(٣) الصبر عند الصوفية مقام رفيع ، وهم يستندون إلى ما ورد فى شأنه بالقرآن الكريم ، لتحديد مفهومه ودلالته الذوقية [راجع كتابنا : الطريق الصوفى . .] وللصبر عند أهل الطريق مراتب ودرجات ، أعلاها ما يشير إليه التلمسانى هنا ، أعنى : الصبر عن الله .

(٤) فى الأصل : نحو !

٥ هَوَيْتُ حَبِيبًا لَسْتُ أَهْلاً لِحُبِّهِ
وَأَنَّى لِمِثْلِى أَنْ يَكُونَ مُحِبَّهُ
هِلاَلُ فُؤَادِى كُلَّمَا ذُقْتُ غَفْوَةً
وَصُبْحُ عِيَانِى كُلَّمَا أَتَنَبَّهُ[1]
هَمَمْتُ بِإِدْرَاكٍ فَقَصَّرْتُ هَيْبَةً
وَعَجْزِى عَنِ الإِدْرَاكِ أَوْلَى وَأَشْبَهُ
هَفَا بِكَ قَلْبٌ أَنْتَ أَوْرَيْتَ زَنْدَهُ
وَنَالَكَ طَرْفٌ أَنْتَ أَهْمَلْتَ سَحْبَهُ
هَنِيئًا لِهَذِى النَّفْس إِنْ كُنْتَ حِبَّهَا
وَطُوبَى لِهَذَا القَلْبِ إِنْ كُنْتَ حِبَّهُ

* * *

(١) فى الأصل : انتبه!

■ جاء فى جـ:

من كان عين الحجاب على نفسه — فلا حاجب ولا محجوب
ومن كانت هباته لا تتعدى — فليس بواهب ولا موهوب

قافية التاء

[الطويل]

١ نُفُوسٌ[1] نَفِيسَاتٌ إِلَى القُرْبِ حَنَّتِ
فَلَمَّا سَقَاهَا الحُبُّ بِالكَأْسِ جُنَّتِ[2]

وَكَانَتْ تَمَنَّتْ أَنْ تَمُوتَ صَبَابَةً
فَسَاقَ إِلَيْهَا الوَجْدُ[3] مَا قَدْ تَمَنَّتِ

وَفِى الحَىِّ هَيْفَاءُ المَعَاطِفِ لَوْ بَدَتْ
عَلَى[4] البَانِ كَانَ الوُرْقُ فِيهَا تَغَنَّتِ

عَجِبْتُ لَهَا فى حُسْنِهَا إِذْ تَفَرَّدَتْ
لأَيَّةِ مَعْنًى بَعْدَهَا[5] قَدْ تَثَنَّتِ

٥ شَكَا سُقْمَهُ[6] مُضْنَى هَوَاهَا صَبَابَةً
فَقَالَتْ لَهُ اصْبِرْ فِى الصَّبَابَةِ أَوْ مُتِ[7]

---

(١) الأبيات فى أ، ب.

(٢) أ: حنت، ب: جنتى

(٣) أ: الوصل.

(٤) أ: مع.

(٥) ب: معنا فى الهوى.

(٦) ب: بثه.

(٧) ب: ما الصبابة أودت

فَـمـا[1] عَـاشَ إلاَّ مُـغْـرَمٌ مَـاتَ فى الهَـوىَ
بِحُـــبِّى وَهَـذا فِى الــمُــــحِـــبِّـينَ سُنَّـتِى
سَـتَـأتِيكَ[2] مِنِّى قَـهْـوةٌ[3] إنْ شَـرِبْتَـهَـا
صَـحَـــوْتَ وَفِى الهَـــوَى كُلُّ سَكْـرَتِى[4]
فَــلاَ تَمْــزِجَنْهَـا فَــهْىَ بِالْـمَـزْجِ حُـرِّمَتْ
وَلَوْ جُلِـيَتْ[5] صِــرْفًــا عَـلَيْــهِمْ لحَـلَّتِ
فَــإنْ هِىَ قَــدْ أَفْنَتْكَ سُكْرًا فَــغِبْ بِهَــا
فَــمَنْ صَـرَّفَــتْــهُ الصِـرْفُ بِالنَّفْى يَثْـبُتِ
١٠ وَفِـتْيَــانِ صِدْقٍ كَــالنُّجُــومِ سَــرَوْا عَلَى
رَكَــائِبِ عَـــزْمٍ مَــالَهَـــا مِنْ أَزِمَّـــةِ
ذَوِى أَنْفُــسٍ لَمْ يَبْــرَحِ العِــزُّ شَــأنَـهَــا
رَأَتْ عِـــزَّ لَيْلَى بِالجَــمَـــالِ فَــذَلَّتِ[6]
تَوَاصَــوْا عَلَى حِـفْظِ الـوَفَـا[7] وتَرَاضَـعُـوا
كُـئُــوسَ الصَّـفَـا وَاسْـتَـمْسَكُوا بِالــمَـوَدَّةِ
فَنَـادَاهُمُ[8] خَـــمَّــــارُ دَيْرٍ مُـــدِيـرِهَا
فَلَـمَّـــا أَمَــاتَتْــهُمْ مِنْ الـسُّكْرِ أَحْـــيَتِ

(١) أ: وما.
(٢) ب: تساميك.
(٣) القهوة: الخمر.
(٤) أ: نشوة.
(٥) أ: تركت.
(٦) ب: فلبتى.
(٧) أ: الهوى.
(٨) ب: فنادمهم

فَعَاشُوا بِهَا فِيهَا عَلَى حِينِ أَسْلَمُوا[١]

إِلَيْهَا صِفَاتٍ قِيلَ[٢] مِنْهَا اسْتُعِيرَتِ[٣]

١٥ فَمَنْ عَاشَ مِنَّا لَمْ[٤] يَنَلْ مِثْلَ نَيْلِهِمْ

وَلَكِنْ مَتَى تَذْكُرْهُمُ النَّفْسُ حَنَّتِ

[الطويل]

١ أَمَا[٥] هذِهِ نَجْدُ أُنِيخَا مَطِيَّتِي

لِيَسْقِي بِهَا دَمْعِي مَنَازِلَ عَلْوَةِ

وَأَسْأَلُ عَنْ قَلْبِي فَثَمَّ فَقَدْتُهُ

عَشِيَّةَ سَارَ الظَّاعِنُونَ[٦] بِمُهْجَتِي

مَنَازِلُ إِطْرَابِي وَمَغْنَى تَهَتُّكِي

وَمَرْبَعُ إِينَاسِي وَمَوْطِنُ خَلْوَتِي[٧]

---

(١) ب: لها حين أرسلوا.

(٢) ب: قبل.

(٣) الإشارة هنا إلى ما يعرف عند الصوفية بتجلّى الصفات الإلهية، وهى النقطة التى توقف عندها الجيلى طويلا، ليكشف عن جوانب نظرية الإنسان الكامل (انظر، الفكر الصوفى . . ص ٧٧).

(٤) أ: لا.

(٥) الأبيات فى أ، ب.

(٦) الظعن، الهودج، والمرأة ما دامت فى الهودج . . والظاعنون: القافلة.

(٧) الخلوة، واحدة من أهم الرياضات الروحية فى الطريق الصوفى، ففى عبارة صوفية شهيرة يقول سهل التسترى: «ما صار الأبدال أبدالا إلا بأربعة خصال، الجوع والسهر والصمت والخلوة . . » فكانت هذه الخصال، هى أصول مجاهدة الصوفية لرعونات النفس الإنسانية وسبل الترقى من الخلق إلى الحق.

وتكون خلوة الصوفى باعتزاله الناس فى مكان خاص، ومداومته الفرائض والنوافل والذكر والتلاوة، حتى تتفجر فى قلبه ينابيع الكشف (راجع فى ذلك: قوت القلوب ١/ ٩٧ ـ إحياء علوم الدين ٢/ ٣٢٣ ـ عوارف المعارف ٩٤ ـ ألفاظ الصوفية ومعانيها ١٥١) ويضع القاشانى للخلوة تعريفا =

وَمَغْنىً[1] بِهِ كَانَ الحَبِيبُ مُنَادمِى
وَمَنْ قُرْبِهِ رُوحِى وَرَاحِي وَرَاحَتِى

٥ سَقَى الله عَهْدًا فِيهِ عَهْدٌ[2] فَعِنْدَهُ
رَمَيْتُ إلَى مَوْلَى الخَلاَعَةِ خِلْعَتِى

وَفِيهِ سَقَانى مَنْ أُحِبُّ مُدَامَةً
فَمِنْهَا إلى يَوْمِ التَّوَاصُلِ نشْوَتِى

وَعَاهَدَنِي[3] فِيهِ بِهِجْرانِ هَجْرِهِ
وَرَاحَ كَفِيلاً لِى بِسُلْوَانِ سَلْوَتِى

فَرُحْتُ[4] بِهِ بل رَاحَ بِى وَتَرَدَّدَتْ
بِهِ حَالَتِى مَا بَيْنَ مَاحٍ وَمُثْبِتِ[5]

= جامعا فيقول: هى محادثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره، وهذه حقيقة الخلوة ومعناها، وأما صورتها، فهى ما يتوسل به إلى هذا المعنى من التبتل إلى الله تعالى والانقطاع عن الغير (اصطلاحات الصوفية ص ١٦١).

ويرى الصوفية أن الخلوة كرياضة روحية، هى اقتداء بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين كان يعتكف بغار حراء. . إلا أنهم يحذرون من جهة أخرى، من تلك المخاطر التى قد تعترض صاحب الخلوة، والأخطاء التى يمكن أن يقع فيها (انظر: اللمع ٥٢٩ ـ الإحياء ٢/ ٣٣٦ ـ الفتح الربانى ١٥٠).

(١) مغنى. . الغنة: الصوت الذى فيه ترخيم. وروضة غناء: تمر فيها الريح غير صافية الصوت من كثافة عشبها والتفافه؛ فهى مغنى، والجمع مغان (لسان العرب ٢/ ١٠٢٣).

(٢) أ: كان فيه.

(٣) = ب.

(٤) أ: ورحت.

(٥) المحو والإثبات، لفظتان متقابلتا الدلالة فى المصطلح الصوفى، فالأولى تشير إلى فناء ما سوى الله من قلب المكاشف. . والثانية تعنى رجوعه إلى الصحو وإثبات الموجودات الحسية، لكنه يكون آنذلك مجازيا. . راجع المزيد من هذه النقطة فى الفصل الخاص بالعارية الوجودية من كتابنا: عبد الكريم الجيلى فيلسوف الصوفية، ص ١٤١.

فَـــهَـــا أنَا مَـــيَّـــاسُ الـمَـــعَـــاطِـف رَافِلٌ
بِبُـــرْدِي وَمَنْ أَهْوَى مُـــدَامِي وَحَـــضْـــرَتِي
أُعِـيرُ الـشَّمُـولَ[١] الصِّـرْفَ سُكْرَ شَـمَـائِلي
وأُهْدِي إلـى بَانِ الحِـــمَى حُـــسْنَ خَطْـرَتي
يَمِـــينًا كَـــذَا يَاعِـــاذِلِي عَـنْ مَـــلاَمَـــتي
وَإنْ شِـــئْتَ خُـــذْ بِالعَـــذْلِ عَنِّي بِيُـــسْـــرَةِ[٢]
فلَيْـس أَخُـــوكَ اليَـــوْمَ مَنْ قَـــدْ عَـــهِـــدْتَهُ
ولاَ ذا الهَـــوَى[٣] ذَاكَ الهَـــوَى فَـــتَـــثَـــبَّتِ

[الخفيف]

لَكَ[٤] طُـرُقِـي حِـــــمَـىً وَقَـلْـبِي بَـيْـتُ
فِـــيــهِــمَـــا عَـــهْـــدَكَ القَـــدِيم خَـــبَـــيْـتُ
وَمِنَ الـسُّكْـرِ مَـــا صَـــحَـــوْتُ وَكَـــلاَّ
كَـــيْفَ أَصْـــحُـــو ومَنْ لَـــمَـــاكَ أنْتَـــشَـــيْتُ
بَـسَطَ الـعَـــــاذِلُـونَ فِـــيـكَ مَـــلاَمِـي
وبِـسَـــــاطَ القَـــبُـــــولِ عَـنْهُـمْ طَوَيْـتُ
كَـــيْفَ[٥] يَنْـوِي السُّلُـوَّ عَنْكَ الـمُـــعَـــنَّى
يَـا مُنَى الـقَلْـبِ وَهْـوَ فِي الحَـيِّ مَـــــيْـتُ

(١) الشمول، الخمر التي عرضت لريح الشمال حتى تبرد (لسان العرب ٢/ ٣٦٢).
(٢) ب: مسرتي.
(٣) ب: الهوا.
(٤) الأبيات في أ، ب. (٥) = ب.

٥ وَضَـــلاَلٌ عَنْ مِـــثْلِ حُـــسْنِكَ صَـــبْـــرِى

وَلِقَـلْبِـى[١] الـهَنَـا فَـــإِنِّـى اُهْـتَـــدَيْـتُ

بِكَ يَـا كَـــعْـــبَـــةَ الهَـــوَى طَافَ قَلْبِى

وَبَدَا بَـارِقُ الصَّـــفَـــا فَـــسَـــعْـــيتُ

[السريع]

١ لاَ تُـنْـكِـرِ[٢] البَـــــاطِـنَ[٣] فِـى طَـوْرِه

فَـــــإِنَّـهُ بَـعْضُ ظُـهُـــــورَاتِـه[٤]

وَأَعْـطِـه مِـنْـكَ بِـمِـــــــقْـــــدَارِه

حَـــــتَّـى تُـوَفِّـى حَقَّ إِثْبَـــــاتِـهِ

وَأظهِــــرهُ فى ذَاتِك مُـــسْـــتَكْـمِـــلاً

خَـــشْـــيَـــةَ أَنْ تَظْـهَـــرَ فِـى ذَاتِه[٥]

[الطويل]

١ تَمَنَّيْتُ مِنْ وَصْلِ الحَـــبِـيبِ اخْـتِـــلاَسَـةً

وَمَـــــا كُلُّ نَـفْسٍ أَدْرَكَـتْ مَـــــا تَمَـنَّـتِ

---

(١) أ: فلقلبى. (٢) الأبيات فى أ فقط.

(٣) فى الأصل «الباطل» وهى بذلك تخرج الأبيات عن مفهومها، وتخالف المقابلة الواردة فى عجز البيت بين: الباطن والظاهر.

(٤) الباطن (الكمون) والظاهر (الظهور) مقابلة صوفية شهيرة، يعبرون عنها أحيانا بألفاظ أخرى منها: القشر واللب، الشريعة والحقيقة. ولهذا التقابل الذوقى مبحث طويل فى التصرف، يمكن الرجوع بصدده إلى كتاب (الشريعة والحقيقة) وكتاب (الحكومة الباطنية) وكلاهما للدكتور حسن الشرقاوى.
ويريد التلمسانى هنا أن يقول: إذا لم يتحقق الصوفى بالباطن ويجعل له محلا فى نفسه، فإنه يبطن فى الطريق.. أى لا يظهر، ولا يكون له فيه شأن!

(٥) الأبيات من ج فقط.

تَحلَّيْتُ بِالتِّذْكَارِ[1] وَهْوَ دَلاَلَةٌ
عَلَى زَفْرَةٍ فِى أَضْلُعِى مُسْتَكِنَّةِ
تَعَجَّبَ[2] نَاسٌ لاِنْقِيَادِى مَعَ الهَوَى
كَذَاكَ عِنَاقُ[3] الخَيْلِ طَوْعُ الأَعِنَّةِ
تَبَدَّى لِى[4] الحِبُّ الذى أنا عَبْدُهُ
فَحَنَّتْ[5] لَهُ رُوحِى بِمَا قَدْ أَجَنَّتِ
٥ تَجَلَّى لِعَقْلِى دونَ حِسِّى فَأَذْعَنَتْ
شَوَاهِدُ أَسْرَارِى لَهُ وَاطْمَأَنَّتِ
تَطَاوَلَ لَيْلِى بَعْدَهُ فَكَأَنَّمَا
يُقَلَّبُ قَلْبِى مِنْهُ فَوْقَ الأَسِنَّةِ
تَعَلَّلْتُ فِيهِ بِالتَّمَنِّى لِقُرْبِهِ
وَلَمْ يَبْقَ مِنِّى غَيْرُ تَرْدِيدِ أَنَّةِ[6]
تَغَيَّرَتِ الأَشْيَاءُ عِنْدِى لِفَقْدِهِ
فَضَوْءُ صَبَاحِى فِى ظَلاَمِ دُجُنَّةِ

---

(١) التذكار: النفخة الإلهية فى آدم عليه السلام.. كما فى قوله تعالى: «فإذا سويته ونفخت فيه من روحى».

(٢) فى الأصل: تعجبت.

(٣) فى الأصل: عتاق.

(٤) فى الأصل: تبدا إلى.

(٥) الحنين: شوق الأوراح إلى حضرة التوحيد الشهودى الأزلى.

(٦) فى الأصل: أنت!

تُهِيجُ عَلَىَّ الشَّوْقَ كُلُّ مَرَدَّةٍ

وَيُهْدِى إِلَىَّ الوَجْدَ كُلُّ مَرَنَّةٍ[1]

١٠ تَرَفَّقْ[2] بِقَلْبِى فِى هَوَاكَ فَإِنَّمَا

بِعَادُكَ نَارِى وَاقْتِرَابُكَ جَنَّتِى

* * *

(١) المرنة هنا من الرنو، وهو إدامة النظر مع سكون الطرف [لسان العرب ١/ ١٢٣٦] وقوله «مرنة» غير مستساغ فى اللغة، إنما جاء هنا موازيا لقوله «مردة» وهو ما يعرف فى اللغة باسم: التفليق.

(٢) فى الأصل: فرفق!

قافية الثاء

[الطويل]

١ إلى[1] الرَّاحِ هُبّوا حِينَ تَدْعُو المَثَالِثُ[2]
فَمَا الرَّاحُ لِلأَرْوَاحِ إلاَّ بَوَاعِثُ
هِيَ الجَوْهَرُ الصِّرْفُ القَدِيمُ فَإنَ بَدَا
لَهَا[3] حَبَبٌ نِيطَتْ[4] بِهِ فَهْوَ حَادِثُ
تَمَزَّزْتُهَا صِرْفًا فَلَمَّا تَصَرَّفَتْ
تَحَكَّمَ سُكْرٌ[5] بِالتَّرَائِبِ[6] عَابِثُ
وَفَاحَ شَذَا أَنْفَاسِهَا فَتَضَرَّرَتْ
نُفُوسٌ عَلَيْهَا الجَهلُ عَاتٍ[7] وَعَائِثُ

---

(١) الأبيات فى أ، ب.

(٢) المثالث، جمع (مثلث) وهو الشراب الذى طبخ حتى ذهب ثلثاه [لسان العرب ١/ ٣٦٦]. . والمثالث أيضا جمع مثلث أى ثالث أوتْار العود، وهذا المعنى أرجح لارتباط الخمر بالموسيقى. والمثالث هنا [تدعو] أى تدعو الندامى بصوتها.

(٣) أ: بها.

(٤) ب: زينت.

(٥) ب: سكرا.

(٦) الترائب: عظام الصدر. وهى كلمة قرآنية: «فلينظر الإنسان مم خلق، خلق مِنْ ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب. .» (الطارق ٥ : ٧).

(٧) أ: عاثَ.

٥ حَلَفْتُ لَهُمْ مَا كَاسُهَا غَيْرُ ذَاتِهَا

فَقَالُوا افْتَدِ[١] فِيهَا فَإِنَّكَ حَانِثُ

وَمَا غَيْرُ أَضْوَاءِ الأَشِعَّةِ أَوْهَمَتْ

فَقَالُوا لَهَا فِى الحُسْنِ ثَانٍ وَثَالِثُ

أقِمْ[٢] رَيْثَمَا تُفْنِيكَ عَنْهَا بِوَصْفِهَا

وَتَذْهَبُ عَمَّا مِنْكَ فِيهَا يُبَاحِثُ[٣]

فَإِنْ شَاهَدَتْ مِنْكَ العُيُونُ عُيُونَهَا

ظَفِرْتَ وَإِلاَّ فَالعُيُونُ أَخَابِثُ

وَإِنْ لَمْ تُبَدِّلْ آيَةٌ مِنْكَ آيَةً

بِمَا قِيلَ عَنْهَا اذْهَبْ فَإِنَّكَ[٤] مَاكِثُ[٥]

تَنَكَّرَ فِى سَامٍ وَحَامٍ حَدِيثُهَا

وَعَزَّ فَلَمْ يَظْفَرْ بِمَعْنَاهُ يَافِثُ[٦]

---

(١) . ٌ . ابتد. (٢) ب: ألم.

(٣) فى أ «تباحث» وإشارة التلمسانى هنا للعقل الجدلى الذى يقيس بظاهر الأشياء.

(٤) ب: فإنك حانت.

(٥) فى هذا البيت، يتحدث التلمسانى عن شرط من شروط الوصول، وهو أن تتبدل من الصوفى الصفات، فيما يعرف عند الصوفية بالتخلى والتحلى.. أى سقوط الوصف المذموم للنفس الإنسانية ـ كالبخل والغضب... إلخ ـ والتحلى بالأوصاف الربانية ـ كالكرم والحلم.. إلخ ـ وذلك ما ورد فى الحديث الشريف: «إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر خلقا، من أتاه بخلق منها دخل الجنة» [أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان، وأبو يعلى فى مسنده، والبخارى فى الصحيح عن عثمان بن عفان، والسيوطى فى الجامع الصغير ص ٨٤]. فإن لم تتبدل الآيات الإنسانية بالآيات الربانية، فإن العبد ماكث فى ظلمات نفسه، غير مؤهل للترقى عبر جدار الأنوار.

(٦) سام وحام ويافث، ذرية نوح عليه السلام. وهم هنا رموز لظهور آثار الحق تعالى فى الكون، وقد عجز البعض عن مشاهدة هذا التجلى بعين القلب.

١٠ وَمَا لَبِثَتْ فِى الدَّهْرِ يَوْمًا وَإِنَّمَا
هُوَ الدَّهْرُ فِيهَا إن تَأَمَّلْتَ لاَبِثُ[١]

[الطويل]

١ ثَوَى[٢] لَكَ فِى قَلْبِى غَرَامٌ مُبَرِّحٌ
إرَاقَتُهُ فِى حَبَّةِ القَلْبِ تَنْفُثُ

ثَبَاتِى عَلَى هَذَا الهَوَى غَيْرُ مُمْكِنٍ
وَمِثْلِى عَلَى الهَوَى لَيْسَ يَمْكُثُ

ثَمِلْتُ وَلَمْ أَمْدُدْ يَمِينًا لِقَهْوَةٍ
وَلاَ رَاحَ إلاَّ الحُبُّ بِالْقَلْبِ يَعْبَثُ

ثَنَيْتُ عِنَانَ الحُبِّ نَحْوَكَ وَالرِّضَا
وَنَارُ الأَسَى بَيْنَ الضُّلُوعِ تُؤَرَّثُ

٥ ثَوَابُ الهَوَى لَوَ أَسْعَدَ الحُبُّ وَقْفَةٌ
يُحَدِّثُنِى فِى ظِلِّهَا وَأُحَدِّثُ

ثَرَائِى وَجَاهِى فِيهِ وَجْدٌ وَأَدْمُعٌ
فَقَلْبِى فِى الحَالَيْنِ ضَاحٍ وَمُدْمِثُ[٣]

---

(١) يقول هنا : إن الدهر لابث فى الذات ، والعكس غير صحيح . فالذات الإلهية خارج نطاق الزمن والدهور ، فلا يعرف الزمن ولا الدهر إلا بها . . وهذا ـ كما يقول التلمسانى ـ ما يظهر للمتأمل .

(٢) الأبيات من ج فقط .

(٣) الدمث : اللين والسهولة وحسن الخلق . ودمث الشىء : إذا مرسه حتى يلين (لسان العرب [١٠٠٩/١] .

ثَقِيلُ الأَسَى عِنْدِي خَفِيفٌ لأَجْله
فَهَا أَنَا فِي وَجْدِي بِهِ أَتَشَبَّثُ

ثَلَمْتَ[1] فُؤَادِي بِالنَّوَى فَجَبَرْتُهُ
بِصَبْرٍ بِهِ أَبْرَمْتُ مَا أَنْتَ تَنْكُثُ

ثَكِلْتُ فُؤَادِي إِنْ تَأَلَّمْتُ لِلأَسَى
عَلَى عِلْمِي أَنَّ الحَوَادِثَ تَحْدُثُ

١٠ ثَنَاؤُكَ رَيْحَانِي وَذِكْرُكَ رَاحَتِي
وَحُبُّكَ سُلْوَانِي إِلَى يَوْمِ أُبْعَثُ

* * *

---

(١) الثلم: الكسر.

قافية الجيـــم

[المتقارب]

١ أيَا[1] طَلْعَةَ[2] القَمَرِ المُبْهِجِ
وَيَا فِتْنَةَ المُسْتَهَامِ الشَّجِى

بِمَا بَيْنَنَا مِنْ عُهُودِ الهَوَى
إذَا جُزْتِ جَيْرُوتَ[3] بِى عَرِّجِ

بَنَفْسَجُ صُدْغَيْكَ قَدْ[4] لاَحَ لِى
فَبَشَّرَنِى بالَّذِى أرْتَجِى

فَإنَّ البَنَفْسَجَ تَفْسِيرُهُ[5]
كَمَا قَدْ عَلِمْتُ بِنَفْسِى أجِى[6]

---

(١) الأبيات فى أ، ب.

(٢) ب: يا طلعة.

(٣) فى أ «جيرون» وفى ب «جيروت». . يقول ياقوت:

جيروت: من بلاد مهرة، فى أقصى أرض قضاعة. . لها ذكر فى حديث الردة.

جيرون: عند باب دمشق، يقال إن سليمان عليه السلام هو الذى بناه، ويقال بل بناه شيطان اسمه جيرون فسمى به! وقال قوم إنه منسوب إلى جيرون بن سعد. . [راجع المزيد فى: معجم البلدان ٢/١٩٩].

(٤) ب: من.

(٥) أ: بصحيفة.

(٦) الأج: الإسراع. . يقال أجَّ فى سيره، إذا أسرع وهرول [لسان العرب ١/٢٣]. وأجى بمعنى أجىء وحذفت الهمزة لضرورة الوزن الشعرى.

٥ فَـكَـمْ لَـيْـلَـةٍ بِـتُّ أَطْـوِى يَـدِى
عَلَى كَـبِـدِى مِنْ جَـوًى مُنْضِجِ[١]
فَـلاَ تَمْـزِجَنْ[٢] بِدَمِى عَـبْـرَتِى
وَرِيـقُكَ لِـى بِالـكُـئُـوسِ[٣] امْـزِجِ

[البسيط]

١ انظُرْ[٤] إلَى حُـسْنِ هَـذَا الطَّـائِرِ الهَـزِجِ
وَحُـسْنِ بَهْـجَـةِ زَهْـرِ الرَّوْضَـةِ البَـهِجِ
هَـاتِيكَ تُـجْلَـى وَهَـذَا مُطْرِبٌ غَـرِدٌ
مِنْ فَـوْقِ مِنْبَـرِ عُـودِ الـمَنْدَلِ[٥] الأَرِجِ[٦]
فَـعَـاطِنِى يَا رَشِـيقَ القَـدِّ مَـا اعْـتَـصَرَتْ
يَدُ الـمَـلاَحَـةِ لِى مِنْ طَرْفِكَ الغَـنِجِ
فَـمَـا الـمُـدَامَـةُ فى سَلْبِ العُـقُـولِ بِهَـا
مَـا السُّكْرُ[٧] أَسْلَبُ مِنْ عَـيْنَيْكَ لِلْمُـهَجِ
٥ صِـرْفًـا فَـإِنْ رُمْتَ مَـزْجًـا يَامُنَى أَمَلِى
دَعْـهَـا بِرِقَّـةِ وَجْـدِى فِـيْكَ تَمْـتَـزِجِ

---

(١) ب: من هوا منضج.
(٢) ب: تمزجا.
(٣) بالكوس.
(٤) الأبيات فى ب فقط.
(٥) المندل؛ العود الرطب.. وهو المندلى [لسان العرب ٣/ ٥٣٤].
(٦) الأرج: نفحة الريح الطيبة.. وهو الأريج [لسان العرب ١/ ٤٤].
(٧) فى الأصل: فالسكر.

كَمْ بِتُّ فِى لَيْلَةٍ أَرْيَاجُهَا[1] غَلَبَتْ
عَلَى التَّشَعُّثِ ضَوْءَ الشَّمْسِ فِى السُّرُجِ
صَرَخْتُ فِيهَا بِاسْمِكَ كَىْ أُصَبِّرَهَا
مِنْ لُؤْلُؤٍ[2] بَعْدَ مَا كَانَتْ مِنَ السَّبَجِ[3]
وَكَمْ فَتَحْتُ لِضَيْفِ الطَّيْفِ مِنْ سَرَفِى
بَابَ المَنَايَا فَأَنْبَا عَمَّا[4] لَمْ يَلِجِ
وَكَمْ سَأَلتُ حُدَاةَ العِيسِ أَنْ يَقِفُوا
فِى رَسْمِ[5] مَنْزِلِهِ أَوْسَفْحِ مُنْعَرَجِ
١٠ وَكَمْ بَذَلْتُ جَمِيْعِى غَيْرَ مُكْتَرِثٍ
وَصُنْتُ سِرَّكَ فِى قَلْبٍ عَلَيْكَ شَجِى
وَشِمْتُ بَرْقًا عَلَى الجَرْعَاءِ أَخْفَقَ مِنْ
قَلبِى عَلَيْكَ وَجَفْنٍ فِيكَ مُخْتَلِجِ
حَتَّى سَمِعْتُ لكَ البُشْرَى لِتَهْنَأَ[6] قَدْ
ذُكِرْتَ ثَمَّ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ عِوَجِ
وَصَارَ ثَبْتُكَ فى مَجْرَى تَحَنُّنِ فِى
إيجَابِ سِرِّى مِنْ نَفْسٍ[7] عَلَى نَهَجِ

---

(١) غير واضحة فى الأصل. وفى اللغة، أرج النار: أوقدها.

(٢) فى الأصل: لولوزة.

(٣) السبج؛ خرز أسود.. وهى لفظة دخيلة معربة [لسان ٢/ ٨١] يقول التيفاشى: السبج من الأحجار الرصاصية، يؤتى به من الهند وفارس، وأجوده الهندى.. وهو حجر أسود شديد السواد ليس فيه شقوق، يرى فيه الوجه كالمرآة (أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار ص ١٨٦].

(٤) فى الأصل: عنه لم. (٥) الرسم؛ الأثر.

(٦) فى الأصل: ليهنك (٧) + ب: بر.

فَلَمْ أَقُلْ لِلصَّبَا مِنْ بَعْدِهَا احْتَمِلِى
لِلَمِّ شَخْصِى وَلاَ نَحْوَ الخِيَامِ عُجِى

[الطويل]

١ جَحَدْتُ[1] الهَوَى حَتَّى تَبَدَّتْ شُهُودُهُ
فَصَرَّحْتُ بِالْكِتْمَانِ وَالحَقُّ أَبْلَجُ
جُفُونِى مِنْ ذَاكَ الحِجَابِ قَرِيحَةٌ
فَلاَ دمْعَ إلاَّ وَهْوَ بِالدَّمِّ يَخْرُجُ
جَعَلْتُ عَلَى قَلْبِى يَدَىَّ تَأَلُّمَا
فَلَمْ أَرَ إلاَّ جَمْرَةً تَتَأَجَّجُ
جُبِلْتُ عَلَى حُبٍّ لِمَنْ أَنا عَبْدُهُ
فَلَحْظِى إطْرَاقٌ وَلَفْظِى تَلَجْلُجُ
٥ جَزَانِى هَوَاهُ[2] لَوْعَةً وَصَبَابَةً
وَإِنِّى إلى غَيْرِ الجَزَاءَيْنِ أَحْوَجُ
جَمَعْتُ لَهُ[3] الضِّدَّيْنِ جَمْعَ ضَرُورةٍ
فَجَفْنِى مَمْطُورٌ وَقَلْبِى مُنْضَجُ
جَرَيْتُ مَعَ الأَشْوَاقِ مِلْءَ عِنَانِهَا
وَقُرْبُكَ مَطْلُوبٌ وَحُبُّكَ مُنْهِجُ[4]

---

(١) الأبيات فى جـ فقط.
(٢) غير واضحة فى الأصل.
(٣) فى الأصل: بك.
(٤) فى الأصل: مهج!

جِنَانُ التَّـــجَلِّى لِلْجَنَانِ مُـــعَـــدَّةٌ
وَلاَ جَـــاهَ أَرْقَى فِـى رِضَـــاهُ وَأَعْـــرَجُ
جَـمِـيعُ الـمُـنَى فى لَـمْـحَـةٍ لَوْ جَنَـيْتُـهَا
فَـــمَـــرْآكَ أَبْهَـى فِى العُـــقُـــولِ وَأَبْـهَجُ
٥ جَـــمَـــالُكَ لى عَـــيْشٌ وَصَـــدُّكَ لى رَدًى
فَـــأَنْتَ الَّـذِى تُـبْلِـى وَأَنْـتَ تُفَـــرِّجُ

* * *

قافية الحاء

[الوافر]

١ لَمِنَ خِيَمٍ تَلُوحُ بِذِى طَلُوحِ[(١)]
تَضَوَّعَ نَشْرُ[(٢)] قَيْصُومٍ[(٣)] وَشِيحِ[(٤)]

دِيَارٌ[(٥)] بِالعَوَاصِمِ ذَاتُ سَفْجٍ
لِسَلْمَى دَائِمِ الدَّمْعِ السَّفُوحِ

تَبَسَّمَ ثَغْرُهَا وَاللَّيْلُ دَاجٍ[(٦)]
فَنَبَّهَتِ النَّدَامَى[(٧)] لِلصَّبُوحِ

وَكَيْفَ[(٨)] بَقَاءُ لَيْلٍ مَعْ نَهَارٍ
وَلاَسِيمَا لِذِى النَّظَرِ الصَّحِيحِ[(٩)]

---

(١) الطلح، شجر له شوك صلب. وهو فى القرآن: الموز، وقيل غير ذلك. وهو موضع بين المدينة وبدر. والمراد هنا، موضع بين مكة واليمامة يقال له: طلح، ذو طلوح (انظر، معجم البلدان ٤/ ٣٨).

(٢) أ: تفوح بنشر، جـ: يضوع بنشر.

(٣) القيصوم، كل ما طال من العشب. وهو اسم لنبات من رياحين البر، ورقه هدب، وله نورة صفراء تنهض على ساق طويلة (لسان العرب ٣/ ١٠٦).

(٤) الشيح، نبات سهلى له رائحة طيبة وطعم مر (لسان العرب ٢/ ٣٩١).

(٥) = ب. (٦) ج: داحى.

(٧) ب: النداما.

(٨) × أ. (٩) أ: القلب الجريح، ج: البصر الصحيح.

٥ أَيَا[١] لَدْنَ الَقَـوَامِ أَعِـدْ لِجِسْمِي[٢]
بِكَاسِكَ - يَا فَدَتْكَ النَّفْسُ[٣] - رُوحِي
فَإِنَّ بِهَا حَيَاتِي بَعْدَ مَوْتِي
لِهَذا لُقِّبَتْ[٤] بِدَمِ الْمَسِيحِ
أَلَسْتَ تَرَى الحَمَائِمَ قَدْ تَغَنَّتْ
بِلَحْنٍ[٥] مُعْجَمِ الْمَعْنَى فَصِيحِ
تُذَكِّرُكَ الصَّبَابَةَ وَالتَّصَابِي
وَتَنْسَخُ حُكْمَ تَوْبَتِكَ[٦] النَّصُوحِ[٧]

[الطويل]

١ عَسَى[٨] لَيْلُ آمَالِي بِوَجْهِكَ يُصْبِحُ
وَيُسْعِفُنِي[٩] الدَّهْرُ البَخِيلُ وَيَسْمَحُ
وَيَسْكُنُ قَلْبٌ[١٠] قَدْ تَمَادَى خُفُوقُهُ
وَيَخْلُصُ طَرْفٌ[١١] رَاحَ لِلدَّمْعِ يَسْفَحُ

---

(١) × أ.

(٢) ب : لروحي.

(٣) ب : الروح.

(٤) ج، ب : ألقيت . . والضمير هنا، عائد على الكأس!

(٥) ب، ح : بصوت.

(٦) ج : نوليك.

(٧) ب : النصوح، الخالص . . والتوبة النصوح الخالصة من معاودة الذنب!

(٨) الأبيات في أ، ب. (٩) أ : ويسعفنا.

(١٠) ب : قلبا. (١٢) ب : طرفا.

أُؤَمِلُ[1] أَنْ يَبْـدُو[2] لِعَـيْنِـى جَـمَـالُهَـا
عَـسَى لحَظُهَـا فِى رَوْضَـةِ الحُـسْنِ يَسْـرَحُ

فَلَـمَّـا بَـدَتْ أَطَرَقْتُ فِى الحِـينِ هَـيْبَـةً
وَمَنْ ذَا لِـعَـيْنِ الشَّـمْسِ بِـالعَـيْنِ يَلْـمحُ

٥ تَعَـرَّضْ لآرامِ الصَّـرِيمِ[3] لَعَلَّهَـا
بِأَلحَـاظِهَـا تَرْمِى حَـشَـاكَ وَتَجْـرَحُ[4]

فَـمَـا عَـاشَ إلاَّ مَـيِّتٌ فِـى حِـمَـاهُمُ
وَمَـا مَـاتَ[5] إلاَّ مَنْ لأَهْـلِيـهِ يَصْلُحُ

إذا أَسَـرَتْ قَلْبِى عُـيـونُ أُهَـيْلِـه
فَـلاَ عِـشْتُ إنْ أَمَّلْتُ أَنِّى[6] أُسَـرَّحُ

وَأَيْنَ جَـمِـيلٌ[7] مِنْ غَـرامِى وَقَـدْ غَـدا
لَدَيْهِ جَـمِـيلُ الصَّـبْـرِ فِى الحُبِّ يَقْـبُحُ[8]

[الطويل]

١ أَلَمْ تَـرَ وَجْـهَ الحُـسْنِ[8] أَوْضَحَ وَاضِحٍ
بَدَا فَـهْـوَ لِلأَنْوارِ أَفْـضَحُ فَـاضِحِ

---

(١) ب: أأمل. (٢) ب: يبدى

(٣) الآرام، جمع «رئم» وهو الغزال الخالص البياض.. الصريم، الزرع والإبل (راجع: لسان العرب ١/ ٢٠، ٢/ ٤٣٤) فيكون المراد هنا، الدعوة إلى التعرض للنفحات الإلهية، التى هى حرم العالم النورانى، عسى أن ينال المتعرض شيئا منها.

(٤) فتجرح. (٥) أ: ولا فاز.

(٦) أ: أملتنى أن + أ: أملت أنى.

(٧) يقصد: جميل بثينة، العاشق المشهور.

(٨) راجع ما ذكرناه عن «الصبر عن الله» فيما سبق.

(٩) أ: الصبح.

وَلاَ عَـــائِقٌ مِـنْ دُونِهِ غَـيْـــرُ ذَاتِه[١]

وَمَـــادُونَهُ مِنْ مَـــانِعٍ غَـيْـــرُ مَـــانِحِ

إِذَا أَنْتَ أَعْطَتْكَ[٢] العُـيُـونُ عُـيُـونَـهَـا

سَبَـتْكَ[٣] مَرِيْضَـاتُ العُـيُـونِ الصَّحَـائِحِ

وَإِنْ أَنْتَ أَفْنَتْكَ[٤] الـمَـعَـانِى وَكُنْتَـهَـا[٥]

شَـهِـدْتَ الـمَـغَـانِى[٦] آهِلاَتِ الجَـوَائِحِ

٥ فَـشَاهِـدْ كَثِـيفَ الكَـوْنِ لاَ مُتَنَقِّـصًـا[٧]

تَجِـدْ وَجْــهَ حُـسْـنٍ لِلـكَمَــالاَتِ لاَئِحِ

فَــمَــا الدَّوْحُ تَثْنِيـهِ صَـبًـا[٨] سَـحَـرِيَّةٌ

بَكَـتْ بِالنَّدَا خَـوْفَ الجَنُوبِ[٩] الـمُـنَاوِحِ

وَرَدَّدَ فِـيــهَـا لَحْنَهُ كُلُّ مُـعْـرِبٍ

مِنْ الـوُرْقِ مِنْ مَـعْـنىً مُـغَنٍّ[١٠] وَنَائِحِ

---

(١) الإشارة هنا إلى أنوار الذات الإلهية، التى هى حجاب لها، كما ورد فى الحديث الشريف: إن لله سبعين حجابا من نور.

(٢) أ: أعطيت.

(٣) ب: رأيت، ج: سكت.

(٤) أ: واتتك، ج: أتتك.

(٥) ب: وكتبها.

(٦) . ٘. المعانى.

(٧) ب: وشاهدت وجه الكون لا متناقصا، ج: . . لامتنقضا.

(٨) الصبا السحرية، ريح الصبا وقت السحر.

(٩) الجنوب، ريح الجنوب.

(١٠) أ: فى معنى، ب: مغنا مع معنا.

وَأَوْقَدَ فِيهَا وَامِضَ البَرْقِ ضَوْءُهُ[1]

فَلاَقَى الدُّجَى مِنْ زَهْرِهِ بِالمَصَابِحِ[2]

فَيَاحُسْنَ[3] وَجْهٍ مِنْ كَنِيفَاتٍ[4] مَرْكَزٍ

هَجَاهَا غَمٍ[5] لَكِنْ بِعَيْنِ المَدَائِحِ

١٠ تَطَوَّرَ[6] فِى أَشْكَالِهَا ذَلِكَ الَّذِى

لَهُ القَيْدُ وَالإِطْلاَقُ رُتْبَةُ[7] لاَمِحِ[8]

---

(١) ضوه، ج: صنوه. (٢) ب، ج: بمصابح.

(٣) أ: بأحسن، ج: يا حسن (٤) ب: منيعات، غير واضحة فى ج.

(٥) ب: عما، ج: عمى.. والإشارة إلى غير المتحقق بالوحدة الإلهية!

(٦) أ: تصور. (٧) ج: زينة.

(٨) قوله فى أول البيت «تطور» يعنى اتخذ أطوارا متعددة.. والبيت فى جملته تعبير مركز عن نظرية (الوحدة الإلهية) عند الصوفية، وهى النظرية التى تتضارب فيها أقوال دارسى التصوف فيطلقون عليها تسميات مثل: وحدة الوجود، وحدة الشهود، الوحدة المطلقة... إلخ.

ووفقا لهذه النظرية، فألوهية الحق تعالى جامعة بين الأضداد، بمعنى أن كل مظاهر الوجود، إنما هى محض تجليات إلهية، وظهور لآثار الأسماء والصفات الإلهية.. وبذلك ترجع الأضداد إلى أصل واحد بعينه.

وهناك رتبتان فى الوجود، رتبة القيد! وهى حكم الظاهر على الأشياء من حيث المظاهر المتنوعة، وذلك هو عالم الكثرة الذى يبدو للعين فى حال الصحو. ثم رتبة الإطلاق! وهى حكم الباطن على الموجودات من حيث أصلها الواحد، وذلك هو عالم الوحدة الذى يتجلى لبصيرة الصوفى فى حال المحو.

ولم يكن التلمسانى متفردًا فى قوله بهذه النظرية، فقد سبقه إليها صوفية كبار، كالسهروردى الإشراقى وابن سبعين الأندلسى. كما عنى بالقول المفصل فيها، أكبر صوفية الإسلام أثرًا فى العفيف التلمسانى، الشيخ الأكبر: محيى الدين بن عربى.. وفى التصوير الشعرى لهذه الفكرة الصوفية، يقول ابن الفارض (التائية الكبرى، أبيات ٢٤١، ٢٤٢):

وَصَرِّحْ بِإِطْلاَقِ الجَمَالِ ولاَ تَقُلْ بِتَقْيِيدِهِ مَيْلاً لِزُخْرُفِ زِينَةِ

فَكلُّ مَلِيحٍ حُسْنُهُ مِنْ جَمَالِهَا مُعَارٌ لَهُ حُسْنُ كُلِّ مَلِيحَةِ

وبعد التلمسانى، جاء عبد الكريم الجيلى ليبدع فى تفصيل هذه النظرية، عارضا لها فى سائر مؤلفاته، على نحو لم يزد عليه صوفى آخر جاء بعده، بل كان المتأخرون عليه مجرد نقلة للنظرية (راجع كتابنا: الفكر الصوفى ص ١٥٥ وبعدها).

فَإنْ[1] غَلطَتْ عَيْنُ الجَهُولِ[2] فشَاهَدَتْ
خِلاَفًا[3] فَفِى عَيْنِ الوِفَاقِ[4] المُنَاصِحِ

وَمَا[5] غَلطَتْ عَيْنُ الجَهُولِ وإنَّهَا
لَصَادِقَةٌ فِى كُلِّ كِذْبٍ فَسَامِحِ[6]

فَإنَّ الوُجُودَ المَحْضَ لَمْ يَأتِ بِدْعَةً
وَمَا غَيْرُهُ يَأتِى بِبِدْعٍ وَصَالِحِ

هُوَ البَحْرُ لاَ سَطْحٌ ولاَ سَاحِلٌ لَهُ
فَمنْ طَائِرٍ فِيهِ وَمَاشٍ وَسَابِحِ[7]

١٥ شَجَتْ[8] مَاءَهُ[9] واسْتَوْقَفَتْ مِنْهُ فُلْكَهُ
سَرَائِرُ يُبْدِى صَوْنَهَا كُلُّ بَائِحِ[10]

---

(١) = ج .

(٢) فى المصطلح الصوفى، لا يعنى الجهلُ مفهومَه المشهور! فقد يدخل فى دائرة الجهال عندهم الأدباء، والكتبة، وفقهاء الظاهر . وذلك أن الجهل الحقيقى عندهم، هو الجهل بالله . فمن لم يكن صاحب ذوق ومشاهدة، فهو فى حكمهم من عوام الجهلة (راجع : إلجام العوام عن علم الكلام، للغزالى ـ على هامش كتاب : الإنسان الكامل ـ ص ١٧ ، ١٨).

(٣) يقصد : خلافا لما يعطيه مشهد الوحدة .

(٤) ب : الزمان .

(٥) ج : فان .

(٦) ب : من كل ذنب تسامح .

(٧) الإشارة هنا إلى مشهد الكثرة فى الوحدة، وهو المشهد الذى يبدو كبحر لاساحل له . . راجع مفهوم عبارة «بَحْرى بلا ساحل» فى (ألفاظ الصوفية ومعانيها ص ٣٦).

(٨) = ب، تنقت، ج : شجى .

(٩) : ماؤه .

(١٠) أ : نايح .

عَذَارَى[1] أَبُوهَا[2] كَانَ[3] مَفْعُولَ[4] أُمِّهَا

لِذَا[5] لَمْ يَجِى[6] فِيهَا[7] القِيَاسُ بِوَاضِحِ[8]

أَيَا طَارِحًا تِلْكَ الحَبَائِلَ صَائِدًا

هِىَ الصَّيْدُ فَاطْرَحْ، طَرْحُهَا غَيْرُ[9] طَارِحِ

وَلاَ تَشْكُ[10] هَجْرًا مِنْ حَبِيبٍ مُوَاصِلِ

تَنَكَّرَ إِذْ سَمَّيْتَهُ[11] بِاسْمِ كَاشِحِ

---

(١) غير واضحة فى ج، ب : وعذرا.

(٢) أ : أبيها. (٣) ج : أبوهان!

(٤) أ : معقول. (٥) ج : كذا.

(٦) ب : تجى.

(٧) ب : فيه.

(٨) فى هذا البيت، يقع التلمسانى فى متاهة فلسفية لم ينج منها سوى قلة من الصوفية المعاصرين له، وهذه المتاهة الفلسفية هى «نظرية الفيض» التى انتقلت إلى المحيط الثقافى الإسلامى من مدرسة الإسكندرية، عبر تلك الترجمات التى اجتاحت العالم الإسلامى مع حركة الترجمة من اللغة اليونانية إلى العربية منذ القرن الثالث الهجرى.

ففى الإسكندرية، ظهرت صياغة جديدة للفلسفة اليونانية، عرفت باسم «الأفلاطونية المحدثة» وهى مزيج من أفكار أفلاطون والمتأخرين عليه، من أمثال فيلون اليهودى وأمونيوس ساكاس ـ سقاء أمون ـ وتلميذه الشهير أفلوطين.. وكانت كتابات أفلوطين هى المنبع الرئيسى لمعرفة المسلمين بنظرية الفيض، فقد عرفوا موسوعته الفلسفية (التاسوعات) التى عرضت لكيفية صدور الموجودات عن الواحد «الله» وكيف حدث هذا الفيض عن تأمل الواحد لبهائه، فصدر من تعقل الواحد لذاته «العقل الأول» تعقل ذاته، فصدرت «النفس الكلية» ثم توالت سلسلة الفيوضات إلى العالم الأرضى والتحمت بالمادة، فكان العالم المحسوس. وقول التلمسانى هنا «عذارى» إشارة إلى المعقولات والأفلاك العلوية، التى هى نتاج انفعال العقل الأول «الأب» بالنفس الكلية «الأم» ولو كان التلمسانى قد تجنب الخوض فى تلك المبهمات، لكان خيرا فعل. لكنه تأثير ابن عربى وتلاميذه!

(٩) ب : عند.

(١٠) = ج.

(١١) أ : فتنكر ذا سميته، ب : تذكر إذ سميتها.

وَإِنْ[1] كُنْتَ مَزْكُومًا فَلَيْسَ بِلاَئِقٍ
مَقَالُكَ[2] إِنَّ المِسْكَ لَيْسَ بِفَائِحِ

[السريع]

جُنْحُ[3] الدُّجَى مِنْ شَعْرِهِ يَجْنَحُ
أَوْ مِنْ ثَنَايَا ثَغْرِهِ يُصْبِحُ
عَجِبْتُ مِنْ بَرْدِ لَمَاهُ وَفِى
قَلْبِى مِنْهُ لَهَبٌ يَلْفَحُ
اشْرَبْ عَلَى نَرْجِسِ أَجْفَانِهِ
خَمْرًا بِهِ أَلْحَاظُهُ تَسْمَحُ[4]
وَلاَ تَقُلْ[5] أَلوَرْدُ ضَيْفٌ[6] أَمَا
فِى وَجْنَتَيْهِ الوَرْدُ لاَ يَبْرَحُ
٥ يَا صَاحِ هَلْ صَحَّ لَنَا مَا رَوَى
عَنِ الصِّحَاحِ[7] الطَّائِرُ المُفْصِحُ[8]
فَإِنَّ[9] فِى الأُفْقِ أَرى لُجَّةً
لِلشُّهْبِ فِيهَا لُؤْلُؤٌ يَسْبَحُ

---

(١) ب: فان. (٢) ج: ملالك.
(٣) × ب (وكتب الناسخ فى الهامش: أول القصيدة، جنح الدجى).
(٤) ب: ما عصروا منه وما يسمح، ج: ما عصروا من خمرها واسمحوا.
(٥) أ: ولا تقول، ب: فلا تقول، ج: تقولوا.
(٦) ج: ضيفا. (٧) أ: الصباح.
(٨) انظر ما سنقوله عن «السماع» فى التعليق التالى.
(٩) = ج.

[الكامل]

بَادِرْ[1] إلى رَاعِى الصَّبُوحِ صَبَاحًا
وَاجْعَلْ زَمَانَكَ كُلَّهُ أَفْرَاحَا
وَأجِلِ[2] التَّى تَجْلو[3] هُمُومَكَ فى الدُّجَى[4]
حَتَّى تَرَى لِظَلامِهِ إصْبَاحَا[5]
يَا طَالِبَ الرَّاحَاتِ لَيْسَ يَنَالُهَا
إلاَّ الَّذِى فِى الرَّاحِ يَجْلُو الرَّاحَا
أَوْ مُغْرَمٌ أعطَى الصَّبَابَةَ حقَّهَا
تَدْعُوهُ صَبْوَتُهُ إلَيْهِ كِفَاحَا
٥ نَشْوَانُ مِنْ طَرَبِ[6] الصِّبَا فَكَأَنَّهُ
غُصْنٌ يَمِيلُ مَعَ الصَّبَا مُرْتَاحَا
أَوْ مَا تَرَى عُجْمَ[7] الحَمَائِمِ لَحْنُهَا
قَدْ رَاحَ يُفْصِحُ[8] فِى الهَوَى إفْصَاحَا[9]

---

(١) أ: الأبيات فى أ، ب.

(٢) ب: واجلى. (٣) ب: تجلى.

(٤) ب: الهوى. (٥) أ: لصلاته مصباحا.

(٦) أ: خمر. (٧) ب: لحن.

(٨) ب: يفضح.. إفضاحا.

(٩) تكررت إشارات التلمسانى إلى ما يعرف عند الصوفية باسم «السماع»، وهو خطاب الحق تعالى لأوليائه على لسان الكائنات. وقد توسع الصوفية فى الكلام عن هذا الخطاب الإلهى الكامن فى أصوات المخلوقات (راجع على سبيل المثال: الإنسان الكامل، النادرات العينية، للجيلى، التائية الكبرى، الخمرية، لابن الفارض).

وهناك مفهوم آخر للسماع، وهو تلك الحلقات التى يجتمع فيها المريدون حول منشد يتغنى بأشعار=

وَالرَّوضُ فِى حُلَلِ[1] الجَداوِل مُشْبِهٌ
حُللاً[2] تُجرِّدُ فَوْقهُنَّ صِفَاحَا
وَالرُّوحُ بِالأنْفَاسِ[3] تَقْصِدُ أنْفُسًا[4]
مَوْتَى فَتَبْعَثُ[5] فِيهِمُ الأرْوَاحَا
فَإذا لحَاكَ عَلَى[6] البُرُوقِ وَشَمَّهَا
لاَحٍ وَخلْتَ الكَأسَ بَرْقًا[7] لاَحَا
١٠ فَاخْفِضْ[8] جَنَاحَكَ لِلمُدِيرِ وَغِبْ[9] عَنْ
اللَّاحِى تَرَى مِنْ حَالَتَيْكَ نَجَاحَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ فى السُّكْرِ إلاَّ فُرْقَةُ[10]
اللاَّحِى فَوَصْلُكَ قَهْوَةً وَمِلاَحَا

المحبة حتى يثير كوامنَ الشوق فى النفوس، وهى حلقات غالبا ما تستعمل فيها الموسيقى والآلات.. نهى عنها بعض الصوفية «ابن سالم البصرى، أبو طالب المكى، عبد القادر الجيلانى..» وتجاوز عنها أغلب المتصوفة، ولم يروا فيها بأسا (راجع الفصل الخاص بالسماع فى: إحياء علوم الدين، عوارف المعارف)ولعبد الكريم الجيلى رسالة مستقلة فى مناقشة هذه القضية المختلف عليها بعنوان: غنية أرباب السماع وكشف القناع عن وجوه الاستماع.. (مخطوطة بخط المؤلف، دار الكتب المصرية رقم ٣٦٠/ تصوف).

(١) ب: ظلل.
(٢) ب: خيالا.
(٣) الأنفاس؛ المواهب الربانية ولمحات الأنوار العلوية.
(٤) أ: بالأرواح يقصد سائلا.
(٥) أ: فيبعث.
(٦) ب: عن.
(٧) برق. برق.
(٨) أ: فاخضع.
(٩) ب: غيب. (١٠) ب: غيبة.

أَوَلَيْسَ[1] صَحْوُكَ دَأْبُهُ مِنْ شَأنه
أن يَجْمَعَ العُذَّالَ وَالنُّصَّاحَا
فَاجْعَلْ مَكَانَ الصَّحْوِ[2] سُكْرًا تَجْتَلِي
مِنْ خَمْرِكَ الأَحْدَاقَ والأقداحَا
أَنَا مَنْ تَجِرْتُ مَعَ الغَرَامِ مُجَرِّبًا
فَوَجَدتُ كُلَّ تِجَارَتِي أَرْبَاحَا
١٥ وَرَأَيْتَنِي غَنَّيْتُ[3] مِنْ طَرَبِ الهَوَى
وَأَخُو التَّسَلِّي[4] بِالتَّشَكِّي[5] بَاحَا
وَرَأَيْتُ لَيْلَى أَسْفَرَتْ فَكَحَلْتُ مِنْ
أَلحَاظِهَا مُقَلاً مُلِئْنَ جِرَاحَا
وَجَلا ظَلامِيَ نُورُهَا فَكَأَنَّمَا
أَهْدَتْ إلى ظُلُمَاتِهَا[6] مِصْبَاحَا[7]
فَرَأَيْتُ إِذْ شَاهَدْتُ مِنْ أَجْفَانِهَا
المَرْضَى مَعَانِي[8] فِي الجَمَالِ صِحَاحَا

---

(١) = أ.　　(٢) + أ.
(٣) ب: قد غبت.
(٤) ب: التشكي.
(٥) أ: التسلي.
(٦) إشارة إلى الحديث الشريف: إن لله تعالى سبعين حجابا من نور وظلمة، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره [انظر تخريجه فيما سبق].
(٧) أ: الإصباحا.
(٨) ب: مرضى المعاني.

وَأعْـــجَـــمَتْ أعْـــيُنُكَ الـــسِّـــحْــــرَ مُـــذْ

أعْــرَبْتَ مِنْهُنَّ الصِّـــفَــاتِ الصِّـــحَــاحْ[1]

فَـــيـــالَـهَـــا سُـــودٌ مِـــرَاضٌ غَـــدَتْ

تَسُلُّ لِلْـعُـــشَّـــاقِ بِيضَ الصِّـــبَـــاحْ

يا لِـلْهَـــوَى مِـنْ مُـــسْـــعِـــدٍ مُـــغْـــرَمٍ

رَأى حَـــمَـــامَ الأيْـكِ غَـنَّى فَـنَـاحْ

٥ يَـا بَـانَـةً مَـــــالَـتْ بِـأَعْـطَـافِـــــه

قَـــدْ عَلَّـمَـــتْنِي كَـــيْفَ هـذَا الرِّمَـــاحْ

وَأَنْـتِ يَـا أَسْـــــهُـــمَ أَلحَـــــاظِـه

أثْـخَـنْتِ وَالـلـهِ فُـــؤادِى جِـــرَاحْ

[الطويل]

١ حَنَنْتُ[2] إلىَ العَـــهْـــدِ كَـــانَ فَـــانْـقَـضَى

فَـــهَـا أنا فِى الـظَّلْمَـاءِ ألْـتَمِسُ الصُّـبْـحَـا

حَـــرِيقٌ بِنَـارِ القَلْـبِ لاَ أُجْـــمِـلُ الأسَى

غَـرِيقٌ بِمـاءِ الدَّمْعِ لاَ أُحْـسِنُ السَّـبْحَـا

حُـجِـبْتَ فَـمَــالِى فِى لِـقَـائِكَ حِـيلَةٌ

عَلَى أَنَّنِى أَظْمَـأ لِحُـبِّكَ[3] لَوْ أَصْـحَـا

---

(١) فى الأصل : صفائح صحاح .

(٢) الأبيات فى ج فقط .

(٣) فى الأصل : بحبك .

حَشَاىَ وَأجْفَانِى لَهِيبٌ وَأدْمُعٌ
فَآوِنَةً سَحًّا[1] وَآوِنَةً لَفْحَا

٥ حَلاَ لِى ذِكْرُ الحُبِّ حتى اخْتَبَرْتُهُ
فَأَلْفَيْتُ أَنَّ الجِدَّ لاَيُشْبِهُ المَزْحَا

حَبِيبٌ هَجَرْتُ الخَلْقَ طَوْعًا لِحُبِّه
وَمِنْ أَجْلِه أضْرَبْتُ[2] عَنْ ذِكْرِهِمْ صَفْحَا

حَتَمْتُ عَلَى قَلْبِى مُرَاقِبَ بَابِه
عَسَى مُغْلَقُ الأَبْوَابِ يُعْقِبُهَا فَتْحا

حُسِدْتُ عَلَى دَمْعٍ عَلَيْكَ أَرَقْتُهُ
وَذَاكَ لأنَّ الحُبَّ بِالسَّحِّ قَدْ صَحَّا[3]

حَنَانَيْكَ لَيْسَ الصَّبْرُ عَنْكَ بِمُمْكِنٍ
فَإنْ لَمْ أَنَلْ مِنْكَ المَحَبَّةَ فَالصَّفْحَا

١٠ حَرَامٌ عَلَى العِيدَيْنِ طَرْفِى وَمَسْمَعِى
لأَنَّكَ يَا مَوْلاَىَ فِطْرِى وَالأَضْحَا

---

(١) فى الأصل : مسحا .

(١) فى الأصل : أطرقت من .

(٣) يقصد؛ سح الدمع صار يستوجب الحسد، لكونه دليل صحة المحبة .

قافية الخـــاء

[الطويل]

١ عَلَى[١] صُدْغِهِ بالمِسْكِ مِنْهُ نَواضِخُ[١]
وَفِى خَدِّهِ بِالْمِسْكِ مِنْهُ نَواسِخُ[٣]
كَأَنَّ تَثَنِّى قَدِّهِ غُصْنُ بَانَة
عَلَيْهِ شَبِيْهُ الشَّعْرِ أَسْوَدُ صَالِخُ[٤]
أَلاَ فَارْوِيَا عَنِّى أَحَادِيثَ حُبِّهَا
فَمَا شَافَ أَهْلاً قطُّ فِيْهَا النواسِخُ
وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بِتُّ سُكْرًا بِحُبِّهَا
وَشَيْبُ شَدَا الأَوْتَارِ عِنْدِى شَوَادخُ[٥]

---

(١) المخطوطة (أ) لم تذكر أية أشعار من قافية الخاء، وانفردت المخطوطة ب بهذه الأبيات، وانفردت المخطوطة ج بالأبيات التالية لها.

(٢) فى الأصل: ناضخ.. والنضخ، شدة فوران الماء فى جيشانه وانفجاره من ينبوعه. وهى كلمة قرآنية «فيهما عينان نضاختان» والعين النضاخة: كثيرة المياه (لسان العرب ٣/ ٦٥٥).

(٣) فى الأصل: ناسخ.. ويبدو البيت كما لو كان تعبيرا عن العطاء والمنع، فما ينضخ بالمسك من صدغ الحبيب، يقابله إمساك خده.. وهو معنى غريب!

(٤) الصلخ، الصمم.. فإذا بالغوا بالأصم قالوا: أصم أصلخ (لسان العرب ٢/ ٤٦٣) وقوله هنا «أسود صالخ» للمبالغة فى اسوداد الشعر.

(٥) الشدخ، والكسر. ويقال خاصة فى الرأس والشىء الأجوف (لسان العرب ٢/ ٢٨٢).

٥ فَلِمْ يُنْتَهَرْ فِيْهَا التَّصابى والصِّبَا

وَقَدْ أُوْعِدَتْ[١] بالانْتِهَازِ المَشَايخُ

[الطويل]

١ خَليلَىَّ مَا لِلْقَلْبِ يَهْفُو مِنَ الأَسَى

وَمَا لِدُمُوعِ العَيْنِ كَالْعَيِنِ[٢] تَنْضَخُ[٣]

خُلِقْتُ كَمَا شَاءَ الهَوَى طَوْعَ حُكْمِهِ

فَهَا أنَا أَبْنِى مُنْذُ حينٍ وَأفْسَخُ

خَلَعْتُ عِذَارِى فِى هَوَاهُ كَأَنَّنِى

أصَمُّ عَنِ العُذَّالِ فِى الحُبِّ أَصْلَخُ

خَضَعْتُ لِمَحْبُوبٍ أذلُّ لِعِزِّهِ

فَيَنْأى[٤] عَلَى ذُلٍّ لَدَيْهِ وَيَنْسَخُ

٥ خَفِيتُ عَنِ الأبصَارِ لَوْلاَ بَقِيَّةٌ

مِنَ القَلْبِ تُبْقِى الحُبَّ فِيْهَا فَيَصْرُخُ

خَيَالٌ كَمَا لاَحَ انْحِلاَلُ وَرَاءَهُ

فُؤَادٌ بِمَسْفُوحِ الدِّمَاءِ مُضَمَّخُ

خَلِيٌّ وَلَكِنْ مِنْ سِوَاكَ وَفِى الحَشَا

ضِرَامٌ بِأَنْفَاسِ الصَّبَابَةِ تَنْفُخُ

---

(١) فى الأصل : أعدت .

(٢) فى الأصل : كالغير .

(٣) راجع «النضخ» فيما سبق .

(٤) غير واضحة فى الأصل .

خِطَابُكَ رَيْحَانِى وَرُوْحِى وَجَنَّتِى[1]
وَمِنْ دُونِهِ لِلرُّوحِ فِى الحُبِّ بَرْزَخُ[2]

خَبَأتُ الهَوَى وَهْوَ الهَوَانُ حَقِيقَةً
فَدَعْوَتُهُ تُشْجِى وَدَعْوَاهُ تُرْنِخُ[3]

* * *

(١) قوله تعالى: «فأما إن كان من المقربين، فروح وريحان وجنة نعيم. . الواقعة: ٨٩».

(٢) البرزخ، الفاصل الحائل بين الشيئين، وهو الوقت الممتد من الموت إلى البعث (لسان العرب ١/ ١٣٩) وللصوفية كلام طويل فى عالم البرزخ الفاصل بين الدنيا والآخرة.

(٣) الرنخ، الإذلال. يقال «رنخ الرجل» إذا أذله (لسان العرب ١/ ١٢٣٥) وقد انتهت هذه الأبيات ببيت كتبه الناسخ كما يلى:

خذوا الوجد من قلبى عيانا فإنما زمان التصابى يوسخ

قافية الدال

[الطويل]

١ مُـحَـيَّـاكَ تَهْـوَاهُ الحُـمَـيَّـا[١] أَمَـا تَرَى
حَشَـا الكَأسِ فِـيـهِ[٢] جُـذْوَةٌ[٣] تَتَـوَقَّـدُ

وَلَوْلاَ بُكَاهَـا مَـابَدَا فَـوْقَ خَـدِّهَا
دُمُـوعٌ[٤] حكَـاهَا اللُّؤْلُـؤُ الـمُـتَـبَـدِّدُ

وَمَـا كُنْتُ أَدْرِى فِـتْنَةَ العِـشْقِ قَـبْلَـهَـا
إلىَ أَنْ رَأَتْ عَـيْنِى جَـمَـالَكَ يُـعْـبَـدُ

إذَا مَـا ارْتَشَـفْتَ الرَّاحَ[٥] منْ ثَغْـرِ كَـأسِـهَا
أَلَسـتَ تَرَاهَا نَحْـوَ وَجْـهِكَ تَسْـجُـدُ

٥ ولَوْ لَمْ[٦] يَكُنْ مَـعْنَاكَ فى الـكَوْنِ مُطْلَـقًـا
يَدُلُّ عَـلَيْـهِ منْكَ حُـسْنٌ مُـقَـيَّـدُ

---

(١) أ، ب: محيا.

(٢) أ: فيها.

(٣) ب: خمرة.

(٤) ب: حباب.

(٥) ب: الخمر، ج: الكأس.

(٦) ج: ولولا.

لَـمَـا شَـهِـدَتْ[1] عَـيْنِي جَـمَـالَكَ جَـهْـرَةً

وَمَنْ لَمْ تُـشَـاهِـدْ عَــيْنُهُ كَــيْفَ يَشْــهَــدُ[2]

عَـجِبْتُ[3] لِكَأسٍ قَـدْ صَـحَـوْتَ بِشُـرْبِهَا

بِهَــا أَبَدًا صَــحْــوى[4] عَلَىَّ يُـعَــرْبِدُ[5]

أَقَــامَتْ عَـلَىَّ الحَــدَّ أَسْــمَـــاءُ ذَاتِهَــا

فَــهَـلاَّ أُقِــيمَ[6] الحَــدُّ فِــيمَنْ يُحَــدِّدُ[7]

رَأَوا عِطْفَ[8] لَيْلَى قَـدْ تَثَنَّى فَـأَشْـرَكُـوا

وَقَـدْ يَتَــثَنَّى[9] وَهْوَ فِي الحُـسْنِ[10] مُـفْـرَدُ

---

(١) ب: شاهدت.

(٢) فى هذا البيت يشترط التلمسانى لصحة الشهادة «لا إله إلا الله» شهود التجلى الإلهى فى الكون، إذ كيف تصح الشهادة بلا شهود.. أما الأبيات الخمسة الأولى، فهى فى جملتها تصوير لجوانب نظرية الوحدة، وما يذهب إليه أهل المشاهدات من القول بالوجود المطلق والوجود المقيد، وقد تعرضنا لذلك فى تعليق سابق.

(٣) = ب.

(٤) أ: سكرى.

(٥) يشير البيت إلى أثر كأس المحبة الإلهية، وهى كأس ـ كما نرى ـ تورث صحوا لا سكرا! فالمحبة الإلهية تفتح أعين العبد على تجليات كمال الله وجماله فى الوجود، فيفيق من سكر الحجاب وكثافة المادة، وينتبه إلى التجليات الإلهية فى الكون.. والصوفية يستخدمون مصطلح (الصحو) فى مقابل (المحو) قاصدين بهما حالين مخصوصين لأهل التجريد، فالمحو هو فناء ذات الصوفى بالكلية، بعد ارتقائه سلم الأحوال والمقامات، أما الصحو فهو البقاء بعد الفناء، وهو ما يعرف فى لغة الصوفية بالبقاء الثانى تمييزا له عن البقاء الأول فى عالم الحجب.

(٦) ج: مقيم.

(٧) يشير التلمسانى هنا إلى وجوب إقامة الحد على من يحدد الوجود الإلهى فى صور الخلق، وذلك كما فعل النصارى حين قالوا إن الله هو المسيح، فكانوا بذلك يقيدون الحق تعالى بصورة.. ووفقا لقول الصوفية على لسان الوحدة، فإن الله هو الإطلاق الذى لا يجوز تحديده وتقييده فى صورة معينة.

(٨) ب: حسن.

(٩) ج: تتثنى. (١٠) أ: حسنها وهو.

١٠ فَـإنْ[1] حَـاوَلُوا مِنِّي: الْجُحُـودُ أَوْ الرَّدَى[2]

فَـهَـذَا دَمِي حِـلٌّ لَهُمْ لَسْتُ أَجْحَـدُ

[الوافر]

١ وَحَـقِّكَ[3] مَـا الْجُـفُـونُ السُّوْدُ رُمْـدُ

وَلاَ سَلَّتْ[4] بِـهَـا الـهِنْدِيَّ هِـنْـدُ

وَلَكِـنَّ الفُـتُـورَ بِهَـا فُـتُـونٌ[5]

وَفِي الـوَسَنِ الَّـذِي تُبْـدِيـهِ سُـهْـدُ

لَقَـدْ أَطْرَبْتَ سَـمْـعِي[6] يَا عَـذُولِي

بِـذِكْـرَاهَـا كَـأَنَّكَ كُنْتَ تَشْـدُو

وَسُقْتَ رِكَـابَ أَشْـوَاقِي وَدَمْـعِي

فَـعَـذْلُكَ[7] ذاكَ لِي أَمْ أَنْتَ تَحْـدُو

٥ وَأَغْـيَـدَ[8] فِي الـمَنَاطِقِ مِنْهُ[9] غَـوْرٌ

أَهِيـمُ بِهِ وَفِـي الأَعْطَافِ[10] نَـجْـدُ[11]

---

(١) ج: وإن.

(٢) أ: الردى . . والإشارة إلى تخييرهم له بين الموت وبين إنكار ما هو من المحبة.

(٣) الأبيات فى أ، ب. (٤) ب: سلب. (٥) ب: فنون.

(٦) ب: سمعك. (٧) ب: بعذلك. (٨) ب: وأهيف.

(٩) أ: عنه.

(١٠) العطف؛ موضع بنجد (معجم البلدان ٤/ ١٢٩).

(١١) جاء فى صدر البيت «غور» وفى آخره «نجد» وهما كلمتان وردتا فى شطر بيت محروم النصف للأعشى يقول فيه «غار لعمرى فى البلاد وأنجدا» فاختلف فى مرادهما، قال الجوهرى: غار يغور غورا أى أتى الغور لانجدا (لسان العرب ٢/ ١٠٢٧).

ونرى أن المراد من قول التلمسانى هو أن محبوبه الأغيد نحيف الخصر - حيث يلتف النطاق - ففى خصره غور، وفى أعطافه «أكنافه» نجد أى ارتفاع . . فهو أغيد أهيف نحيف الخصر.

شَــــهِـــدْتُ بِـوَجْـــهِـــهِ بَـدْرًا وَأَدْنَى

وَقَـــائِعِ لحَظِـهِ بَـدْرٌ وأُحْـــــدُ[1]

وَقَـــالُوا خَـــدُّه: مَـــاءٌ وَخَـــمْـــرٌ

وَكُلٌّ مِـنْهُـــمَـــا لأَخِـــيـــهِ ضِـــدُّ

فَــقُلْـتُ وَمَــقْـصِـدِى بِالـقَـوْلِ خَـالٌ[2]

هُـنَاكَ: نَـعَـمْ وَفَـــوْقَ الـضِّـــدِّ نَـدٌّ[3]

وَأَعَـــجَـبُ مِـنْهُـــمَـــا وَرْدٌ وآسٌ[4]

وَلَـيْـسَ بِـكَـائِـنٍ فِـى[5] الآسِ[6] وَرْدُ

١٠ سَـــقَى[7] عِلْمِى غَـــدَائِرَهُ[8] دُمُـــوعِى

فَـــحُـسْنُ الطَّـلِّ فَـــوْقَ الآسِ يَعْـــدُو[9]

وَحَـــيَّـــا[10] الأَبْرَقَـــيْنِ وَلَـيْسَ[11] إلاَّ

ثَنَـايَاهُ[12] وَجِـيـــدٌ فِـيـــهِ عِـقْـــدُ

---

(١) بدر وأحد؛ موقعتان مشهورتان.

(٢) الخال؛ العلامة السوداء التى تكون على الوجه أو العضو، وهو فى الاصطلاح الصوفى: إشارة إلى نقطة الوحدة، التى هى مبدأ الكثرة ومنتهاها (كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوى ٢/ ٢٣٣).

(٣) الند؛ الشارد.. يريد أن يقول: إن وراء عالم الكثرة المتناقضة، عالم الوحدة الذى يشرد عن الأفهام. والند أيضًا: نبات طيب الرائحة يدخن به!

(٤) ب: آس وورد.

(٥) ـ ب.

(٦) الآس؛ شجر معروف لا يُزهر.

(٧) ب: شفى.

(٨) أ: عذاريه.

(٩) ب: لعدوا.

(١٠) أ: وصى.

(١١) ... ليس.

(١٢) أ: ثناه.

حَلَتْ أَلْفَاظُهُ لِمْ لاَ وَثَغْرُ
الْمَلِيحَةِ سُكَّرٌ[(١)] وَالرِّيقُ شُهْدُ

[الطويل]

١ مَتَى زُرْتُمُ نَجْدًا فَإِنِّى أَرَاكُمُ
تَضُوعُ عَلَيْكُمْ نَفْحَةٌ[(٢)] مِنْ شَذَى[(٣)] نَجْدِ[(٤)]

أَظُنُّ حِمَى لَيْلَى حَلَلْتُمْ[(٥)] بِرَبْعِهِ
فَضَاعَ[(٦)] لَكُمْ مِنْهُ شَذَى مَسْحبِ الْبُرْدِ[(٧)]

أَلاَ، يَا بِرُوحِى أَنْتَ، هَلْ[(٨)] لَكَ عَوْدَةٌ[(٩)]
فَتُقْرِى سَلاَمِى جِيرَةَ[(١٠)] العَلَمِ الفَرْدِ

عُرَيْبٌ لَهُمْ عِنْدِى رِعَايَةُ عَهْدِهِمْ
وَمَا عِنْدَهُمْ لِى[(١١)]: نَقْضُ عَهْدٍ وَلاَ عَقْدِ

٥ إِذَا زَمْزَمَ الحَادِى بِأَلْحَانِ حُبِّهِمْ
يُسَابِقُهُ[(١٢)] رَكْبٌ مِنْ الدَّمْعِ فِى خَدِّى[(١٣)]

---

(١) ب: سكرا. (٢) عبقه.
(٣) شذا. (٤) تجدى.
(٥) أ: مررتم + أ: حللتم، ج: مررت.
(٦) ب: وضاع.
(٧) ب: نفحة الندى.
(٨) ب: بروحى هل لك الدهر.
(٩) ج: دعوة. (١٠) أ: ساكنى.
(١١) ب: من. (١٢) أ: يسابقهم.
(١٣) ب: الخد.

صَبَغْتُ بِمُحْمَرٍ مِنَ الدَّمْعِ بَعْدَهُمْ

مِنَ الرَّمْلِ مُبْيَضًا[1]، لأَرْعَى لَهُمْ عَهْدِى

[الطويل]

١ خُذُوا[2] عَنْ[3] تَثَنِّى الغُصْنِ أَخْبَارَ قَدِّهِ

وَلاَ سِيَّمَا عَنْ بَانِ نَجْدٍ وَرَنْدِهِ[4]

وَلاَ تَسْأَلُوا عَنْ فَاتِكَاتِ لِحَاظِهِ

وَأَسْيَافِهَا[5] إِلاَّ حُشَاشَةَ[6] عَبْدِهِ

تَعَشَّقْتُهُ[7] عِشْقَ السَّقَامِ لِجَفْنِهِ

وَعِشْقَ الصَّدِى[8] الظَّمْآنِ[9] مَنْهَلَ وِرْدِهِ

وَمَا كُنْتُ أَدْرِى قَبْلَ وَسْنَانِ جَفْنِهِ

بِأَنَّ كَلاَلَ السَّيْفِ أَمْضَى لِحَدِّهِ

---

(١) ب : مبيض . (٢) الأبيات فى أ، ب وساقطة من ج .

(٣) ب : من .

(٤) الرند والبان ؛ من النباتات والأشجار . . والإشارة فى البيت إلى عنعنة الحديث، فالحديث المعنعن : ما يقال فيه فلان عن فلان، من غير بيان للتحديث أو الأخبار أو السماع (تحقيق المختصر من مصطلح الأثر ، للشنشورى ص ٢٨).

(٥) فى أ «أسيافه» والضمير هنا عائد على اللحاظ !

(٦) الحشاشة ؛ روح القلب ورمق حياة النفس، وكل بقية حشاشة . والحشاشة بقية الروح فى المريض (لسان العرب ١/ ٦٤٤).

(٧) العشق ؛ فرط المحبة . . وهو مشتق من «العشقة» وهى قطعة الشجر إذا انفصلت . فيبست وكان ابن الجوزى قد نعى على الصوفية استخدام كلمة «العشق» فى الإشارة إلى محبة الله، واعتبر ذلك جهلا منهم «تلبيس إبليس ص ١٧١» وقد رددنا قول ابن الجوزى فى الفصل الذى عقدناه للمحبة من كتابنا : الطريق الصوفى وفروع القادرية بمصر [دار الجيل، بيروت].

(٨) الصدى ؛ الشديد العطش . (٩) أ: الضمان، ج : لظمان .

٥ ولاَ لَذَّةً لِلسُّكْرِ مِنْ قَبْلِ عِشْقِهِ
إلَى أَنْ سَقَانِى نَاظِرِى كَأسَ خَدِّهِ
ودَانٍ ولَكِنْ بَيْنَ نَوْمِى ونَاظِرِى
مِنْ البُعْدِ مَا بيْنَ الوَفَاءِ ووَعْدِهِ
وكَيْفَ تدَانيهِ[1] وبَيْنِى وبَيْنَهُ
مَسَافَةُ هَجْرٍ واصَلَتْ نَقْضَ عَهْدِهِ
وقَدْ[2] كُنْت أَرْجُو أَنَّ طَرْفِى يُطِيعُنِى
إلَى أَنْ رأَيْتُ القَلْبَ مِنْ بَعْضِ جُنْدِهِ
فَلاَ طَرْفَ[3] إلاَّ تحْتَ رَايَةِ شَعْرِهِ
ولاَ قَلْبَ إلاَّ تَحْتَ مَعْقُودِ بَنْدِهِ[4]

[الكامل]

١ أَنْتَ الحَبِيبُ وإنْ سَلَبْتَ رُقَادِى
وأَطَعْتَ فِىَّ[5] تَعَرُّضَ الحُسَّادِ
لاَ كَانَ قَلْبٌ ضَلَّ فِيكَ بوَجْدِهِ
إنْ[6] مَالَ عَنْكَ[7] إلَى هُدىً ورَشَادِ

---

(١) ب : أدانيه.
(٢) = ب.
(٣) ب : عين
(٤) البند؛ العلم الكبير. فارسى معرب (لسان ١/ ٢٦٧).
(٥) ج : فيك.
(٦) ب : أو.
(٧) ب، ج : فيك.

مَلَكَتْ خُدُودُكَ أَسْوَدَىَّ[1] فَمَاؤُهَا[2]

مِنْ مُقْلَتِى وَلَهِيبُهَا بِفُؤَادِى

وَارَحْمَتَاهُ لِمُقْلَةٍ بِدُمُوعِهَا

غَرْقَى وَنَاظِرُهَا لِوَجْهِكَ[3] صَادِى[4]

٥ قَسَمًا بِسَالِفِ عِيشَةٍ سَلَفَتْ لَنَا

بِسُلاَفَةٍ أَوْ شَادِنٍ[5] أَوْ شَادِى

وَبِطِيبِ[6] لَيْلاَتِ العَقِيقِ[7] وَمَا جَنَتْ

تِلْكَ الظِبَاءُ بِهِ[8] عَلَى الآسَادِ[9]

لاَ حِلْتُ عَنْ وَادِى الأُثَيْلِ[10] بِسَلْوَةٍ

تُنْسِى عُهُودَ أُهَيْلِ[11] ذَاكَ الوَادِى[12]

حَىٌّ بِهِ مَاتَ السُّلُوُّ أَمَا تَرَى

لُبْسَ الجُفُونِ عَلَيهِ ثَوْبَ حِدَادِ[13]

---

(١) الأسود: جبل نصفه نجدى ونصفه حجازى، بحذاء بطن نخل، وهو جبل شامخ لا نبت فيه غير الكلأ. والأسودان: أسود الحمى، وأسود الدم. . وكلاهما جبل مشهور [معجم البلدان ١/ ١٩٢].

(٢) ب: مقلتى نماوها.

(٣) ب: بوجهك.

(٤) الصادى: العطشان الشديد العطش.

(٥) السلافة؛ الخمر. . والشادن؛ ولد الظبية إذا قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه. والشدن؛ شجر له نور شبيه بنور الياسمين إلا أنه أحمر مشرب، وهو أطيب من الياسمين [لسان العرب ٢/ ٢٨٥].

(٦) جـ: ويطيب.

(٧) العقيق؛ مسيل الماء الذى شقه السيل فى الأرض فأنهره ووسعه. وهو اسم لأربعة مواضع فى بلاد العرب، يشير التلمسانى هنا بعقيق المدينة منها، وادى بناحية المدينة فيه عيون ونخل [انظر: معجم البلدان ٤/ ١٣٩).

(٨) جـ: فيه.

(٩) ب، جـ: الأسادى.

(١٠) وادى إلأثيل؛ موضع.

(١١) ب: أثيل.

(١٢) أ: النادى.

(١٣) أ: سواد + أ: حداد.

وَمُحَجَّبٍ مَا الوَجْدُ[1] فِيهِ مُحَجَّبًا[2]
عَنْ عَاذِلِيَّ وَلاَ[3] التَّصَبُّرُ بَادِي
مَهْمَا انْثَنَى فَأَنَا الطَّعِينُ بِقَامَةٍ
هَيْفَاءَ تَهْزَأُ بِالقَنَا المَيَّادِ
١٠ وَإِذَا[4] رَنَا فَأَنَا القَتِيلُ بِمُقْلَةٍ
نَجْلاَءَ أَمْضَى مِنْ حُدُودِ حِدَادِ[5]

[الكامل]

١ عَجَبًا لِمَنْهَلِ خَدِّهِ مِنْ مَوْرِدٍ
وَعُيُونُهُ هِيَ مِنْ عُيُونِ الوُرَّدِ[6]
تَتَزَاحَمُ الأَلحَاظُ وَهْيَ بِدَمْعِهَا
رِيًّا وَتَصْدُرُ عَنْهُ أَكْثَرُهَا صَدِي[7]
يَا[8] سَاكِنًا حَبَّ القُلُوبِ خَوَافِقًا[9]
إِنَّ السُّكُونَ بِخَافِقٍ لَمْ[10] يُعْهَدِ

---

(١) أ: بالوجد، جـ: ما الحسن.
(٢) جـ محجب.
(٣) أ: والى.
(٤) أ: فإذا.
(٥) جـ: خدود حداد. . ووفقا لما هو بالمتن؛ فالحدود الأولى: جمع حد، والحدود الثانية: السيوف.
(٦) ب: المورد.
(٧) أ، ب: صد. . جـ: وتصدر عنه روى وأكثرها صدى!
(٨) ب: أيا.
(٩) ب: خوافق. (١٠) ب: لا.

مَـــا بَالُ قَـلْبٍ أَنْـتَ فِـــيـــه ونَارُهُ[1]
فِي مَــاءِ حُـسْنِكَ دائمًــا لَمْ تُخْـمَــدِ
٥ ولَقَــدْ سَلَلْت[2] فَـلاَ تَكُـنْ مُـتَـمَـسِّـكًا
سَيْـفًــا مِنَ الأَجْفَــانِ[3] لَيْسَ بِمُـغْـمَـدِ
وَقَـتَلْتَ[4] سُلْوَانِي وَصَـبْـرِي وَالكَرَى[5]
وَبِمُــقْلَتِي دَمُــهَـا جَــرَى لَمْ تَجْــحَـدِ
إنْ[6] شَــاهَدَت عِطْفَـيْكَ أَغْــصَــانُ النَّقَــا
وَسَــهَتْ فَكَيْفَ لِـسَهْـوِهَا لَمْ تَـسْجُـدِ[7]
وَمُـــحَـــجَّبٍ أَهْدَى إلَيَّ خَـــيَـــالَهُ
فِكْرِي لِـعَـجْـزِ النَّاظِرِ[8] الـمُـتَـسَـهِّـدِ
فَظَـفِــرْتُ[9] بِالـدَّانِي القَــرِيـبِ وَإِنْ نَأَى
وَالنَّـازِحِ النَّـائِي[10] وَإِنْ لَـمْ يَبْــعُــدِ

---

(١) ب: فيه ناره.

(٢) ب: ملكت، جـ: سلكت.

(٣) الأجفاء.

(٤) جـ: فتكت.

(٥) . . الكرا.

(٦) ب: مذ.

(٧) الإشارة إلى وجوب السجود عند السهو فى الصلاة.

(٨) ب: خياله. (٩) جـ: وظفرت.

(١٠) تكررت الإشارة إلى الذات الإلهية مرتين، ففى الأولى: الله هو الدانى القريب، بحكم «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» وفى الثانية: الله هو المفارق بكماله وجماله وجلاله، فهو تعالى «ليس كمثله شىء وهو السميع العليم». . وفى مشهد الوحدة الذى يحكيه الصوفية، يتلاشى القرب والبعد، فلا يبقى ثم غير وجه الله! ومن هنا نراهم يرددون: ما ثمَّ غير.

[المنسرح]

١ بَيْنَ لَمَاهُ وَحُمْرَةِ الخَدِّ
خَالٌ حَكَى نَحْلَةً عَلَى شُهْدِ

عَجِبْتُ مِنْهُ وَالتُّرْكُ تُشْبِهُهُ[١]
كَيْفَ اعْتَزَى لَحْظُهُ إلى الهِنْدِ[٢]

نَابِغَةً[٣] صِرْتُ فِي مَحَبَّتِهِ[٤]
مِنْ فَرْطِ[٥] وَجْدِي بِصُدْغِهِ الجَعْدِ[٦]

دُونَ وِصَالِي لِلَثْمِ وَجْنَتِهِ[٧]
دِرْعُ عِذَارٍ[٨] مُقَدَّرِ السَّرْدِ

٥ هَبْ أَنَّهَا لاخْضِرَارِه[٩] مَنَعَتْ
كَمْ جُهْدِ مَنْعِ الرَّبِيعِ لِلوَرْدِ

سَأَلْتُهُ وَالرِّيحُ يَعْبِقُ مِنْ
وَجْنَتِهِ تَارَةً وَمِنْ رَنْدِ[١٠]

---

(١) ب: تشهده، أ: للترك منه نسبته.

(٢) جـ: الهندى.

(٣) ب: تباعد، جـ: يانعة.

(٤) جـ: حيرت محاسنه.

(٥) جـ: فرحة.

(٦) الجعد من الشعر؛ خلاف المسترسل السبط.

(٧) جـ: وصلى للثم عارضه.

(٨) العذار؛ موضع نبت اللحية.

(٩) ب: لاخضراره، جـ: خضارة.

(١٠) أ: فى فمى وفى زندى.

ذَا[1] الطِّيبُ مِنْ أَيْنَ لِلشَّقِيقِ أتَى

فَقَالَ مِنْ نَدٍّ[2] خَالِي[3] النَّدِّ

يَالائمِي[4] فِي مَدَامِعٍ سُكِبَتْ[5]

قَدْ نَثَرَتْ دُرَّهَا[6] عَلَى العِقْدِ

أَضْيَعُ شيءٍ مَلامَةٌ بُذِلَتْ

لِحَاضِرِ[7] الغَيِّ غَائِبِ[8] الرُّشْدِ

١٠ فَأَيْنَ[9] عَقْلِي يَاقَاتِلِي خَطَأً

أَوْ دِيَتِي[10] إنْ[11] قَتَلْتَ بِالعَمْدِ

لِي مُقْلَةٌ سَمْحَةُ القِيَادِ[12] لَهَا

مَدَامِعُ قَصْرُهَا عَلَى[13] المَدِّ[14]

زِيَادَةُ النِّيلِ بَعْضُ[15] نَاقِصِهَا

فَهَلْ أُمِدَّتْ مِنَ النَّدَى السَّعْدِي[16]

---

(١) جـ.

(٢) أ، ج: من عند.

(٣) أ: خاله.

(٤) جـ: يلومني.

(٥) جـ: بدم.

(٦) عقدها.

(٧) ب: لحاكم.

(٨) ب: غالب.

(٩) ب: أفنيت.

(١٠) أ: قودى، ب: ذيتى.

(١١) جـ: إذ.

(١٢) ب: العزيز.

(١٣) جـ: مد قصرها المد.

(١٤) أ: الأبد.

(١٥) أ: عند، ب: بعد.

(١٦) لاحظ هنا استخدام التعبيرات «الممدود، المقصور، المنقوص» أما سعدى، فهى قبيلة عربية يتردد ذكرها كثيرا فى شعر الصوفية كرمز للحضرة الإلهية.

[مجزوء الرمل]

١ واصَلُونى[١] بَعْدَ بُعْدِى

وَرَعُوا سَالِفَ عَهْدِى

وَعَلَى رَغْمِ[٢] الحَسُودِ

أَنْجَزُوا بالوَصْلِ وَعْدِى

يَا سُرُورِى بِالتَّدَانِى

يَاهَنَا[٣] حَظِّى وَسَعْدِى

جَادَ[٤] لِى بَدْرِى بِوَصْلِ

ياهَنَائِى نِلْتُ قَصْدِى

٥ فَاجْتَمِعْ يَامَاءَ عَيْنِى

وَانْطَفِى يَا نارَ وَجْدِى

أَنَا فِى لَيْلَةِ[٥] أُنْسِى

قَدْ صَفَا مَوْرِدُ[٦] وِرْدِى

وتَنَاوَلْتُ كُئُوسِى

بَينِ[٧] رَيْحَانٍ وَوَرْدِ

(١) الأبيات فى أ، ب.

(٢) ب: رقم.

(٣) أ: وهنا.

(٤) = أ.

(٥) ب: مشرب.

(٦) أ: مشرب.

(٧) أ: بنت.

مِـنْ يَـدَىْ حُـلْوِ التَّـثَنِّى[1]

فَـاتِـنٍ[2] أَهْـيَـفِ قَـدٍّ

تَـارَةً يُنْشِـدُ: خُـذْ كَـاسِـى

وَطَـوْرًا: هَـاكَ خَـدِّى [م]

١٠ إنْ أَقُـلْ: يَـا أَلْـفَ مَـوْلَـى

قَـالَ لـى: يَـا أَلْفَ عَـبْـدِى

أَوْ سَـقَى[3] الـمَـمْـزُوجَ غَـيْـرِى

خَـصَّنِى[4] بِالصِّـرْفِ وَحْـدِى

فِـى هَـوَاهُ دَعْ مَـلاَمِـى

وَاطَّـرِحْ غَـيِّـى ورُشْـدِى

نَـارُ وَجْـدِى فِـى هَـوَاهُ

كَـنَعِـيمِ الخُـلْـدِ عِـنْـدِى

[الوافـر]

١ مُـقِـيمٌ[5] لِلمُـقِـيمَـةِ[6] فى فُـؤَادِى

هَـوًى بَيْنَ الـسُّـوَيْـدَا وَالسَّـوادِ

---

(١) ب: التجنى.

(٢) ب: فاتنى.

(٤) ب: وسقا.

(٤) ب: وسقانى.

(٥) الأبيات فى أ، ب.

(٦) ب: القيامة. . والمقيمة؛ الخمر.

وَوَجْدٌ مَا تُغَيِّرُهُ اللَّيَالى
حفِظْتُ بِهِ عُهُودَ هَوَى سُعَادِ
دَعى مَنْ شَاءَ فِيك يَلُمْ كَئِيبًا
غَرِيقًا فى المَدَامِعِ وَهْوَ صَادِ
وَحقِّ هَواكِ مَا فَقَدَتْ عُيُونى
مَدَامِعَهَا ولاَ وَجَدَتْ رُقَادِى
٥ سَقَى مَغْنَاكِ مِنْ هَضَبَاتِ نَجْدٍ
كُئُوسُ القَطْرِ مِنْ أيْدِى الغَوَادِى
فَكَمْ لِى فِيهِ مِنْ وَطَرٍ تَقَضَّى
بأحْيَانٍ[1] عَلَى وَفْقِ المُرَادِ
بِحَيْثُ دُنُوُّ سُعْدَى مِنْ تَدَانٍ[2]
كَمَا نَهْوَى وبُعْدٍ مِنْ بُعَادِ
وَإذْ أنا وَالَمَلِيحَةُ فِى عِتَابٍ
يُلِينُ[2] بِلُطْفِهِ عِطْفَ الجَمَادِ
١٠ إذَا ضَلَّتْ بِطُرَّتِهَا[3] عُيُونى
فَلِى مِنْ ثَغْرِهَا البَسَّامِ هَادِ[4]

---

(١) أ: بأحبابى.
(٢) ب: يبين.
(٣) الطرة؛ هى فى الثوب شبه علمين يخاطان بجانبى البرد على حاشيته، وطرة كل شىء: حرفه.
(٤) فى البيت إشارة إلى أنه: إن ضل عن الذات الإلهية بتنوع تجلياتها المختلفة فى العالم الأرضى، فإن إشارات جمالها النورانية لا تلبث أن ترده من عالم الكثرة إلى حقيقة الوحدة. وهى النقلة الواجبة بين «لا إله» و«إلا الله».

مِنَ الشُّعَراءِ دَمْعى فى هَوَاهَا
تَهِيمُ سُيُولُهُ فى كُلِّ وَادِ[1]

فَدَيْتُكَ هَلْ أَذَبْتَ[2] سِوَى جَمِيعى
وَمِنِّى هَلْ تَرَكْتَ[3] سِوَى وِدَادِى[4]

وَكَيْفَ يَكُونُ فِيكَ خَفَاءُ وَجْدِى
وَهَذَا[5] حُسْنُكَ الفَتَّانُ بَادِ

[الكامل]

١ يَا بَرْقَ نَجْدٍ هَلْ[6] حَكَيْتَ فُؤَادِى
فِى ذَا التَّلَهُّبِ وَالخُفُوقِ[7] البَادِى

لَوْلَا اشْتِرَاكُ هَوَاكُمَا لَمْ تَسْفَحَا
دَمْعَيْكُمَا[8] فى سَفْحِ ذَاكَ الوَادِى

أَتُرى سُوَيْكِنَةُ الحِمَى بِجَمَالِهَا[9]
سَلَبَتْ رُقَادَكَ[10] فى الهَوَى وَرُقَادِى

---

(١) الإشارة من قوله تعالى: «والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون. . الشعراء ٢٢٤/ ٢٢٥».
(٢) ب: أذيب.
(٣) ب: سلبت.
(٤) ب: رقادى.
(٥) ب: وهاذى.
(٦) ج: قد. (٧) ب: والجفا.
(٨) ج: لم تسحقا دمع همى.
(٩) ج: بجماله.
(١٠) ب: فؤاده.

عَـــرَّضْتُ قَلْبِى يَوْمَ رَامَـــةَ إِذْ بَدَتْ

بِنَوَاظِرٍ تَحْكِى خُـــدُودَ[1] حِـــدَادِ[2]

٥ وَسَـــأَلْتُـــهَـــا سَلْبِى لِعِلْمِى أَنَّ مَنْ

سَلَبَـتْـهُ صَـارَ أَمِـيـرَ[3] ذَاكَ النَّادِى

وَأَغَنَّ[4] تَعْشَقُ[5] لِينَهُ قُضُبُ[6] النَّقَا

إِنْ مَـاسَ أَهْيَفُ قَدِّهِ[7] الـمَـيَّـادِ

يَسْـــقِى النَّدِيمَ بِكَأْسِـــهِ وَبِلَحْظِهِ

وَبِثَـغْـرِهِ[8] رِيَّـا فَـيُـصْبِحُ صَـادِى

مَـــاذَاكَ إِلاَّ أَنَّ وَقَّـــادَ الجَـــوَى[9]

بَيْنَ الجَـــوَانِحِ دَائِمُ الإِيْقَـــادِ

١٠ وَيَبِيتُ أَدْنَى لِلحَشَـا مِنْ مُهْجَتِى

وَأَبِيتُ[10] أَشْكُو مِنْهُ[11] فَـرْطَ بِعَـادِ

---

(١) ج : خدود .

(٢) ب : حدادى .

(٣) أ . صارمين .

(٤) الأغن ؛ الغنة صوت فيه ترخيم ، والأغن من الغزلان : الذى فى صوته غُنة [لسان العرب ٢/ ١٠٢٣] .

(٥) ب : يعشق .

(٦) أ، ب : قده سمر .

(٧) ب : عند اهتزاز قوامه .

(٨) ج : وبلفظه .

(٩) ج : الهوى .

(١٠) ج : قربا .

(١١) ب : أساء .

فَكَأَنَّمَا[1] نَهْوَى اتِّحَادَ وِصَالِنَا[2]

شَغَفًا وَنَكْرَهُ[3] التَّعْدَادِ[4]

---

(١) ج : فكأننا .

(٢) ب : النضال بعادنا .

(٣) ب : يكثر .

(٤) من الملاحظ أن ناسخ المخطوطة ب قد تعمد تغيير سياق البيت ، حتى يتحاشى كلمة «الاتحاد» وهى الكلمة التى أساء الكثيرون فهم مضمونها الصوفى ، ونعتوا القائلين بها بالكفر والحلول . ومرجع سوء الفهم ، أن غير الصوفية يتوهمون أن المراد بالاتحاد ، هو أن يكون الله وخلقه متحدين . فى حين يراد بهذا اللفظ عند الصوفية : شهود الوجود الحق الواحد المطلق ، بحيث يكون الخلق آنذاك موجودا به تعالى ، معدوما بنفسه [اصطلاحات الصوفية ص ٢٤] ففى حال الاتحاد يشهد الصوفى أن الوجود الخلقى قد رجع إلى الوجود الحقى ودخل فيه بحكم كون الوجود الحقى هو الوجود الحقيقى ، أما وجود الخلق فهو محض خيال موهوم معار [راجع تفصيل هذه المسألة فى الفصل الخاص بالعارية الوجودية من كتابنا : عبد الكريم الجيلى فيلسوف الصوفية ص ١٤١ وما بعدها ، وفى الباب الخاص بالوحدة من كتابنا : الفكر الصوفى . . ص ١٥٩ وما بعدها] .

وكان ابن الفارض قد حاول الدخول إلى هذه القضية تأسيسا على نص من الحديث القدسى ، هو قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه : ما تقرب إلى عبدى بأحب مما افترضته عليه ، وما زال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإن أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها . . (أخرجه البخارى ، كتاب الرقاق ٨٨ ـ وابن حنبل فى المسند ٦/ ٢٥٦ ، ٦٧٢) .

يقول ابن الفارض :

وَجَاءَ حَدِيثٌ بِاتِّحَادِى ثَابِتٌ ... رِوايَتُهُ فِى النَّقْلِ غَيْرُ ضَعِيفَةِ

يُشِيرُ بِحُبِّ الحَقِّ بَعْدَ تَقَرُّبٍ ... إِلَيْهِ بِنَفْلٍ أَوْ أَدَاءِ فَرِيضَةِ

وَمَوْضِعُ تَنْبِيهِ الإِشَارَةِ ظَاهِرٌ ... بِكُنْتُ لَهُ سَمْعًا كَنُورِ الظَّهِيرَةِ

واستنادا لذلك ، راح ابن الفارض يحشد أبيات تائيته الكبرى بصريح لفظ الاتحاد (انظر أبيات : ١٦٥ ، ٣١٢ ، ٢٩٥ ، ٣٠١ ، ٣٩٣) دونما خشية من أن يتهم بما سبق أن اتهم به البسطامى والحلاج . .

أما عبد الكريم الجيلى فقد استند لأثر آخر ، هو قوله عليه الصلاة والسلام : لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر خلقا ، من أتاه بخلق منها دخل الجنة . . (أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ، وأبو يعلى فى مسنده ، والبخارى فى الصحيح عن عثمان بن عفان ، والسيوطى فى الصغير ص ٨٤) يقول الجيلى (النادرات العينية : ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٣) .

وكَن ناظرا فى القلب صُورةَ حُسْنِه ... عَلَى هيئَة ـ المَنْقُوش يَظْهَرُ طَابعُ

فـقـد صَـح فى مَتن الحديث تخلقوا ... بأخلاقه ما للحَقيقَة مانِع

وَغصْ فى بِحَارِ الاتحادِ مَنَزِّهَا ... عن المزج بالأغْيارِ إن أنتَ شَاجِعُ

[الوافر]

١ غَزَالُ الحَىِّ مِنْ أَثَلاَتِ[1] نَجْدِ
لوَجْهِكَ وِجْهَتِى وَهَوَاكَ[2] قَصْدِى
وَدَيْنُكَ فِى مُدَاوَمَةِ التَّصَابِى
عَلَىَّ وَلِى وَفِى قَبْلِى[3] وعنْدِى
أحِنُّ إذَا تَبَسَّمَتِ النُّعَامَى[4]
مُعَطَّرَةً بِمَسْحَبِ[5] ذَيْلِ هِنْدِ[6]
وَأَصْبُو[7] لِلصَّبَا النَّجْدِى إذَا مَا
سَرَى[8] مَا بَيْنَ بَانَاتٍ وَرَنْدِ
٥ وَمَعْشُوقُ الدَّلاَلِ[9] يَغَارُ مِنْهُ
مِنَ الأَغْصَانِ كُلُّ رَشِيقِ قَدِّ
سَقَتْ أَلْحَاظُهُ العُشَّاقَ كَأسًا[10]
حَبَاهَا خَالُهُ بِخِتَامِ نَدِّ

---

(١) الأثل ؛ شجر معروف، أغصانه شديدة التعقيد، وورقه دقيق.
(٢) ج : وهداك.
(٣) الإشارة بالقبل هنا، إلى عالم الأرواح قبل خلق الأجساد، حيث كان الإقرار الأزلى بوحدانية الله وربوبيته.
(٤) ب : ابتسمت غمام. . والنعامى، من أسماء ريح الجنوب، سميت بذلك لأنها أبلُّ الرياح وأرطبها. وقيل : هى ريح تجىء بين الجنوب والصبا (لسان العرب ٣/ ٦٧٧).
(٥) ب : بسحب.
(٦) ب، ج، هندى.
(٧) ب : واصبر، ج : واصبوا
(٨) ح : سرت
(٩) ج : الزلال. (١٠) أ : صرفا.

فَــرَاحُــوا فِى مَــحَــبَّــتِــهِ نَشَــاوَى

لِغَــيْــرِ نِهَــايَةٍ وَلِغَــيْــرِ حَــدٍّ

لِــقِــبْلَةِ وَجْــهِــهِ أبدًا صَــلاَتِــى

وَلَـثْمُ الـوَرْدِ مِـنْ خَــدَّيْـهِ وِرْدِى[1]

[الطويل]

١ سَلَبْــتُمْ[2] رُقَـادِى[3] فِى الهَــوَى وَتَجَلُّدِى

وَزِدْتُمْ[4] بِدَمْــعِى فِى ظَمَـا قَـلْبِىَ الصَّــدِى

وَأَلْبَسْــتُمُــونِى مِنْ جُــفُــونِكُمْ ضَنًـا

فَــوَاعَــجَــبًــا مِـنْ لاَبِسٍ مُــتَــجَــرِّدِ[5]

أَأَحْــبَــابَنَا[6] لا وَالْغَــرَامِ الَّـذِى لَهُ

وُرُودِى وَمَــالِــى مَــصْــدَرٌ بَعْــدَ مَــوْرِدِى

لَئِنْ كُنْتُمُ أَنْبَــتُّــمُــو رَسْــمِىَ الَّذِى

مِنَ السُّــقْمِ لَوْلاَ الـوَصْلُ لَمْ يَتَــجَــسَّــدِ

---

(١) الورد؛ الجمع «أوراد» وهى مجموعة من الآيات القرآنية تقرأ فى اليوم والليلة . . يقول ابن منظور: الوِرد، النصيب من القرآن، بحيث تضم السور دون أن تكون بينها سورة منقطعة، والورد أيضا: الجزء من الليل يكون على الرجل أن يصليه (لسان العرب ٣/ ٩٠٩) والأوراد عند الصوفية واحدة من مستلزمات الطريق الروحى، غالبا ما يكلف بها كلُّ شيخ طريقة مريديه.

(٢) الأبيات فى أ، ب.

(٣) ب: فؤادى. (٤) ب: وجدت.

(٥) التجريد عند الصوفية: أن يتجرد الصوفى بظاهره عن الأعراض، وبباطنه عن الأعواض. . فلا يأخذ من عرض الدنيا شيئًا، ولا يطلب على ما تركه منها عوضا، بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالى، لا لعلة غيره. . ويتجرد بسره عن ملاحظة المقامات التى يحلها، والأحوال التى ينازلها (التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٣٣) والصوفية يدعون أهل الطريق باسم: إخوان التجريد.

(٦) أبيات ٣، ٤، ٥، ساقطة من ب.

٥ فَــمَــا نَبَــتَتَ تِلْـكَ الرُّسُــومُ بِغَـيْــرِكُمْ
وَلَوْلاَكُـم كَــانَ الفَـنَاءُ بِمَـــرْصَـــدِ
دَعُــوا أَدْمُــعِى تَـسْــقِى مَــعَــاهِـدَ أَرْضِكُمْ
فَـفِى غَـيْـثِهَـا الهَـامِى رِضـا كُلِّ مَـعْـهَـدِ[1]
وَلاَ تَـسْـأَمُــوا[2] مِنْ نَاحِـلٍ أَشْـبَــهَ الـضَّنَا
سَـقَــامًــا[3] وَأَنْفَـاسًـــا وَفَــرْطَ تَرَدُّدِ[4]
فَــمَــا حَقٌّ أَنْفَــاسِ الصَّــبَــا[5] أَنْ تَملَّهَــا
غُـــصُــونُ الـنَّقَــا مَعْ لِـينِهَـــا وَالتَّـــأَوُّدِ
وَلاَ تَعْــــتِــبُــوا فِى الـنَّوْحِ كُلَّ مُـطَوَّقٍ[6]
عَلَـى هَيْفِ أَعْطَـافِ الغُــصُـونِ مُــغَــرِّدِ
١٠ لأَنَّكُـمُ[7] طَـوَّقْــــتُمُ كُلَّ عَـــاشِقٍ
بِدَمْـعٍ فَـــرَاحُـــوا بَيْـنَ بَاكٍ وَمُنْشِـــدِ
فَـيـاَ سَــاقِىَ الأَجْـفَـانِ[8] خَـمْـرَكَ عَــاطِنِى
وَيَا سَكْـرَتِى مِنْهَــا عَلَى الصَّــحْــوِ عَـرْبِدِى

---

(١) المعهد؛ الموضع الذى كنت قد عهدته، أو عهدت هوى لك فيه، أو كنت تعهد به شيئا. . والجمع: معاهد (لسان العرب ٢/ ٩١٥).

(٢) ب: ولا تسألوا.

(٣) ب: مقاما.

(٤) لفرط تأود.

(٥) ب: الظبا أن يميلها.

(٦) المطوقة؛ الحمامة التى يلتف حول رقبتها شريط من الريش الأسود.

(٧) = ب.

(٨) ب: فيا سائق الأظعان.

[الكامل]

١ لاَ تُـخْـدَعَنَّ[1] بِـرِقَّـةٍ فِى خَـدِّهِ
فَـالسَّـيْفُ قَـتَّـالٌ بِـرِقَّـةِ حَـدِّهِ

وَدَعِ الجُـفُـونَ فَـإِنَّمَـا وَسْنَانُهَـا
أَضْـحَـى سِنَانًـا فِى مُـثَـقَّفِ[2] قَـدِّهِ

ظَبْىٌ حَكَى نَـوْمِى دوَامُ[3] نِـفَـارِه
عَـنِّى فَـواصَلَ ضِـدَّهُ[4] مَعَ صَـدِّهِ

وَسَـرَى إلىَ جِـسْـمِى الضَّنَا مِنْ خَصْرِهِ
فَـهَـوِيتُ ذَاكَ لأَنَّهُ مِنْ عِـنْـدِهِ

٥ عَـجِبَ الحَسُـودُ وَقَـدْ رَأَى سُكْرِى[5] بِلاَ
حَـدٍّ وَقَلبِى[6] فِى عُـقُـوبَةِ حَـدِّهِ

خَـفِّضْ[7] عَلَيْكَ أَلَيْسَ خَـفْقُ وِشَـاحِـهِ
يَـحْكِـى فُـؤَادِى أَوْ تَـلَهُّبُ خَـدِّهِ

هِىَ نِـسْـبَـةٌ[8] لَوْ أَنَّ قَلْبِى[9] نَالَـهَـا
مُـتَـوَقِّـدًا لَعَـذَرْتُهُ فِى وَقْـدِهِ

---

(١) الأبيات فى أ، ب/ وفى ب: لا تتخذ عن.

(٢) الثقاف؛ ما تسوى به الرماح (لسان العرب ١/ ٣٦٥ والمثقف هنا. الرمح المستوى.

(٣) ب: ودام. (٤) ضد النوم، السهر!

(٥) ب: سكرك. (٦) أ: وقلى.

(٧) أ: هون، ب: حفض. . وقوله «حفض عليك» من قولهم: حفض الله عنه، أى خفف عنه! وهو أسلوب ـ كما يقول ابن منظور ـ من النوادر. . (لسان العرب ١/ ٧٦٢) وقد جعلنا (خفض) لاتفاقها مع (خفق) الواردة بعدها.

(٨) أ: سنة. (٩) أ: قلبك.

شُكْرِى لِصَبْرِى عَنْهُ إذْ هوَ خَانَنى

ورَأَى[1] الخِيَانَةَ كَالْوَفَاءِ بِعَهْدِه[2]

وَلِمَدْمَعِى[3] بُعْداً وَسَحْقاً إنَّهُ

دُرٌّ لَدَىَّ ولَمْ يكُنْ فِى عِقْدِه

١٠ مَنْ مُنْصِفِى مِنْ[4] قُرْبِه فَلَقَدْ أَبَى

قُرْبِى ومَنْ ذَا مُنْقِذِى مِنْ بُعْدِه

يا بَانَةَ الوَادِى ويَا وَرْقَاءُه[5]

نُوحِى لِغُصْنِك إذْ أَنُوحُ لِفَقْدِه

أَنْتِ الحَزِينَةُ وَالحَزِينُ أَنَا كِلاَنَا

اليَوْمَ مَعْذورٌ يَنُوحُ بِوَجْدِه

حَالِى[6] كَحَالِك وَالمُجَاوِرُ ـ كَفُّهُ

لِلمَاءِ يَعْرِفُ حَرَّهُ مِنْ بَرْدِه

[البسيط]

١ بِاللّه بَلِّغْ[7] سَلاَمِى أَيُّهَا الحَادِى

إلى[8] غَزَالِ الصَّرِيمِ[9] الرَّائِحِ الغَادِى

---

(١) أ: وارى. . والإشارة هنا إلى: الصبر عن لله.

(٢) ب: بعبده. (٣) = ب. (٤) أ: فى

(٥) أ: ورقاه، ب: ورقاؤه. . والورقاء؛ الحمامة الرمادية اللون.

(٦) = ب. (٧) = جـ. (٨) ب: على.

(٩) للصريم فى اللغة معان متعددة [انظر: لسان العرب ٢/ ٤٣٤ وما بعدها] ينطبق منها هنا: الخصام، القطيع، الحصاد. . والإشارة الصوفية هنا إلى سوانح التجليات النورانية التى تخطف الأبصار وتمر سريعا؛ كالغزال!

وَقُلْ لَهُ لِى[1] عَلَى مَغْنَاكَ حَقُّ هَوَىً

لأَنَّ دَمْعِى[2] رَوَّى رَبْعَهُ[3] الصَّادِى

وَقَفْتُ مِمَّا جَرَى لِى فِى مَعَاهِدِه[4]

أَبْكِي إِلَى أَنْ جَرَى مِنْ دَمْعِى[5] الوَادِى

وَلَمْ أُنَادِ[6] سِوَى بِاسْمِ الَّتِى سَفَرَتْ

لَيْلاً فَأَشْرَقَ مِنْ أَنْوارِهَا النَّادِى

٥ خُذْ يَانَسِيمُ بقَايَا[7] المَيْتِ فَاسْرِ بِهِ

لِلْحَىِّ تَجْمَعُ أَرْوَاحًا بِأَجْسَادِ

وَالْثُمْ ظُهُورَ الثَّرى مِنْ حَيْثُ مَا خَطَرَتْ

بِهِ سُعَادُ إِذَا حَاوَلْتَ إِسْعَادِى

مَا أَعْشَقُ[8] الغُصْنَ مَيَّاسًا[9] مَعَاطِفُهُ

إِلاَّ لِقَامَةِ قَدٍّ مِنْهُ مَيَّادِ

وَلاَ أَرَى البَرْقَ أَهْلاً أَنْ أُلاحِظَهُ

إِلاَّ لِمَا مِنْهُ يَحْكِى[10] ثَغْرَهُ البَادِى

---

(١) ـ ب.

(٢) جـ: ربحى.

(٣) ب: من نبعه، جـ: عن ربعه.

(٤) جـ: معادته.

(٥) ب: أدمعى.

(٦) أ، ب: أنادى.

(٧) أ: بقا. (٨) جـ: ما اعتنق.

(٩) جـ: ميادا. (١٠) ب: فيه، جـ: فى معانى.

[البسيط]

١ يَـا خَــــدَّهُ وَثَنَـايَا ثَـغـــرِه النَّضــــد
مَنْ سَــوَّغَ الجَـمْعَ بَيْـنَ الجَــمْـرِ وَالـبَـرَدِ

وَيَـا تَلَـهُّـبَ قَلْبِى فِـى مَـــــحَـــــاسنه
قَــدْ أُعْـجِــزَ الدَّمْعُ أَنْ يُطْـفِـيكَ فَــاتَّقِـدِ[1]

مَــــاضَـــرَّ مِــــعْطَفَكَ الـبَــادى تَأَوُّدُهُ
لَوْ كَـــانَ يُـبْــقِي تَثَـنِّيــه[2] عَلَى أَوَدِى[3]

وَصَلْتَ هَـجْـرَكَ إِعْــرَاضًــا لِتَــقْطَعَنِى[4]
أَمَــا كَـــفَــاكَ[5] الَّذى أَخْلَدْتَ فِـى خَلَدِى

٥ لَوْ كَــــانَ يَعْـلَمُ طَـرْفِى[6] أَنْ يَزِيـدَ ظَمًــــا
فِـى وِرْدِه مَــــــاءَ ذَاكَ الحُــــسْـنِ لَمْ يَـرِدِ

فَــالـيَــوْمَ مِنْ فَـــرْطِ إِلْفِى بِالـصَّــبَـــابَةِ لَوْ
تَرُومُ[7] نُقْــصَــانَ مَـــا أَلْقَى لَقُـلْتُ زِدِ[8]

فَـلاَ تُغِبْ[9] نَاظِرًا تَلْـقَـاكَ[10] عَـبْــرَتُهُ[11]
فَالشَّــمْسُ[12] تُسْبِلُ[13] دَمْعَ الأَعْيُـنِ الرُّمُدِ

---

(١) + ب.
(٢) ب، جـ: تثنيه.
(٣) ب: الأودى.
(٤) جـ: ليقطعنى.
(٥) ب: كتاب!
(٦) ب: بى.
(٧) جـ: يروم.
(٨) ب: زدى جـ: ردى.
(٩) ب، جـ: تعب.
(١٠) ب: يلقاك، جـ: لفاك!
(١١) ب: غرته.
(١٢) ب: كالشمس.
(١٣) ب: تسلب.

[الخفيف]

١ قَــدْ بَذَلْنَا النُّفُــوسَ يَا أُخْتَ سَــعْــدِ[1]

فَــاقْبَلِيهَــا[2] نَقْــدًا[3] وَجُــودِي بِــوَعْــدِ

وَنَثَــرْنَــا دُمُــوعَنَا فَــانْظِمِــيهَــا[4]

فَــهْيَ[5] أَبْهَــى مِنْ كُلِّ لُؤْلُؤِ عِــقْــدِ[6]

يَــا بِــنَــةَ الــقَــوْمِ إِنْ يَــكُــنْ لَــكِ[7] بُــرْدٌ

مِنْ بَــدِيعِ الجَــمَــالِ فَــالسُّــقْمُ بُرْدِي

كَــيْــفَ أَبْغِــي[8] وَرْدًا بِــرَوْضٍ وَوِرْدًا

مِــنْ مُــدَامٍ[9] وَمِــنْــكِ وَرْدِي وَوِرْدِي

٥ جَنَّةٌ[10] حُــسْنُهُــا كَــحُــسْنِ وِصَــالِ

فِــيــهِ مِنْ خَــالِهَــا بَقِــيَّــةُ صَــدِّ[11]

قَــدْ تَــعَــدَّتْ عَــلَى النُّــفُــوسِ وَلَكِنْ

لاَ يُــسَــمِّيــهِ عَــاشِــقُــوهَا تَعَــدِّي

مَــا رَأَيْنَا مَنْ صَــيَّــرَ الجَــفْنَ سَــيْــفًــا

يُخْــجِــلُ الهِنْــدَ غَــيْــرَ أَجْــفَــانِ هِــنْدِ

---

(١) جـ: سعدى.

(٢) جـ: فخذيها.

(٣) ب: منا. (٤) ب: فانضميها.

(٥) ـ جـ. (٦) ب، جـ: عقدى.

(٧) أ: كل. (٨) ب: أهوى.

(٩) ب: لمدام. (١٠) جـ: وجنة.

(١١) ب: صدى.

قَـالَ لِي خَـــدُّهَا الصَّــقِـيـلُ وَقَـدْ صَـارَ

مِـــرْآةً مَـــاذَا تَرَى قُـلْـتُ خَـــدِّى[1] م

[الطويل]

١ بُرُوقَ الحِـــمَى هَلْ دَمْـــعُكُنَّ يَـجُـــودُ

وَهَلْ[2] عَطِـشَتْ بَعْـــدَ الـغَـــرِيقِ زَرُودُ[3]

مَنَازِلُ[4] مِنْ سُـعْدَى سْعِـيـدُ[5] نَزِيلُهَـا

كَـأَنَّ بِهَـاتِـيكَ[6] البِـيُـوتِ عُـقُـودُ

إذَا ابْتَسَـمَتْ لَيْلاً[7] بَكَى[8] مُسْتَهَـامُهَـا[9]

فَـــمِنْهَــا وَمِنْهُ[10] بَارِقٌ وَرُعُـــودُ

وَفِـى الحَيِّ وَسْنَـانُ الـلَّوَاحِـظِ سَــالِـبٌ

وآخَـرُ مَـسْلُوبُ الفُـؤَادِ فَــقِـيــدُ

٥ وَظَـبْـى فَـــــــلاَةٍ آنسٍ فَـكَـأَنَّـهُ

لِرَائِـيـهِ عِـنْدَ الالْتِـفَــاتِ شَـرُودُ

---

(١) الخد الصقيل هنا؛ مشهد الوحدة. . وكونه يرى ذاته فى مرآة هذا المشهد، إشارة إلى المقابلة بين العالم الصغير (الإنسان) والعالم الكبير (الكون). . وسوف نعود لهذه النقطة الدقيقة فيما بعد.

(٢) ب، جـ: فقد.

(٣) زرود؛ موضع مشهور. . يقول ياقوت: الزرد؛ البلع! ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه التى تمطرها السحائب، لأنها رمال بين الثعلبية والخزيمة بطريق الحاج من الكوفة [معجم البلدان ٣/ ١٣٩].

(٤) × ب، وبقية الأبيات مضطربة الترتيب.

(٥) جـ: من سعيد.

(٦) جـ: بها تلك.

(٧) أ، ج: ليلى!

(٨) أ، ب: بكا.

(٩) جـ: بكأس اتهامها.

(١٠) جـ: منه ومنها.

تَرَقْرَقَ مَاءُ الحُسْنِ فِى وَجَنَاته

وَلَيْسَ لِظَمْآنٍ إلِيْهِ[(١)] وُرُودُ

أَلاَ هَلْ إلىَ عَصْرِ الصِّبَا لِى[(٢)] عَوْدَةٌ

وَهَيْهَاتَ مَا قَدْ فَاتَ[(٣)] لَيْسَ يَعْودُ

كَأَنَّ لَيَالِيهِ لِمُبْدِعٍ[(٤)] حَسْنِهَا

شُعُورٌ وَمُحْمَرَّ الأصِيلِ خُدُودُ

[الرمل]

١ يَا أُهَيْل[(٥)] الحَىِّ مِنْ ذَاكَ الحِمَى

أَنْتُمُ المَقْصُودُ مِنْ كُلِّ الوُجُودْ[(٦)]

ظَبْىُ أَبْيَاتِكُمُ ذَاكَ الَّذِى

لاَ تَسَلْ مَا حَلَّ مِنْهُ بِالأُسُودْ[(٧)]

وَسَقِيمُ[(٨)] الجَفْنِ قَدْ صَحَّ لَهُ

سُنَّةُ المَنْعِ وَإبْطَالُ الوُعُودْ[(٩)]

---

(١) جـ: البدور.

(٢) ب: التصابى، جـ: لسكان الحمى لى!

(٣) أ: مر.

(٤) ب: البديعة.

(٥) الأبيات فى أ، ب. . وفى ب التحقت الأبيات بمجموعة أبيات أخرى من بحر الرمل وقافية الدال، فبدت وكأنها جميعا قصيدة واحدة!

(٦) ب: الوجودى.

(٧) الأسودى.

(٨) أ: فالصحيح.

(٩) ب: الوعودى.

[مخلع البسيط]

١ لَـوْلاَكَ يَا غَـــايَتى[1] وقَـــصْـــدى
مَـــاهِـمْتُ وَجْـــدًا بربْـعِ[2] نَـجْـــدِ
أَسْـــقَـــيْـتَـنِى فِى الهَـــوىَ حَـــدِيثًـــا[3]
يُسْكرُ لِـلْعَـــاشِـــقِـــينَ بَـعْـــدِى[4]
ومُـــذْكِـــرِى[5] للسُّـــلُوِّ[6] عَـــهْـــدًا[7]
بِذكْـــرِ غَـــيْـــرِى[8] نَسِـــيتَ عَـهْـدِى[9]
ورُبَّ مُـهْـدِى الصَّـــبَـا[10] سُـحَـيْـرًا[11]
أَغْـنَتْـــهُ عَـنْ نَشْـــرِهَـا بِبُـــرْدِ[12]
٥ لاَ تَـذْكُـــرُوا[13] لِـلنَّسِـــيـمِ سُكْـرِى
فَـــقَـــدْ أتَى مُـــبْـــشِـــرًا بِوَجْـــدِى

---

(١) ج : يا نهاية .
(٢) ج : بروع .
(٣) ب : للهوى حديثا ، ج : كأس هوى حديثها!
(٤) أ، ج ؛ يسكر منه العاشقون بعدى .
(٥) × ج .
(٦) ب : للسلوى .
(٧) ج : يا مذكر السلو إنما .
(٨) ج : محبوبى .
(٩) فى ج : ولم تدع يا سودى مكانا لغير دمعى ولهيب خدى .
(١٠) ب، ج : ما هدى .
(١١) ج : وربما أحدى الصبا تحية .
(١٢) ب : أعينه ، ج : أغنته فى نشوتها عن ردى .
(١٣) = أ، ج .

[الكامل]

١ سَلَّتْ جُفُونُكَ لى سُيُوفَ حِدَادِ[1]
فَقَتَلْنَنِى ولَبِسْنَ[2] ثَوْبَ حِدَادِ

وَطَفِقْنَ يُبْدِينَ الذُّبولَ تَصَوُّنًا
أَنسَيْنَ أَنَّ دَمِى بِخَدِّكَ[3] بَادِى[4]؟

يَا بَدْرَ تمٍّ[5] سَلْوَتى كَمُحَاقِهِ
وَكَمَالُهُ وَنُمُوُّهُ كَوِدَادِى[6]

لَوْ أَنَّ فَرْطَ نُعَاسِ[7] جَفْنِكَ مَانِحى
مَا عَنْهُ يَفْضُلُ مَا شَكَيْتُ سُهَادِى[8]

٥ بَرْدٌ بِظَلْمِكَ حَرُّ ظُلْمِكَ جَارِيًا
فِيهِ عَلَى مَا لَيْسَ[9] بِالْمُعْتَادِ

أَوَ فَارتَجِعْ قَلْبِى الذى أَعْدَيْتَنى[10]
فِيهِ كَمِثْلِ قَوامِكَ الْمَيَّادِ

وَعَجِبْتُ[11] مِنْ وِرْدِ العِطَاشِ بِمَنْهَلٍ
وَعُيُونُهُ مِنْ أَعْيُنِ الوُرَّادِ

(١) ب: حدادى، ج: حدود حدادى.

(٢) أ: ولبست.

(٣) بخدى، ج: بوجهك.

(٤) بقية الأبيات ساقطة من ج.

(٥) أ: حسن.

(٦) ب: كغوادى، + ب: كودادى.

(٧) ب: أنفاس.

(٨) أ: أن سلبت رقادى.

(٩) ب: من ليس.

(١٠) عذبتنى.

(١١) = أ.

أَرْسَلْتُ[1] طَرْفِى نَحْـــوَ خَـــدِّكَ رَائِدًا

فَـــعَلِمْتُ كَـــيْفَ خِـــيَـــانَةُ الرُّوَّادِ

قَـــالُوا القَـضِـــيبُ[2] عَلَى الكَثِيبِ نَظِـيرُهُ

أَرَأَيْتَ كَـــيْـفَ تَقَـــوَّلُ الحُـــسَّـــادِ

١٠ مَنْ لِـى لَو انَّـكَ كَـــالقَـــضِـــيبِ تَنَالُهُ

كَـــفِّـى وَيُصْـــبِحُ زَهْرُهُ بِـوِسَـــادِى[3]

قَـــالَ[4] العَـــذُولُ أَرَى[5] حَـــلاَوَةَ وَعْــدِهِ

لِخِـــدَاعِـــهِ ضَـــرْبًا مِنَ الإيـعَـــادِ[6]

كَـــالعُـــودِ يَضْـــرِبُ فِى[7] فُـؤَادٍ فَـــارِغٍ

فَـــتَـــأَسَّ[8] لَوْ أَحْـــتَـــالُ[9] بِالإنْشَـــادِ

لاَ تَعْـــذِلَنِّـى مَـــا فُـــؤَادُكَ فِـى يَدِى[10]

صَـــبْـــرًا وَلَمْ يَكُ فِـى يَدَيْـكَ فُـــؤَادِى

وَتَـنَحَّ عَـنْ زَفَـــرَاتِ أَنْـفَـــاسِـى الَّتِـى

لَـوْلا الدُّمُـــوعُ لأَحْـــرَقَـتْ عُـــوَّادِى

---

(١) = ب.

(٢) القضيب؛ الفرع من الشجر، والسهام الدقاق، والسيف [لسان العرب ٣/ ١٠٥].

(٣) ب: لو سارى.

(٤) فى أ فصل الناسخ بين الأبيات فكتب (وقال أيضًا) مما يُشعر بأن الأبيات التالية منفصلة عن سابقتها!

(٥) ب: أترى.

(٦) ب: إلا بعادى.

(٧) ب: من.

(٨) أ: فأناس.

(٩) ب: يحتال. (١٠) ب: لى يد.

[المنسرح]

١ فَضَحْتَ(١) جِيدَ الغَزَالِ بِالجَيَدِ
وَفُقْتَهُ بِالدَّلَالِ وَالغَيَدِ

وَكُنْتَ أَوْلَى مِنَ الغُصُونِ بِمَا
يُعْزَى لأَعْطَافِهَا مِنَ المَيَدِ

يَا سَاقِيًا(٢) مُهْجَتِى كُؤُوسَ هَوًى
وَسَايِقًا مُقْلَتِى إلى السَّهَدِ

حَسْبِى وَحَسْبُ الهَوَى وَحَسْبُكَ مَا
يَفْعَلُهُ الهَجْرُ بى فَلاَ تَزِدِ

٥ أَنَا الَّذِى أَحْتَسِى الخُدُودَ فَلَمْ
تَسْتُرُهَا بِالعِذَارِ وَالزَّرَدِ(٣)

حَلَلْتَ قَلْبِى وَرُحْتَ تَمْنَعُنِى
حَلَّ نِطَاقٍ بِالخَصْرِ مُنْعَقِدِ

عِنْدِى مِنَ الوَجْدِ مَا بِهِ أَحَدٌ
يَفِى وَلَمْ أُبْدِهِ إلَى أحَدِ

كَمْ فِيكَ لِلعَاذِلينَ مِنْ عَدَدَ
قَدْ أُتْعِبَتْ قَبَلاً لَهَا عُدَدِى

---

(١) الأبيات فى أ فقط.

(٢) فى الأصل ورد البيت التالى:

(ما أنت ممن يلوى على كبدى   أتلفتها بل بدمى على كبدى)

وهو غير مستقيم الوزن والمعنى!

(٣) الزرد: الدرع التى تداخلت حلقاتها، فهى مزرودة [لسان العرب ٢/ ١٩].

وَاعَجَبًا وَالدُّمُوعُ فِي حَلَبٍ
وَالقَلْبُ حَرَّانَ وَهْوَ فِي صَفَدِ[1]

١٠ بِاللَّهِ يَا لَيْلِيَ الطَّوِيلَ لَقَدْ
قَصَّرْتَ نَوْمِي وَلَمْ تَعُدْ بِغَدِ

جَعَلْتَ حظِّي فِي الحُبِّ مُنْعَكِسًا
فَجُدْ بِوَصْلٍ لِلصَّبِّ مُطَّرِدِ

حَتَّى تَرَانِي أقُولُ مِنْ طَرَبٍ
يَا عَيْنُ رُودِي وَيَا شَفَاهُ رِدِي

أَوْدَعْتَنِي صَبْوَةً أَوَائِلُهَا
يَقْصُرُ عَنْهَا أَوَاخِرُ الأَبَدِ

أَوْرَدْتَنِي فَوْقَ مَا أُطِيقُ جَوًى
وَفَوْقَ طَوْقِي فِي الحُبِّ لاَ تَزِدِ

١٥ فَإِنَّ مَنْ كَانَ فَوْقَ طَاقَتِهِ
يَحْمِلُ تَعْجِزْ قُوَاهُ فَاتَّئِدِ

---

(١) فى معجم البلدان:

* حلب: مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات، سميت بذلك؛ لأن نبى الله إبراهيم كان يحلب فيها غنمه ويتصدق بها على الفقراء [الجزء الثانى ص ٢٨٢].

* حران: مدينة عظيمة مشهورة على طريق الموصل والشام والروم، وهى قصبة ديار مضر، قيل إنها أول مدينة بنيت بعد الطوفان، وكانت منازل الصابئة [الجزء الثانى ص ٢٣٥].

* صفد: مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان [الجزء الثالث ص ٤١٢].

وقد جعل التلمسانى لهذه البلدان دلالة خاصة، فهى تشير على الترتيب إلى: حلب الدمع، حر القلب، أصفاد الحب!

رَوَيْتُ قَـتْلِى عَنْ مُـقْلَتَـيْك فَـفِى

رِوَايَتِـى قَـتْلَتِـى بلا سَنَدِ

فَلَـمْ يُـكَـذِّبْ رِوَايَتِـى أحَـدٌ

إذْ لَـمْ يُـكَـذِّبْ هَـوَاىَ مِـنْ أَحَـدِ

بِـاللَّه لاَ تُـرْسِـلِ الجُـفُـونَ إلَـى

قَـلْبِـى فَـمَـا لِـلقُـلُوبِ مِـنْ عَـدَدِ

وَخَلِّ جَـفْنِـى لاَ تُفْنِه سَـقَـمًـا

لاَ بُـدَّ لِلـرُّوحِ فِـيـكَ مِنْ جَـسَـدِ

٢٠ مَـا خُـلْدِىَ بِالقُـرْبِ مِـنْـكَ فَلِمْ

رَمَـيْتَ سَـهْمَ الجُـفُـونِ[1] فِى خَلَدِى

[الطويل]

١ لَكَ[2] الخَـيْـرُ دَاعِى الخَـيْـرِ أَسْـعِـدْ يَا سَـعْـدُ

إذَا مَـا نَـهَى عَنه النُّهَـى وَدَعَـا الـوَجْـدُ

فَـإنَّ عِـقَـالَ العَـقْلِ يَدْعُـو إلىَ السِّـوِى

وَوَصْلُ السِّـوَى فَـصْـلٌ وَوِجْـدَانُهُ فَـقْـدُ

إلى الذِّكْرِ[3] فَارْجِعْ وَاُتْرِكِ الفِكْرَ فى السِّوى[4]

إذَا كُنْـتَ مِـمَّنْ قَـصْـدُهُ العَلَـمُ الفَـرْدُ

---

(١) فى الأصل: جفنيك، +: الجفون.

(٢) الأبيات فى أ، ب.

(٣) ب: أبى الذكر.

(٤) ب: الذكر للسوا.

وَلاَ تكُ غَــيْــرانًا إذَا ذُكِــرَ اسْــمُــهَــا

فَــذَاكِــرُهَا حَــادٍ إلىَ حُــبِّــهَــا يَحْـدُو(١)

٥ تَجَلَّى(٢) مُــحَــيَّــاهَا لِغَــيْـرِ(٣) بَنِى الهَــوَى

فَـصُـدُّوا، كَذَاكَ الشَّـمْسُ وَالأعْـيُنُ الرُّمْـدُ(٤)

وَلاَحَظَهَــا(٥) لحَظُ الـمُــحِبِّ فَــإنْ بَكَى(٦)

سُــرُورًا فَــرَائِى الشَّــمْـسِ أَدْمُــعُــه تَبْـدُو

فَــدَعْ(٧) ثَمنَ الـنَّفسِ الَّنَفـيــسَــةَ عِنْدَهَا

فَـلَيْس لَهَــــا إلاَّ بِلاَ ثَـمَنٍ عَــــبْـــدُ

قَـــرِيبَـــةُ وَصْلٍ(٨) لِلْمُــحِبِّ وَإنَّمَـــا

إذَا وَصَـلَتْ لَـمْ يَبْـقَ قُـــرْبٌ وَلاَ بُـعْـــدُ

تَـثَـنَّــتْ فَـظَـنُّوا أَنَّــهَـــــا ثَـنَـوِيَّةٌ

وَقَـــدْ يَتَـــثَنَّى قَـــدُّهَـا وَهُوَ الفَـــرْدُ(٩)

---

(١) ب : إلى ذكرها يحد.

(٢) × ب. (٣) ب : لعين.

(٤) ب : قصد وكذاك الشمس للأعين الرمد.

(٥) ب : فلاح لها. (٦) ب : فلم يكن.

(٧) = أ. (٨) ب : عهد.

(٩) يحتاج هذا البيت إلى وقفتين، الأولى عند معنى «الثنوية» والأخرى عند مفهوم الأديان لدى الصوفية . .

الثنوية : هى ديانة القائلين بأن النور والظلمة أصلان خالقان ومتساويان فى الأزلية (راجع مقالة شتروتمان بدائرة المعارف الإسلامية) وفى التعليق الوافى الذى كتبه محمد يوسف موسى على هذه المقالة يقول : ترجع هذه النحلة إلى الزرادشتية، وهى ديانة ترى أن النور (يزدان) والظلام (أهرمن) هما أصل العالم؛ إذ حصلت تراكيب العالم بامتزاجهما، وجاء بعد زرادشت أربعة من أصحاب هذا المذهب، هم (ابن ديصان ـ مانى ـ مزدك ـ مرقيون) الذين كونوا فرقا ثنوية كان لها دورها فى تاريخ =

١٠ وَقَـدْ نَـطقَتْ حُـسْنًا مَنَاطِقُ خَـصْـرِهَا

فَظَنُّـوا حَـمَـامًـا فَـوْقَ بَـانَتِـهِ[١] يَشْـدُو

وَقَـالُوا لَـهَـا خَـالٌ مِنْ الـنَّدِّ[٢] فَـاتِنٌ

صَـدَقْـتُمْ لَهَـا خَـالٌ، بَلَى مَـالهَـا[٣] نِدُّ

فَـإِنْ كُنْتَ ذَا وَعْـدٍ[٤] بِوَصْلِ جَـمَـالِهَـا

فَـبَـعْضُ مُـحِـبِّـيـهَـا لَدَيْكَ لَهُ عَـدُّ[٥]

فَـلاَ[٦] تَقْـلِ الدُّنْيَـا اسْـتَـمَـالَتْـهُ

تَجَلَّتْ مِـنَ الدُّنْيَـا لِـمُـقْلَتِـهِ هِـنْدُ

= العقائد . . انظر ، دائرة المعارف الإسلامية ـ الترجمة العربية ـ المجلد السادس ص ٢١٦ وما بعدها ـ وللمزيد عن هذا الفرقة يمكن الرجوع إلى (الآثار الباقية للبيرونى ، الفهرست لابن النديم ، الملل والنحل للشهرستانى ، الفرق بين الفرق للبغدادى ، الفصل لابن حزم . .) .

أما عن المفهوم الصوفى للديانات ، وهو ما يسميه الباحثون باسم مضلل هو : وحدة الأديان ـ فالصوفية يرون أن اختلاف عبادات البشر ، راجع إلى الوهم الناشئ من إدراكهم القاصر لتجليات الله تعالى فى الوجود ، فقد اعتقد أصحاب الملل والنحل المختلفة أن الله مقيد فى صورة معينة . . فهو النور أو الظلام أو النار أو الشمس ، إلى آخر صور التغيير التى ظن هؤلاء أن الله عز وجل منحصر فيها ـ لضعف إدراكهم ـ أما المسلمون فقد انفردوا بالتوحيد حين أقروا بالواحد فى ذاته ، رغم تنوع تجلياته ومظاهر أنواره فى الكون .

وفى هذا البيت ، يشير التلمسانى إلى انخداع الزنادقة بتجليات الذات الإلهية ، فظنوها ترد إلى اثنين هما النور والظلام ، مع أن كليهما محض تجليات إلهية وحجب للواحد الفرد . . كما جاء فى الحديث : إن لله سبعين حجابا من نور وظلمة !

(١) ب : تظن حماما فوق باناته .

(٢) الند : نبات طيب الرائحة ، وقيل : هو العنبر (لسان العرب ٣/ ٦٠٧) .

(٣) ب : ماله .

(٤) ب : وجد .

(٥) ب : الذى فيها لديك له وعد .

(٦) أ : ولا .

يُذَادُ عَنِ الورْدِ العَـــذِيـبِ سِــوَى امْــرِئٍ
غَـــــــرِيـبٍ لَـهُ فِـى كُلِّ مَـنْـهَـلَـةٍ وِرْدُ[1]

[الخفيف]

لاَ تَخَـفْ مِنْ ظُبَــاءٍ[2] تَرِقُّ حُــدُودا
بَلْ ظِـبَــاءٍ فِي الحَـىِّ[3] رَقَّتْ خُــدودُا
فَــسِنانُ الـقَنَـاة أضْـعَـفُ فِـعْـلاً
مِنْ جُــفُــونٍ وَسْنَى[4] عَلَوْنَ قُــدودُا
وَبِرُوحِي الـظَّبْىَ[5] الَّذى قَــدْ حَكَى الـنَّوْمَ
نِـفَـــاراً عَنْ نَـاظِـرِى وَصُــدودُا
لَوْ[6] يَرَى غَـيْـرَ سُـقْمٍ[7] عَـيْنَيـه جَفْنى[8]
مَـا هَوِيـتُ الضَّنَا ورُمْتُ الـمَـزِيدَا
٥ عَــاقَـبَ الـقَـلْبَ إذْ رأَىَ الـسُّكـرَ مِنِّى
دُونَ حَــدٍ[9] لِكَـىْ يُقِـيمَ الحُـدُودا

---

(١) فى ب ورد البيت كالتالى :

وليس يذود الورد يوما سوافتا   غريب له فى كل موردة ورد

(٢) أ، ج : ظبا . . والظباء، حدود السيوف وأعلاها .

(٣) ج : فى الحى بل ظباء فى الحى!

(٤) . ' . وسنا .

(٥) ب : أفدى .

(٦) = أ، صدر البيت مقابل لعجر البيت التالى له فى ج!

(٧) ب : من سقام .

(٨) ج : جسمى .

(٩) ب : فوق حد، ج : فوق خد .

فَـهْـوَ فِـى ذَا الخُـفُـوقِ[1] يَحْكِى وِشَـاحَـيْـه

وَفِـى ذَا اللَّـهِـيـب يَـحْكِـى الخُـدُودا

نِسْـبَـةٌ لَـوْ يَنَالـهـا حَـاسِـدِى مِـنْهُ

لأَصْـبَـحْتُ لِـلْحَـسُـودِ حَـسُـودا

وَلِعَـمْـرِى إنْ خَـانَ صَـبْـرِى فَـإنِّى

أَغْـبَطُ النَّاسِ[2] إِذْ حكَـاهُ عُـهُـودا

يَا خَـيَـالُ[3] الحَبِـيبِ أَغْـمَضْتُ عَـمْدًا

فَاسْتَعِدْ بِالإغْـمَاضِ[4] عِنْدى[5] هُجُودا[6]

١٠ يَتَـجَـافَى عَنِ الـمَـضَـاجِعِ جَنْبِى

وَتُقَـضِّى لَكَ[7] الجُـفُـونُ سُـجُـودا

أَتُـرَى يَحْـمِـلُ النَّسِـيمُ بَقَـايَا

جَـسَـدِى أَوْ أَزُورُ يَـوْمًـا زرُودا

[الطويل]

١ بِكَأسِكَ[8] يَا سَـاقِى الـمُـحِبِّينَ يُهْتَـدَى

فَكَـمْ فِـيـهِ نَجْمٌ نُورُهُ قَـدْ تَـوَقَّـدا[9]

---

(١) ب: الجفون.

(٢) أ: الصبر. (٣) = ج.

(٤) ب: فالإغماض. (٥) أ: عنى.

(٦) الهجود، النوم.. وقيل «صلاة التهجد» لأنها تكون وقت النوم.

(٧) أ: وتمضى لك، ب: ثم تقضى لك، ج: ثم نقضى إلى.

(٨) الأبيات فى أ، ب.

(٩) ب: ضوءه يتوقدا!

إذَا مَـا انْقَـضَى سُكْرُ النَّدَامى وَشَـاهَدُوا

جَـمَالَكَ عَـادَ السُّكْرُ فِـيهِمْ كَـمَـا بَدا

تَجَلَّى بِـأَوْصَـافِ الجَـمَـالِ جَـمِـيـعِـهَـا

وَلَـكِـنَّـهُ لَـمَّـــا تَـثَـنَّى تَفَـــرَّدا

وَأَوْحَى الَّذِي أَسْـرَى[1] إلىَ سِـرِّ عَـبْـدِه

فَـأَصْـبَـحَ جَـهْـرًا فِي الـمُـحِـبِّينَ[2] سَـيِّـدا

٥ تَأَمَّـلْ تَرى الأَلْـبَـــابَ تُنْهَبُ جَـــهْـــرَةً

إذَا هُوَ لِـلأَحْـــبَـــابِ فِـي سِـــرِّهِـمْ بَدا

وَإيَّاكَ وَالإِشْـــرَاكَ فِي دِيـنِ حُـــبِّـــه[3]

وَلاَ تَكُ إلاَّ بِـالجَـــمَـــالِ مُـــقَـــيَّـــدا

[الوافر]

١ أَتَرْغَـبُ[4] فِي الحَـــيَـــاةِ[5] وَلحَظُ هِـنْد

عَـلَـيْـنَـا مِـنْـهُ سُـلَّتْ أيُّ هِـنْـدِي[6]

تَعَـــرَّضْنا لِـمُـــقْلَتِـــهَـــا إلَى أَنْ

تَرَاضَـــعْنَا كُـــئُـــوسَ هَـوىً وَوَجْـــدِ

---

(١) أ: أوحى.

(٢) ب: المحبة.

(٣) ب: دين دينه.

(٤) الأبيات فى أ فقط.

(٥) فى الأصل: الحيوة.

(٦) فى الأصل: هند. . والهندى، السيف المصنوع من حديد الهند (لسان العرب ٣/ ٨٣٧).

فَـهَـاتِ عَلَى اسْـمِـهَـا كَـاسِـى فَـأَنَّى

تُعَــدِّى الكَأْسَ مَعْ ظَـمْــآنَ بَعْـــدِى

وَوَالِ كُـــئُـــوسَـــهَـــا حَـــتَّى تَرَانِى

وَعَـــــــيْـنِى لاَ تَـرَاكَ وَأَنْـتَ عِـنْدِى

٥ مُـــدَامًـــا مَـــا الحَـبَـــابُ بِهَـا سِـوَاهَا

لَهَـــا مِنهَـــا عَلَيْـــهَـــا أَىُّ عِـــقْـــدِ

أُنَاوِلُهَـــا نَـدِيمِىَ فَـــهْـــوَ مِـــثْلِى

وَفِـــيتُ بِعَـــهْـــدِهِ وَوَفَى بِعَــهْـــدِى

كَــتُـومُ السِّـــرِّ لاَ أَلْقَـــاهُ غَـيْـــرِى

إِذَا مَـــا كَــانَ عِـنْدِىَ كُنْتُ وَحْـــدِى

تَفَــرَّقْنَا نَوًى فَـــأَمَـــرَّ حُلْوِى

وَكَـــدَّرَ بِالتَّـــفَـــرُّقِ صَـــفْـوَ وُدِّى

فَلَمْ أَرَ ذَا نَـهُـــورٍ[1] مِـــثْلَ طَرْفِى

عَــصَــرْتُ الدَّمْعَ مِنْهُ فَـجَـاءَ وِرْدِى

١٠ وَلاَ كَــحَــشَــاىَ تُقْـــدَحُ فِــيــهِ نَارٌ

تُذَكِّـــرُ مَـــالِكِيـــهِ بِغَـــيْـــرِ زَنْدِ

أَمَـــا مِنْ مُـــسْـــعَـــدٍ يَا سَـعْـــدُ أَشْكُو

صَـبَـــابَاتِى إِلَيْـــهِ وَفَـــرْطَ وَجْـــدِى

---

(١) فى الأصل : نهارى .

شَـربْتُ مُـدامَ نُعْمَى[1] مِنْ قَدِيمٍ[2]
مُـروَّقَـةً ولَيْـسَتْ ذَاتَ دُرْدِي[3]

فَـأَعْـجَـز بَـعْضُ أيْسَـرِهَا بَنَانِي[4]
عَلَى بَذْلِي لَـهَـا مَـا فَـوْقَ جُـهْدِي

فَـدَيْتُكَ جَـامِـعًـا لِلْفَـضْلِ، فـيـه
يُؤَذِّنُ دَائـمًـا مَـدحِي وَحَـمْـدِي

١٥ وَمُـشْـتَـاقٍ ذَكَـرْتُ لَهُ اسْم لَيْلَى
فَـهَـامَ وَذِكْـرُ الحُبِّ يُعْـدِي

عَـلَـيَّ لَـهُ وَعِـنْـدِي مَـا يُـرَجَّـى
وَبُشْـرَى مِنْ عَـلِـيٍّ لَـهُ وَعِـنْدِي

لأَنِّـي قَـبْلَ مَنْ جَـاءَ قَـبْلِي
هُنَاكَ وَبَعْـدَ مَنْ قَـدْ جَـاءَ بَعْـدِي

وَلِي فِـي مَـا يُقَـالُ كَـلاَمُ حُـرٍّ
وَفِي مَـالاَ يُـقَـالُ سُكُونُ عَـبْـدِ[5]

---

(١) فى الأصل : نعم .
(٢) الإشارة إلى توحيد الأرواح فى عالم الذَّرِّ، وهو ما أشار ابن الفارض إليه حين قال فى مطلع قصيدته الخمرية :

شَرِبْنا عَلَى ذكرِ الحَبِيبِ مُدَامَةً   سَكِرْنا بِهَا مِنْ قَبْلِ أنْ يُخْلَقَ الكَرْمُ

(٣) الدردى ؛ ما يركد فى أسفل الخمر من الشوائب، وهو أيضا : الخميرة التى تترك على العصير والنبيذ ليتخمر (لسان العرب ١/ ٩٦٥).
(٤) كلمات هذا الموضع غير مقروءة تمامًا فى الأصل .
(٥) يبدو أن التلمسانى قد أراد الحديث عن اتحاده بالحقيقة الأزلية السارية من بدء الخلق إلى منتهاه، وهى ما يعرف عند الصوفية بالحقيقة المحمدية . . لكنه آثر ـ بعد بضع إشارات ـ الإحجام عن الخوض فى ذلك المفهوم الدقيق، لأنه أمر بحسب تعبيره : مما لا يقال!

[الطويل]

١ هَلُمَّ(١) نُقَضِّى الفَرضَ لِلأَجْرَعِ الفَرْدِ
بِوِرْدِ المَطَايَا مَنْهَلَ المَدْمعِ الوَرْدِ

فَفِى مِثْلَ هَذَا السَّفْحِ يُبْرِدُ عَاشِقٌ
حَشَاهُ بِسَفْحِ الدَّمْعِ فِى مَسْحبِ البُرْدِ

وَقَفْنَا بِرَبْعِ العَامِرِيَّةِ مَوْقِفًا
بِهِ الحُرُّ مَبْذُولُ الحَشَاشَةِ كَالعَبْدِ

سُكَارَى حَيَارَى أَعْيُنٍ فَكَأَنَّمَا
أَضَلَّ بِنا حَادٍ مُجِدٌّ عَنِ القَصْدِ

٥ وَفِى الحَىِّ غَيْرَانُونَ كَادَتْ نُفُوسُهُمْ
تَمَيَّزُ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْنا وَمِنْ حِقْدِ

وَمَا ذَاكَ إلاَّ غَيْرَةً مِنْ حُلُولِنَا
بِلَيْلَى مَحَلَّ المُكْرَمِينَ مِنَ الوَفْدِ

وَلَمَّا عَرِفنَا عَرْفَهَا نَزَّهَ الهَوَى
شَذَا عَرْفِهَا النَّدِىِّ عَنْ وِجهَةِ النِّدِّ

فَلَمْ(١) نَرَ إلاَّ أَوْجُهًا عَرَبِيَّةً
عَلَى العُرْبِ عُجْمَ اللَّفْظِ مِنْ شِدَّةِ الوَجْدِ

---

(١) الأبيات فى أ فقط.

(٢) الأبيات التالية غير واضحة فى الأصل، ويزيد من صعوبة قراءتها كونها غير منقوطة فى معظم الأحيان!

وَكَمْ كَـبِـدٍ حَـرَّى تُكَابِدُ مَـا بِـهَـا
وَصَـفْـحَـةِ خَـدٍّ فِـيـهِ لِلدَّمْعِ كَمْ خَـدٍّ

١٠ وَكَمْ ثَـمَّ جِـيـدٍ لِلرَّنَا[1] لَيْسَ عَـاطِلاً
ضَـمَـمْنَا عَلَيْـهِ اللَّثْمَ عِـقْدًا عَلَى عِـقْدِ

وَلَـمْ يَدَعِ الـوَرْقَـاءَ لِـلنَّوحِ وَحْـدَهَا
فَـتًى قَـائِلاً: إِنِّى الـمُـعَنَّى بِهَـا وَحْـدِى

وَمِـتْنَـا لَهَـا طُولَ الحَـيَـاةِ[2] وَقَـدْ بَدَتْ
عَلَى عَـهْـدِهَا وَالرَّسْمُ فِى الرَّسْمِ وَالعَـهْـدِ

فَـمَـنْ يَـرَ بُـدًّا مِـنْ فَـنَـاهُ فَلَـيْسَ مِـنْ
فَنَـاءٍ - رَعَـاكَ اللَّهُ يَـا سَـعْـدُ - مِـنْ بُدِّ

وَمَنْ يَـرَ عَنْهَـا البُـعْـدَ يَقْـتُلُ فَـالَّذِى
أَرَى أَنَّ قَـتْلَ القُـرْبِ أَرْجَـى مِنَ البُـعْـدِ

١٥ فَـيَبْـقَى الَّذِى مَـعْنَى البَـقَـاءِ لِوَجْـهِـهِ
دَوَامًـا وَيَفْنَى مَنْ بَـقَـاهُ إِلَى حَـدِّ[3]

---

(١) فى الأصل: الرنى. . والرنا؛ المنظور إليه (انظر: لسان العرب ١/ ١٢٣٦).

(٢) فى الأصل: الحيوة. . والإشارة هنا إلى المعنى الصوفى القائل: موتوا قبل أن تموتوا (الموت هنا بمفهومه الصوفى الذى عرضنا له فيما سبق).

(٣) الإشارة إلى قوله تعالى: «كل من عليها فانٍ، ويبقى وجه ربك ذو الإجلال والإكرام. .» (الرحمن: ٢٧).

[الطويل]

١ نَسِيمَ[١] الصَّبَا، أَذْكَرْتَنِى العَهْدَ بالوَادِى
وَهَيَّجْتَ أَشْوَاقًا شَقَقْن فُؤَادِى

فَإِنْ كُنْتَ تُحْيِى مَيِّتَ الهَجْرِ وَالجَوَى
بِقَتْلِ[٢] الهَوَى، أَحْيَيْتَنِى بِمُرَادِى

فَإِنِّى مُذْ فَارَقْتُ أَحْبَابَ مُهْجَتِى
وَعُوِّضْتُ مِنْ قُرْبٍ لَهُمْ بِبِعَادِ

جُفُونِى جَفَتْ نَوْمَ الدُّجَى لِمَضَاجِعِى
وَصِرْتُ جَلِيسًا لِلسُّهَا بِسُهَادِى

٥ فَيَا ذَلِكَ الدَّانِى إلِىَ ذَلِكَ الحِمَى
إذَا مَا أَنَخْتَ العِيسَ فِى ذَلِكَ الوَادِى

فَنَادِ بِهِ السُّكَانَ: أَسْكَنْتُمُ الحَشَا
وَقُودَ لَظَىً، فَالجَمْرُ صَارَ مِهَادِى

فَلَمْ أَسْتَطِعْ فِى اللَّيْلِ مَيْلاً لِمَضْجَعِى
أَأَهْجَعُ وَالنِّيرَانُ حَشْوُ وِسَادِى

رَعَى اللَّهُ أَيَّامًا بِمُنْعَرِجِ اللِّوَى[٣]
وَلَيْلاً نَفَى فِيهِ الوِصَالُ رُقَادِى

---

(١) الأبيات فى أ فقط .

(٢) فى الأصل : قتيل .

(٣) منعرج اللوى : موضع يشير به التلمساني إلى زمن القرب .

[الطويل]

١ كَـــأنَّ عِـــذار[(١)] مَـنْ أحِبُّ بِخَـــدِّهِ
رِضَـــاهُ[(٢)] وَفِــيــهِ بعْضُ آثَارِ[(٣)] صَـــدِّهِ

رَشِـيـقُ التَّـثَنِّى[(٤)] رَاشِقُ الجَـفْنِ فَـاتِكٌ
جُيُـوشُ الهَـوَى مِنْ تَحْتِ رَايَةِ قَـصْدِهِ[(٥)]

يُكَلِّفُ رِدْفَـيْـهِ مِـنَ الثِّـقْلِ مِـثْلَ[(٦)] مَـا
يُكَـلِّفُ مِنْ ثُـقْلِ الهَـوَى قَلْبَ عَـبْـدِهِ

يَمُـوجُ غَـدِيرٌ[(٧)] تَحْتَ غُـصْنِ قَـوَامِـهِ
وثُعْـبَـانُ ذَاكَ الشَّـعْـرِ ظَامٍ[(٨)] لِوِرْدِهِ

٥ تَوَلَّى[(٩)] قَـضَـايَا الحَلِّ وَالـعَـقْـدِ بَـنْدُهُ
فَـضَاقَ مَجَالُ الخُـصْرِ مِنْ عَـقْـدِ بَنْدِهِ[(١٠)]

فَـإنْ كَـانَ مِـنْ خَـدَّيْهِ نَارٌ دُخَـانُهَـا
بِصُـدْغَـيْـهِ[(١١)] فَـالجَنَّاتُ مِنْ تَحْتِ بُرْدِهِ

---

(١) ب، ج: عذارى. (٢) ب: رضاء.

(٣) ج: من بقية. (٤) ب: التجنى.

(٥) ب: آثار بنده، ج: نحف قده.

(٦) أ: يكلف رد فيه من الأثل مثل ما.
ب: يكلف عطفيه من الحمل مثل ما.
ج: يحمل عطفيه من الات ثقل ما.

(٧) ج: عديدا.

(٨) ب: ضام. (٩) = ج.

(١٠) البند؛ العلم الكبير من أعلام الروم.. وهو أيضا: الذى يسكر من الماء!

(١١) أ، ضرامها بقلبى.

فَــلا تَلْتَــمِـسْ إنْجَــازَ مَــوْعِــدِ جَــفْنِه[1]

فَــفِيــهِ فُتُــورٌ فَـالْتَــمِسْ[2] خُلْفَ وَعْـدِهِ

فَـإنْ[3] كَـانَ يَهْــوَى الخُلْفَ ـ أَفْديـه ـ مَـالُهُ

يُوَافِقُ فِــى قَــتْلِ[4] الــمُــحِبِّ بِجَــهْــدِهِ

فَـخَـرْتُ[5] بِحُــسْنِ النَّظْمِ فِـيـه فَــقَـالَ لِى

تَعَـلَّــمْــتَــهُ مِــنْ نَظْمِ ثَـغْــرِى وَعِــقْــدِهِ

١٠ وَلَمَّـا رَأَى دَمْـــعِى دمًـــا ظَـنَّ خَـــدَّهُ

تَرَاءى[6] لِدمَــعِى فَـاكْــتَــسَى لَوْنَ وَرْدِهِ[7]

وَلَوْ[8] أَنَّ قَلْبِى حَــازَ قَـــسْــوَةَ قَلْبِــهِ

سَلَوْتُ، وَلَكِنْ حَـــازَ رِقَّـــةَ خَـــدِّهِ

وَقَـــدَّمْــتُ دَمْـــعِى رَشْـــوَةً وَهْوَ لُؤْلُؤٌ

فَـــمَـــا جَــادَ لِى، يَالَيْتَ[9] جَــادَ بِرَدِّهِ

أُحَـيبَـابَنَا[10] أَنْتُمْ لَنَا[11] القَـصْدُ وَالـمُنَى

أَيَـرْغَبُ صَبٌّ عَـنْ مُنَـاهُ وَقَـــصْــدِهِ

---

(١) ب : وعد جفونه.

(٢) أ : والتمس. (٣) ج : وإن.

(٤) ج : فتك. (٥) ب : فجزت.

(٦) ب : براء، ج : ترا آى!

(٧) ب : خده.

(٨) = ب، أ : فلو.

(٩) أ : فياليت إذ لم يجد.

(١٠) ب : أحبابنا.

(١١) أ : هم.

حَلَلْتُمْ مِنَ القَصْرَيْنِ قَلْبِي وَنَاظِرِي
وَمَا أَحْكَمَ المَوْلَى عَلَى مِلْكِ[1] عَبْدِهِ

١٥ فَإِنْ قُلْتُمُ مَا الشَّامُ مِصْرٌ فَذُو[2] الصَّفَا
يَرَى القُرْبَ[3] فِي التَّوْحِيدِ[4] مِن غَيْرِ بُعْدِهِ

[الرمل]

١ بِذِمَامِ[5] الحُبِّ[6] يَا أَهْلَ زَرُودِ
مَنْ تُرَى عَلَّمَكُمْ نَقْضَ العُهُودِ[7]

أَتُرَاكُمْ قَدْ مَلَلْتُمْ[8] عَبْدَكُمْ
أَمْ سَمِعْتُمْ فِيهِ أَقْوَالَ الحَسُودِ

هَكَذَا كُلُّ مُحِبٍّ لَكُمْ
أَمْ أَنَا المَخْصُوصُ وَحْدِي بِالصُّدُودِ

كَيْفَ مَا شِئتُ[9] فَكُونُوا سَادَتِي
أَنَا فِي حُبِّي لَكُمْ بَعْضُ العَبِيدِ

٥ وَلَكُمْ عُهْدَةُ رِقِّي كُتِبَتْ[10]
بِمِدَادِ الدَّمْعِ فِي رَقِّ الخُدُودِ

---

(١) أ: قلب، ب: حكم.
(٢) ب: ما السماء وذا الصفا، أ: فذو صفا.
(٣) ب: القلب.
(٤) التوحيد هنا، إشارة إلى الوحدة بمفهومها الصوفى.
(٥) الأبيات فى أ، ب وساقطة من ج.
(٦) بذمام الحب هنا، أمر يستخلف به العاشق أحبته.
(٧) ب: العهودى.. وكذا الحال فى بقية الأبيات!
(٨) ب: ملكتم. (٩) أ: كنتم. (١٠) ب: كتب.

كُلَّمَا رُمْتُ تَقَاضِى وَصْلِكُمْ
وَقَفَ الإِجْلاَلُ بِى دُونَ وُرُودِ[1]

[الكامل]

١ لَوْ كُنْتُ فِيهِ هَائِمًا وَحْدِى
لَعَذَرْتُ[2] عُذَّالِى عَلَى وَجْدِى
أَمَا[3] وَكُلُّ الكَوْنِ يَعْشَقُهُ
فَعَلاَمَ أُخْفِى فِيهِ مَا عِنْدِى[4]
هَامَ النَّسِيمُ بِلُطْفِهِ فَلِذَا
ظَهَرَ اعْتِلاَلُ[5] فِى صَبَا نَجْدِ
وَلَهُ عُيُونُ الزَّهْرِ رَامِقَةٌ
بِنَوَاظِرٍ مُلِئَتْ مِنَ الشُّهْدِ
١ وَأَبِيكَ، لَوْلاَ لِينُ قَامَتِهِ
مَا اشْتَقَّتْ[6] لِينَ مَعَاطِفِ الرَّنْدِ
يَا قَاتِلِى وَجَوَانِحِى أَبَدًا
تَشْتَاقُهُ فِى القُرْبِ وَالبُعْدِ

---

(١) فى أ: دون وجودى. . ثم التحقت فى النسخ أ، بتلك الأبيات الثلاثة التى وردت قبل ذلك منفصلة فى أ، والتى يقول مطلعها: يا أهيل الحى من ذاك الحمى!

(٢) ب: لعذلت. (٣) أ: أنا.

(٤) عشق الكون لله تعالى، مشهد يعرج إليه الصوفى فى رحلة ترقِّيه من الخلق إلى الحق. . فيرى حقائق الأشياء ـ بعين قلبه ـ منجذبة إلى الخالق عزو وجل. وهنا يتساءل التلمسانى: إذا كانت أجزاء الكون منجذبة إلى الله، فلماذا يخفى هو انجذابه إليه تعالى!

(٥) أ، ب: اعتدال. (٦): ما شتقت، ج: ما شقت

لَكَ أنْ تَجُورَ عَلَىَّ يَا أمَلى
وَعَلَىَّ أَنْ أَرْضَى بِمَا تُبْدِى
ولَئِنْ[1] أَرَاقَ دَمِى هَوَاكَ[2] فَيَا
شَرَفى وَيَا حَظِّى وَيا سَعْدى
أَخْفَيْتُ حُبَّكَ إذْ خَفِيتَ ضَنًا
فَكَأَنَّنا كُنَّا[3] عَلَى وَعْدِ
١٠ لَكَ نَاظِرٌ أبَدًا لِحَاجِبِه[4]
يَشْكُو ظُلاَمَةَ عَامِلِ الْقَدِّ
لَكَ عَارِضٌ[5] لَمَّا اَعْتَرَضْتُ رأى
إطْلاَقَ جَارِى الدَّمْعِ فى نَقْدِى[6]

[الخفيف]

١ مَا أضَا البَرْقُ[7] اللَّمُوعُ بِنَجْدِ
إنَمَا ذَاكَ مِنْ تَبَسُّمِ هِنْدِ
وَإذَا[8] قَارَنَ[9] الغَمَامَ بُرُوقٌ[10]
فَهْىَ لَوْ تَعْلَمُونَ مِنْ نَارِ وَجْدِى

---

(١) أ، ب: لين.
(٢) ب، ج: هواك دمى.
(٣) أ: فكأنما كانا، ج: فكأنما كنا.
(٤) ب: لواحظه. (٥) ب، ج: ولعارض.
(٦) أ، ج: نقد. (٧) ج: البرق.
(٨) أ، ج: فإذا. (٩) ب: ما علا، ج: فارق.
(١٠) أ: الغمائم برق، ب: الغرام برق.

سَامَحَ اللهُ مُقْلَةً فَتكَتْ بِى[1]

إنَّ قَتْلِى مَا كَانَ[2] مِنْهَا بِقَصْدِ

مَادَرَتْ إذْ رَنَتْ بِجَفْنٍ[3] سَقِيم

فَاترٍ[4] أنْ ذَلِكَ السُّقْمَ يُعْدِى

٥ لَيْتَهُ[5] بَاعَنِى نُعَاسًا[6] تَشَكَّى

ثُقْلَهُ وَاشْتَرَى بِهِ بَعْضَ سُهْدِى

يَا رَشِيقَ القَوَامِ كَيْفَ[7] بِرُشْدِى

وَتَثَنِّى عِطْفَيْكَ أتْلَفَ رُشْدِى

هَاتِ كَأسِى فِى حُبِّهِ يَا نَدِيمِى

فَهْىَ تُعْزَى مِنْهُ لِثَغْرٍ وَخَدٍّ

وَاجْلِهَا فِى غِلاَلَةٍ مِنْ[8] نُضَارٍ

دَرَزَتْهَا[9] يَدُ المِزَاجِ بِعِقْدِ

---

(١) ج: قتلتنى، ب: فتكت فى.

(٢) + أ.

(٣) ب: بطرف.

(٤) ـ ب.

(٥) الأبيات الأربعة التالية وردت قبل ذلك منفردة فى المخطوطة أ، ثم تكرر ورودها هنا.. وفى ب بدأ الناسخ بها صفحة جديدة، فبدت منفصلة! أما فى ج فقد اتصل التسلسل الخاص بالأبيات.

(٦) ب: نعاس.

(٧) ج: لبس.

(٨) ج: غلالتين.

(٩) الدرز، الخياطة والحياكة.. وهى كلمة فارسية معربة (لسان العرب ١/ ٩٦٨) ويبدو أن الكلمة لم تعجب ناسخ ب فكتبها: طرزتها!

[المتقارب]

١ تَذَكَّرْتُ مِنْ رَامَةٍ مَوْرِدا
إلى مَائِهِ العَذْبِ أَشْكُو[1] الصَّدا
مَنَازِلُ قَدْ نَزَلَتْهَا سُعَادُ
وَإلاَّ فَمَا الطَّيْرُ فِيهَا شَدا[2]
لَثَمْتُ ثَرَى أَرْضِهَا بِالجُفُونِ
وَمِنْ شَغَفِي خِلْتُهَا أَثْمَدا
وَصَوَّرَهَا الوَجْدُ[3] لِي كَعْبَةً
فَأَلْزَمَنِي الشَّوْقُ[4] أَنْ أَسْجُدا
أُقَبِّلُ مُبْيَضَّ أَرْكَانِهَا
كَتَقْبِيلِيَ الحَجَرَ الأَسْوَدا

[السريع]

١ قِمْرِيَّةُ الأَسْحَارِ لِي تُسْعِدُ[5]
أُنْشِدُ فِي غُصْنِي[6] كَمَا تُنْشِدُ
بِي شَادِنٌ[7] قَلْبِي شَقِيٌّ بِهِ
وَجْدًا وَطَرْفِي نَظَرًا[8] يَسْعَدُ

---

(١) جـ: شكو.

(٢) ب، جـ: الطيب فيها سدا.

(٣) ب: الشوق. (٤) جـ: الوجد.

(٥) ب: قمرى به الأشجار لا تسعد!

(٦) ب: الغصن. (٧) أ: وشادن. (٨) ب: ناظرا.

وَاعَجَبًا[1] مِنْ رَمدٍ نَالَهُ
وَخِلْتُ أَنَّ البَدْرَ لاَ يَرْمَدُ
كَيْفَ اكْتَسَتْ مُقْلَتُهُ حُمْرَةً
وَالنَّرْجِسُ الأحْمَرُ لاَ يُعْهَدُ[2]
٥ هَارُوتُهَا أَضْحَى وَمَارُوتُهَا[3]
عِلْمُهُمَا بِالسِّحْرِ لاَ يُجْحَدُ

[الطويل]

١ وُجُودٌ وَحَسْبِى أَنْ أَقُولَ[4] وُجُودُ
لَهُ كَرَمٌ مِنْهُ عَلَيْهِ وَجُودُ[5]
تَنَزَّهَ عَنْ نَعْتِ الكَمَالِ لأَنَّهُ
بِمَعْنَى[6] اعْتِبَارِ النَّقْصِ فِيهِ يَعُودُ[7]
وَلَكِنَّهُ[8] فِيهِ الكَمَالُ وَضِدُّهُ
لَهُ مِنْهُ وَالمَجْمُوعُ[9] فِيهِ صُمُودُ[10]

---

(١) ب : عجب. (٢) أ : يوجد.
(٣) الإشارة إلى سحر هاروت وماروت
(٤) ب : يقال. (٥) ب : يجود.
(٦) ب : معنا، جـ: لمعنى. (٧) أ: يود.
(٨) × أ. (٩) ب : لما بدأ منه الجموع.
(١٠) يرى الصوفية أن مرتبة الألوهية تجمع الأجزاء جميعا، فهى الرتبة الجامعة المشتملة على سائر حقائق الوجود الحقى والخلقى. . يقول الجيلى : اعلم أن جمع مراتب الوجود وحفظها فى مراتبها، تسمى الألوهية! والوجود والعدم متقابلان، وتلك الألوهية محيطة بهما، لأن الألوهية تجمع الضدين من القديم والحديث والحق والخلق والوجود والعدم [الإنسان الكامل ١/ ٢٣] ومن هنا قال التلمسانى إن الوجود، الذى هو المجلى التام للألوهية، فيه الكمال وضده. . يعنى الكمال والنقص باعتبارهما من متقابلات الوجود! وقوله عقب ذلك [المجموع فيه صمود] إشارة إلى رتبة الإحاطة.

وَأشَــــرفُ أشَكَالِ الكَنَائف مَـــا بِـه [م]

اسْتَــدَارَتْ كُـرَاه(١) فَــهْىَ مِنْهُ سُـعُــود(٢)

٥ لِحَـيْطَتِـهَـا(٣) الأشْكَالُ فِـيـهَـا بأسْـرِهَا

وَمِنْـهَـا إلَيْـهَــا تَبْـتَـدى وَتَعُـودُ

وَقُـــوتَّـهَـــا تُعْطِى التَّنوُّعَ كُلَّهُ

فَلَيْسَ عَلَيْـهَـا فِى الكَمْـالِ مَــزِيدُ

سِــوَى قُــوَّةِ الإطْلاَقِ فَــهْىَ مُـحِـيطَةٌ

بِسَطْوَتِـهَــا كُـلُّ الكُرَاتِ تَبِــيـدُ(٤)

كَــذَا حَـرَكَــاتُ الدَّوْرِ أَشْـرَفُ مَـا بِهِ

تَحَـرُّكُ جِـسْمٍ كَىْ يَـنالَ قُـصُــودُ

فَـــتَـشْـمَـلُ أنْوَاع الـتَّـحَــرُّك كُـلَّه

فَــفِى كُـلِّ آنٍ خَلْـقُــهُـنَّ جَـدِيدُ(٥)

---

(١) ب: كياه!!

(٢) أ: وهى فيه صعود، ٣ج: وهن سعود.

(٣) يقول ابن سبعين فى رتبة الإحاطة التى يتحدث عنها التلمسانى هنا: إن الخارج عن الإحاطة ممنوع ومعدوم، والداخل فيها قد أحاطت به، وليست هى كالمكان، ولا يمكن فيها المكان والزمان ولا العدد ولا الإضافة.. فهى إحاطة تحيل العدد إلى واحد، ثم تمنع زمن الإحاطة وزمان الجمع وزمان التفرقة! وهى الله فى الحقيقة! فالإحاطة شبه مغناطيس، والموجودات كالحديد، والنسبة الجامعة بينها هوية الوجود، والذى فرق بينهما هو وهم الموجود [ابن سبعين: رسالة الإحاطة ـ مخطوط ـ عن ابن سبعين وفلسفته الصوفية للدكتور/ أبو الوفا التفتازانى ص ٢٢٠ وما بعدها] ولا يخرج التلمسانى هنا عن كونه ناظما لهذه الفكرة السبعينية شعرا.

(٤) إشارة إلى دخول كل دوائر الوجود الخلقى فى رتبة الإحاطة التامة، إذ إن سطعات الوحدة تتلاشى معها كل ظلمات الموجودات.

(٥) الآية: بل هم فى لبس من خلق جديد.. (ق: ١٥).

١٠ مَـعَـانٍ بِهَا مِنْهَا عَلَيْـهَا أَدلةٌ

وَفِيهَا لَهَا فِيمَا تَرُومُ شُهُودُ[(١)]

وَلَوْلاَ انْخِـرَامُ الكُلِّ بِالقُـوَّةِ الَّتِى

لإطْلاَقِـهَا فِى جَمْعِهِنَّ قُيُودُ

لَمَا عُدِمَ المَوْجُودُ يَوْمًا وَلاَ انْقَضَتْ

رُسُومٌ بِأَنْوَاعِ البَـلاَ[(٢)] وَحُدُودُ

وَلَكِنَّهَا تَأْتِى النِّهَايَةَ وَصْفَهَا[(٣)]

فَلَيْسَ لَهَا فِى الدَّوْرِ قَطُّ جُمُودُ[(٤)]

وَلَوْ وَقَفَتْ يَوْمًا بِحَدٍ لَنَالَهَا[(٥)]

بِهِ عَدَمٌ هَيْهَاتَ وَهْىَ وجُودُ[(٦)]

[الطويل]

١ إذَا كُنْت بَعْدَ المَحْوِ[(٧)] فِى الصَّحْوِ[(٨)] سَيِّدَا

إمَامًا مُثَنَّى[(٩)] النَّعْتِ بِالذَّاتِ مُفْرَدَا

---

(١) الآية: شهد الله أنه لا إله إلا هو.. (آل عمران: ١٨).

(٢) ب: البكاء.. والإشارة إلى فناء عالم الأجسام. (٣) ب: نهاية وضعها.

(٤) الدور هنا: إشارة إلى دوام الإيجاد بترادف التجليات الإلهية التى تتوالى فلا تتوانى، وتتنوع ولا تنقطع.. فهى كل يوم فى شأن جديد، ولها فى كل شأن مظاهر وجود شاهدة بالمتجلى عز وجل! وبخصوص تفصيل هذه النقطة، يمكن الرجوع إلى فصوص الحكم لابن عربى [الفص الآدمى].

(٥) ب: لما لها. (٦) إشارة إلى تنوع التجليات الإلهية ودوامها بلا انقطاع.

(٧) للمحو عند الصوفية عدة مراتب يوضحها القاشانى فى [اصطلاحات الصوفية ص ٧٩] على النحو التالى:

- محو أرباب الظواهر: رفع أوصاف العادة والخصال الذميمة، ويقابله الإثبات الذى هو إقامة أحكام العبادة واكتساب الأخلاق الحميدة.

- محو أرباب السرائر: إزالة العلل والآفات، ويقابله إثبات المواصلات؛ وذلك برفع أوصاف العبد ورسم أخلاقه وأفعاله بتجليات صفات الحق وأفعاله وأخلاقه، كما قال: كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به.

- محو الجمع الحقيقى: فناء الكثرة فى الوحدة.

- محو العبودية ومحو عين العبد: إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان.. ومعرفة أن الوجود ليس إلا عين الحق تعالى، والإضافة نسبة ليست لها وجود فى الخارج.

(٨) انظر معنى الصحو، فيما سبق. (٩) ب: مبين.

فَمَا الرَّسْمُ إلاَّ مَانِعٌ غَيْرُ[1] حَاجِزٍ
حَصِينٌ[2] بِهِ[3] الإِطْلاَقُ لَنْ[4] يَتَقَيَّدا

وذَاكَ لأنَّ الفَرْقَ[5] صَارَ تَوَهُّمَا
بِهَيْئَتِهِ وَالجَمْعُ[6] فَرْدًا[7] كَمَا بَدا

وَمِنْ[8] قَوْلِهِمْ: مَا قَامَ إلاَّ مُحَمَّدٌ[9]
دَلِيلٌ بِهِ حُكْمُ الصَّوَابِ تَأَيَّدا[10]

٥ رَفَعْنَا[11] عَنِ[12] الإِعْرَابِ رَفْعَ مُحَمَّدٍ
لِقَامَ، وإلاَّ[13] عَنْهُ تَنْفِى مُحَمَّدا[14]

وَإِذْ[15] لَمْ يَكُنْ مَا قَامَ، يَطْلُبُ فَاعِلا
سِوَاهُ رَفَعْنَاهُ بِهِ[16] فَتَأَكَّدا

---

(١) ب: دون.

(٢) جـ: خضير.

(٣) ب: بها.

(٤) ب: لم.

(٥) فى الدلالة الصوفية للفرق، يقول القاشانى: الفرق الأول الاحتجاب بالخلق عن الحق، وبقاء الرسوم الخلقية بحالها. والفرق الثانى هو شهود قيام الخلق، ورؤية الوحدة فى الكثرة والكثرة فى الوحدة من غير احتجاب [اصطلاحات الصوفية ص ١٣٦].

(٦) الجمع عند الصوفية: شهود الحق بلا خلق.. وجمع، الجمع: شهود الخلق قائما بالحق، ويسمى الفرق بعد الجمع [اصطلاحات الصوفية ص ٤١].
والتلمسانى هنا يشير إلى سقوط مفاهيم الفرق والجمع بعد التحقق التام بالإحاطة والوحدة المطلقة.

(٧) ب: والفرد جمعا. (٨) = جـ.

(٩) فى جـ: محمداً.. وسوف يسعى التلمسانى لتحليل القواعد النحوية فى هذه العبارة مازجا بين قواعد النحو واصطلاح الصوفية، ومستغلا كل إمكانيات التعبير الشعرى؛ كى يؤكد على نظريته فى الوحدة.

(١٠) عجز البيت ساقط من ب. (١١) صدر البيت ساقط من ب.

(١٢) أ: على. (١٣ جـ: ولما.

(١٤) ب: ولاء عنه يبقى مخلدا! (١٥) جـ: إذا.

(١٦) ب: بها.

فـــإلاَّ، وَإنْ دلَّتْ عَـلَى الـفَـــرْقِ ظَاهِـراً

فَـتَحْـقِـيقُ حُكْمِ الرَّفْعِ[1] يَجْـعَلُهَا سُـدَى[2]

فــلاَ تُطِـعِ الإيجَـــابَ إلاَّ تَـقِــيَّـــةً[3]

بِهَـا واعْـتَـمِـدْ فِى سَلْبِ إيـجَابِهَـا الهُـدَى[4]

كَـــذَلِكَ[5] وَالسَّلْبُ[6] الَّذِى أبْتَـــدَأتْ بِهِ

شَـهَــادَتُنَا[7] مَـا كَـانَ شىءٌ فَـيُـجْـحَـدا

١٠ فَـتَــحْــقِــيقُ ذَاكَ النَّفْىِ إثْبَـاتُ وَاحِــدٍ

وَمَنْ وَجَـدَ[8] الإثْبَـاتَ فِى نَفْـيِـهِ اهْتَـدَى[9]

[البسيط]

١ لِلْقُـضْـبِ بِالزَّهْرِ أَجْـيَــابٌ وَأَجْــيَـادُ[10]

تَـدْنُـو إلـيْــكَ وَتَـنْـأَى[11] حِـينَ تَـنْـآدُ[12]

---

(١) ب : الفرق .

(٢) . . سدا .

(٣) أ ، جـ : بقية . . والتقية : هى إظهار الإنسان خلاف ما يعتقده ، خوفا من بطش الآخرين به ، خاصة إن كانوا على غير مذهبه . وهى أصل من أصول التشيع ، لجأ إليه الشيعة هربا من بطش السُّنة بهم .

(٤) ب : الهدا .

(٥) = ب .

(٦) جـ : لذلك أسباب .

(٧) الإشارة إلى شهادة : لا إله إلا الله .

(٨) جـ : وحد .

(٩) ب : الأسباب فى فعله هذا .

(١٠) ب : للغصن بالدوح أحباب وأجناد!

(١١) ب : ثناء .

(١٢) أ ، ب : تنقاد .

وَلِلْحَبَـابِ عَلَى[1] سُقْمَى[2] جَـدَاوِلِهَـا

لِلسَّيْف[3] وَالعِـقْـدِ نَضَّـاءٌ[4] وَنَضَّـادُ[5]

وَلِلـنَّسِـيـمِ عَلَـى الآفَـاقِ[6] زَمْـزَمَـةٌ

وَلِلـحَـمَـائِمِ بِـالأَعْـوَادِ[7] أَعْـوَادُ[8]

فَـهَـاتِ كَـأْسَكَ أَوْ[9] لُطْفًـا يَـقُـومُ لَنَا

مَـقَـامَ كَـأْسِكَ يَبْـقَـى حِينَ تَنْقَـادُ[10]

٥ فَـمَـا[11] الـمُـدَامَـةُ أَحْلَى مِنْ حَـدِيثِكَ إِذْ

يَجْلُوهُ لِلسَّـمْعِ إِنْشَـاءٌ[12] وَإِنْشَـادُ

أَوْ خُذْ[13] حَدِيثَ غَـرَامِي فَاتَّخِذْ سَـمَرًا[14]

فَـفِـيـهِ لِلسَّـمْعِ إِسْـعَـافٌ وَإِسْـعَـادُ

بِي شَـادِنٌ لِـغَـرَامِي شَـارِدًا[15] أَبَدًا

وَلِلـتَّـصَـبُّـرِ نَقَّـاءٌ وَنَقَّـادُ

---

(١) جـ: وللجنان على. . وباقى الشطر ساقط!

(٢) غير واضحة فى أ.

(٣) أ: للسبق. (٤) ب: الدر نضام.

(٥) النضو؛ التجريد والخلع. . يقال: نضا السيف، إذا سلّه من غمده [لسان العرب ٣/ ٦٥٩] والنضد، التركيب والتنسيق. . يقال: نضد العقد، إذا نظمه.

(٦) جـ: الأوقاف. (٧) ب: بالأغوار.

(٨) ب: أعياد، جـ: عواد. . وأعواد التى اخترناها من أ: جمع عود.

(٩) ب: إذ. (١٠) أ: تناد.

(١١) = جـ. (١٢) أ: إفشاء.

(١٣) ب، جـ: وخذ.

(١٤) ب: واتخذ سكر، جـ: واتخذ سكنا.

(١٥) أ: شايد.

كَمْ فِـي غَـرَامِي بِـهِ وَاشٍ وَوَاشِـيَـةٌ
وَكَمْ مَعْ الـدَّهْرِ حُـسَّـابٌ[1] وَحـسَّـادُ
وَكَـمْ عَلَـيَّ إذَا مَـا غِـبْتُ عَنْهُ وكَـمْ
فِي حِـينِ أَحْـضُـرُ نَقَّـالُ وَنَقَّـادُ

[الكامل]

١ لاَ تَطْمَـعَنَّ[2] فَـمَـا سُلُوُّ فُـؤَادِه
فِي وُسْـعِ طَاقَـتِـهِ[3] وَلاَ اسْـتِـعْـدَادِهِ
هَيْـهَـاتَ أنْ يُصْـغِـي إلى غَـيْـرِ الهَـوَى
قَلْـبُ الـمُـحِـبِّ فَـإِنْ[4] شَكَكْـتَ فَنَادِهِ
أعْطَـى هَوَى لَيْـلَى جَـمِـيعَ رُسُـومِـهِ
إلاَّ[5] مُـنَـيْـزِلَـةَ الَّـذِي بِفُـؤَادِهِ
لَوْ كُـنْتُ أَمْلِكُ وَصْلَهُ عَـانَقْـتُـهُ
حَـتَّى أرَى[6] التَّـوْحِـيـدَ فِي تَعْـدَادِهِ
٥ لَكِـنَّنِـي مَـارُمْتُ أَشْـهَـدُ حُـسْنَهُ
إلاَّ فَنِيتُ فَـغِـبْـتُ عَنْ[7] إشْـهَـادِهِ

(١) ب: حسام.

(٢) الأبيات في ب، جـ.

(٣) ب: طاعته.

(٤) ب: قلب وإلا أن.

(٥) عجز البيت ساقط من ج.

(٦) جـ: لذا.

(٧) ب: في.

[الوافر]

١ صَبَا[١] لِرُبَا[٢] الأَرَاكِ[٣] وَحَيِّ هِنْدِ
طَرِيحُ صَبَابَةٍ وَحَلِيفُ وَجْدِ

وَهَاجَتْهُ البُرُوقُ فَحَنَّ شَوْقًا
إلَى رَشْفِ اللَّمَى مِنْ ثَغْرِ هِنْدِ[٤]

سَكِرْتُ وَمِنْ شَمَائِلِهَا شَمُولِي
وَمِنْ وَجَنَاتِهَا آسِي وَوَرْدِي

مُحَجَّبَةٌ وَلَكِنْ فِي ضَمِيرِي
بِمَوْطِنِ[٥] صَبْوَتِي وَمَحَلِّ وُدِّي

٥ وَأَشْهَدَنِي تَذَكُّرُهَا جَمَالاً
أُنَزِّهُ وَصْفَهُ عَنْ كُلِّ حَدِّ

إذَا[٦] أَبْدَى التَّبَسُّمُ نَظْمَ عِقْدِ
أُعَانِقُهُ فَأَنْثُرُ كُلَّ عِقْدِي

وَبِتُّ فَلاَ تَسَلْ عَنْ عَيْشِ صَبٍّ
حَظِي بِالوَصْلِ بَعْدَ جَفًا وَصَدِّ[٧]

---

(١) الأبيات في ب، ج.

(٢) ب: لربا.

(٣) الأراك، شجر طويل أخضر، تتخذ من فروعه المساوك (لسان العرب ١/ ٤٩).

(٤) ج: إلى الهيفاء لا عرب بنجد!

(٥) ب: لموطن.

(٦) = ج.

(٧) ج: تملأ بالحبيب بغير رد!

[الخفيف]

١ يَا زَمَانَ[(١)] الرِّضَا لَنَا هَلْ تعُودُ
وَلأَيَّامِ وَصْلِنَا هَلْ تُعِيدُ
وَعُهُودُ الحِمى كَمَا قَدْ عَهِدْنَا
حَبَّذا لَوْ تَكُونُ تِلْكَ العُهُودُ
كَمْ نَعِيمٍ لَنَا بِنُعْمَى[(٢)] تَقَضَّى
بوصَالٍ قَدْ غَابَ عَنْهُ الحَسُودُ
يَا أُهَيْلَ الحِمَى حَلَلْتُمْ بِقَلْبِى
جَنَّةً لِلغَرَامِ[(٣)] فِيهَا وَقُودُ

[المنسرح]

١ يَا عَرَبَ[(٤)] الحَىِّ عُذَّلِى عَدَدُ
وَيْلاَهُ أَيْنَ الرِّجَالُ وَالعُدَدُ
مَا صَحَّ فِى حُبِّهِ سِوَى سَقَمِى
بِكُمْ وَمَاتَ السُّلُو وَالجَلَدُ
عَهْدِى وَجِيدُ الكَثِيبِ طَوَّقَهُ
مِنْكُمْ بِطَوْقٍ كَالعِقْدِ يَنْتَضِدُ

---

(١) الأبيات فى ب فقط وساقطة من أ، جـ.

(٢) فى الأصل: بنعم.

(٣) الغرام: اللازم من العذاب والشر الدائم، والبلاء والحب والعشق ومالا يستطاع تجنبه.. وهو فى اللغة: أشد العذاب، قال تعالى «إن عذابها كان غراما» أى ملحا دائمًا ملازما (لسان العرب ٢/ ٩٨١).

(٤) الأبيات فى ب فقط وساقطة من أ، ج.

يَـزْدَادُ مِـنْ مَـــــاءِ وِرْدِهِ عَـطَـشًـــــا

لِحُـــــــــــسْنِـهِ كُـلُّ وَارِدٍ يَــرِدُ

٥ مِنْ كُـلِّ رَامِي[1] العُـــيُـــونِ مَـــعْـــرَكَـــةٌ

مَعْ وَجْنَتَـــيْـــهِ وَصُـــدْغُـــهُ الزَّرَدُ

[الكامل]

١ يَا سَـــيْفَ[2] مُـقْلَتِـهِ سَكِرْتَ فَـعَـــرْبِدِ

كَـيْفَ اشْـتَـهَرْتَ عَلَى الـمُـحِبِّ الـمُكْمَـدِ

وَرَمَـيْـتَ عَنْ قَـوْسِ الفُـتُورِ فَـأَصْبَـحَتْ

غَـرَضًـا لأَسْـهُـمِكَ القُلُوبُ فَـسَـدِّدِ[3]

مَنْ لَـمْ يَمُتْ بِعَــذَابِ حُـرْقَـةِ[4] قَلْبِـهِ

مُـتَـنَعِّـمًـا لاَ فَـــازَ مِنْكَ بِمَـوْعِـدِ

لِـلصَّـبِّ أُسْــوَةُ خَـــالِ خَـدِّكَ إِنَّـهُ

مُـتَـمَـتِّعٌ[5] فِي جَـمْـرِهِ الـمُـتَـوَقِّـدِ

[مجزوء الكامل]

١ وَصْلٌ[6] عَـلَـى رَغْمِ الحَــــسُـــــودِ [م]

إِلَـيْكَ سَــعْـــدًا يَـا سَــعِـــيـــدُ

---

(١) في الأصل: من للعيون.

(٢) الأبيات في ب: فقط.

(٣) في الأصل: فشددى.

(٤) في الأصل: يمن بعذاب.

(٥) في الأصل: متمتعا.

(٦) الأبيات في ج فقط.

فَـــدَنَا الـبَــــعِـــيـــــدُ ويَا هَــنَــا [م]

الـــمُـشْ تَاقِ إذْ يَـدْنُو الـبَــــعِـــيــــــدُ

[المتقارب]

فَـــؤَادِى[1] حَـــقِــيـــقَـــةُ نَادِيكُمُ

فَكَـيْـفَ بِـنَـجْـــــــــــدٍ أُنَـادِيـكُـمُ ١

وَأَنْـتُـمْ لأَسْـــــوَدِ عَـــــيْنى سَنًا

فَـــإنْسَـــانُـهَـــا[2] مِنْ أيَـادِيكُـمُ

[الطويل]

دُمُـــوعِى[3] أبَتْ إلاَّ انْسِكَابًا لَـعَلَّـهَـــا

بِمَكْنُونِ حُـبِّى عِنْدَ حِـبِّى[4] تَشْـهَـدُ ١

دَنَوْتُ فَــأَقْــصَـانِى فَـعُــدْتُ فَــردَّنِى

فَـــلاَ هُـوَ يُـدْنِينِى ولاَ أَنَـا أَبْـعُـــدُ

دُهِيتُ بِفُــقْـــدانِ لِــمَنْ قَـــدْ وَجَـــدْتُهُ

فَـــلاَ مَــدْمَعٌ يـرْقَــا ولاَ وَجْـــدٌ يُخْـمَـــدُ

دَبِيـبُ الهَـــوَى بَيْـنَ الضُّلُوعِ مُـــؤَجَّجٌ

لَهِـيبُ اشْـتِـيَـاقِى فِـيــهِ لِلقْلَبِ مُــوردُ

---

(١) البيتان فى ج فقط .

(٢) إنسان العين ، المثال الذى يرى فى السواد . . وهو أيضا : ناظر العين (لسان العرب ١/ ١١٣) .

(٣) الأبيات فى ج فقط .

(٤) فى الأصل : خلى .

٥ دعَـــانِـى، فَـــمَنْ ذَاقَ الهَـــوى ثُمَّ لَمْ يَـنَلْ

وِصَـــالَ حَـــبِـيبٍ كَـيْفَ لاَ يَتَنَـهَّــدُ

دَعَـــاوىَ الأَسَى عِنْدى عَلَيْـكَ صَـحِـيحَـةٌ

فَـــقَلْبِىَ خَـــفَّـاقٌ وَجَـــفْنِى مُـسَـــهَّـــدُ

دَمِى بِكَ مَـــسْـفُـوكٌ وَدَمْـعِى مُـسَـفَّحٌ[١]

فَـيَـصْلُحُ قَلْبِى فِـيكَ مِنْ حَـيْثُ يَـفْسَـدُ

دَفَـــائِنُ حُـبٍّ فِى لحُـــودِ جَـــوَانِـحٍ

لَهَـــا بِكَ حَـــشْـرٌ ـ كُـلَّ يَوْمٍ ـ وَمَـوْعِـــدُ

دُجَـــاىَ[٢] إِذَا وَاصَـلْتَ يَـوْمٌ مُـــؤَبَّـدٌ

وَيَوْمِـى إِذَا أُبْعِـــدْتُ لَيْلٌ مُـــسَـــرْمَـــدُ

١٠ دُنُوُّكَ أَقْـــصَى مَـــا أُحِـبُّ وَأَشْـــتَـــهِى

فَـــإِنْ نِلْتُـــهُ فَـهْـــوَ النَّعِـــيمُ الـمُـخَلَّدُ

* * *

(١) فى الأصل : سفوح ودمعى بسفكه!

(٢) فى الأصل : رجائى!

قافية الـــذال

[مجزوء الكامل]

١ بَـــرْقُ[1] الحِـــمَى[2] أَنْتَ الَّـــذِى
أَذْكَـــيْتَ عَـنْبَـــرَهُ الشَّـــذِى

وأَخَـــذْتَ[3] فِى شِـبْـــهِ الثُّـغُـــورِ
الـغُـــرِّ أَحْـــسَنَ مَـــأخَـــذِ

مَنْ لِـــى بِنُـــوقِ[4] الـعَـــامِـــرِيَّةِ
لَـوْ بِـخَـــدِّى تَـحْــــتَـــذِى [م]

يَـا سَـــهْمَ مُـــقْلَتِـــهَـــا إِلَـى
قَـلْبِـى وَصُـــولُكَ فَـــانْفُـــذِ

٥ مَـــنْ مُنْقِـــذِى[5]، كَـــلاَّ غَـلِـطْتُ
وَمِـنْك أطْـلبُ مُـنقِـــــــذِى [م]

---

(١) الأبيات فى أ، ب.

(٢) ب: بروق الحما.

(٣) ب: واحدث.

(٤) ب: بريق.

(٥) أ: مسعدى.

أَبَـدًا بِـوِسْـــــــــوَاسٍ عَــلَـيْــكَ

مِـنَ الـعَـــــذُولِ[1] تَـعَـــــوُّذِى [م]

[الطويل]

١ ذَكَــــرْتُكَ فَـــارْتَـاعَ الفُــؤَادُ صَـبَــابَةً

إِلَيْـكَ وَمَـــالِى مِـنْ إِسَـــارِكَ مَنْـفَـــذُ

ذُعِـــرْتُ لِـفُـــقْـــدَانِ الوِصَـــالِ بِـغُـــرَّةٍ

وَذَلِـكَ ذُعْــــــرٌ لَـيْسَ مِـنْـهُ تَـعَـــــوُّذُ

ذَمَـائِى[2] مَـسْـفُـوحٌ بِمِـدْرَجَـةِ[3] الهَـوَى

وَقَلْـبِى بِـنِيـــرَانِ الـصَّـــبَــابَـةِ يُنْبَـــذُ

ذَوَارِفُ[4] دَمْـعِى بِـالدِّمَـاءِ[5] مَـشُـوبَةٌ

وَمَـــاذَاكَ إِلاَّ أَنَّ قَـلْـبِى مَـــجَــــذَّذُ

٥ ذَهَـلْـتُ عَـنِ الـسُّـلْوَانِ وَالحُـبُّ آفَـــةٌ

يَـحَــارُ بِـهَـا النِّحْـرِيرُ وَهْوَ مُـجَـهْـبَـذُ

ذَرَانِى، فَـمَـا عَـرَّضْتُ لِلحُـبِّ مُـهْـجَـتِى

وَلَكِـنْ سِـهَـــامُ الحُبِّ فِى القَلْبِ نُـفَّـــذُ

---

(١) ب : العدو.

(٢) الذماء؛ بقية الروح فى المذبوح . . يقال «ذمى العليل» إذا أخذه النزع فطال عليه خروج الروح (لسان العرب ١/ ١٠٧٨).

(٣) المدرجة : درج السيل، ومنحدره فى الأودية . . وهى أيضا : المسلك والمذهب (لسان العرب ١/ ٩٦٣).

(٤) فى الأصل : ذوارق.

(٥) فى الأصل : بالدناء!

ذَوَى(١) زُهْدِىَ اللَّذَاتِ(٢) فِـيكَ صَـبَـابَةً
كَــأَنَّ انْسِكَابَ الــمُــزْنِ مِنِّىَ يُؤْخَــذُ

ذُؤَابُ(٣) الأَسَـى بَـيْنَ الجَــــوَانِـحِ لاَمِـعٌ
وَلَـيْسَ بَـقْلْبِى مِـنْ عِـــذَارَيْهِ مُـنْقِــذُ

ذَلَلْـتُ لِـمَــحْــبُــوبٍ هُوَ العِــزُّ(٤) كُلُّهُ
عَــلَــى أَنَّــنِــى فِـى ذِلَّــتِـى أَتَــلَــذَّذُ

١٠ ذِمَــامُكَ مَــحْــفُــوظٌ وَحَــقُّـكَ وَاجِبٌ
وَحُــبُّــكَ مَــحْــتُــومٌ وَأَنْتَ الـمُـنَـفِّــذُ

* * *

(تم الجزء الأول من الديوان)

---

(٦) الذوى : الذبول.

(٦) فى الأصل : زهد واللذات.

(٣) فى الأصل : ذباب . . والذؤاب ؛ جمع «ذؤابة» وهى طرف السيف.

(٤) فى الأصل : القلب.

أعمال د. يوسف زيدان

(١) المقدمة فى التصوف، لأبى عبد الرحمن السُّلَّمى (تقديم وتحقيق)

الطبعة الأولى: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٧.

الطبعة الثانية: دار الجيل، بيروت ١٩٩٩.

الطبعة الثالثة: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨.

(٢) عبد الكريم الجيلى فيلسوف الصوفية (تأليف).

الطبعة الأولى: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة أعلام العرب، ١٩٨٨.

الطبعة الثانية: دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢.

(٣) الفكر الصوفى (تأليف).

الطبعة الأولى: دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٨.

الطبعة الثانية: مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٦.

الطبعة الثالثة: دار الأمين، القاهرة ١٩٩٨.

الطبعة الرابعة: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨.

(٤) شرح فصول أبقراط لابن النفيس (دراسة وتحقيق)

الطبعة الأولى: دار العلوم العربية، بيروت ١٩٨٨.

الطبعة الثانية: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة / بيروت ١٩٩٠.

الطبعة الثالثة: نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨.

(٥) شعراء الصوفية المجهولون (تأليف).

الطبعة الأولى: مؤسسة الأخبار، القاهرة ١٩٩١.

الطبعة الثانية: دار الجيل، بيروت ١٩٩٦ (طبعة مزيدة منقَّحة).

الطبعة الثالثة: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨.

(٦) ديوان عبد القادر الجيلانى (دراسة وتحقيق).

الطبعة الأولى : مؤسسة الأخبار، القاهرة ١٩٩١ .

الطبعة الثانية : دار الجيل، بيروت ١٩٩٩ .

الطبعة الثالثة : دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .

(٧) ديوان عفيف الدين التلمسانى (دراسة وتحقيق).

الطبعة الأولى : مؤسسة الأخبار، القاهرة ١٩٩١ (الجزء الأول) .

الطبعة الثانية : دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .

(٨) قصيدة النادرات العينية للجيلى، مع شرح النابلسى (دراسة وتحقيق)

الطبعة الأولى : دار الجيل، بيروت ١٩٨٨ .

الطبعة الثانية : دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .

(٩) الطريق الصوفى وفروع القادرية بمصر (تأليف).

الطبعة الأولى : دار الجيل، بيروت ١٩٩١ .

(١٠) عبد القادر الجيلانى، باز الله الأشهب (تأليف).

دار الجيل، بيروت ١٩٩١ .

(١١) رسالة الأعضاء، لابن النفيس (دراسة ـ تحقيق)

الطبعة الأولى : الدار المصرية اللبنانية، القاهرة / بيروت ١٩٩١ .

الطبعة الثانية : نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨ .

(١٢) المختصر فى علم الحديث النبوى، لابن النفيس (دراسة وتحقيق)

الطبعة الأولى : الدار المصرية اللبنانية، القاهرة / بيروت ١٩٩١ .

الطبعة الثانية : نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨ .

(١٣) المختار من الأغذية، لابن النفيس (دراسة وتحقيق)

الطبعة الأولى : الدار المصرية اللبنانية، القاهرة / بيروت ١٩٩٢ .

الطبعة الثانية : نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨ .

(١٤) شرح مشكلات الفتوحات المكية، للجيلى (دراسة وتحقيق)

الطبعة الأولى : دار سعاد الصباح، القاهرة، ١٩٩٢ .

الطبعة الثانية : دار الأمين، القاهرة ١٩٩٨ .

الطبعة الثالثة : دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .

(١٥) فوائح الجمال وفواتح الجلال، لنجم الدين كُبْرى (دراسة وتحقيق).

الطبعة الأولى : دار سعاد الصباح، القاهرة ١٩٩٣ .

الطبعة الثانية : الدار المصرية اللبنانية، القاهرة وبيروت ١٩٩٨ .

الطبعة الثالثة : دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .

(١٦) التراث المجهول، إطلالة على عالم المخطوطات (تأليف).

الطبعة الأولى : دار الأمين، القاهرة ١٩٩٤ .

الطبعة الثانية : دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٥ (طبعة جامعية خاصة).

الطبعة الثالثة : دار الأمين، القاهرة ١٩٩٧ .

الطبعة الرابعة : نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨ .

(١٧) فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية (الجزء الأول).

معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٤ .

(١٨) فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية (الجزء الثانى).

معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٥ .

(١٩) نوادر المخطوطات بمكتبة بلدية الإسكندرية.

برنامج الأمم المتحدة للتنمية UNDP / الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٥ .

(٢٠) فهرس مخطوطات رفاعة الطهطاوى (الجزء الزول).

معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٦ .

(٢١) فهرس مخطوطات رفاعة الطهطاوى (الجزء الثانى).

معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٧ .

(٢٢) فهرس مخطوطات رفاعة الطهطاوى (الجزء الثالث).

معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٨ .

(٢٣) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (الجزء الأول: المخطوطات العلمية).

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٦ .

(٢٤) بدائع المخطوطات القرآنية بالإسكندرية.

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٦ .

(٢٥) التقاء البحرين (نصوص نقدية).

الدار المصرية اللبنانية، القاهرة وبيروت ١٩٩٧ .

(٢٦) فهرس مخطوطات أبى العباس المرسى (الجزء الأول: التصرف، التفسير، السيرة، الحديث).
الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٧ .
(٢٧) حى بن يقظان، النصوص الأربعة ومبدعوها.
الطبعة الأولى : الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الفلسفة والعلم ١٩٩٧ .
الطبعة الثانية : دار الأمين ١٩٩٨ (طبعة مزيدة منقَّحة) .
الطبعة الثالثة : دار الشروق ، القاهرة ٢٠٠٨ .
(٢٨) المتواليات (دراسات فى التصوف).
الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة / بيروت ١٩٩٨ .
(٢٩) المتواليات (فصول فى المتصل التراثى المعاصر).
الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة / بيروت ١٩٩٨ .
(٣٠) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (الجزء الثانى: التصوف وملحقاته).
الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٨ .
(٣١) فهرس مخطوطات رشيد ودمنهور.
مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى ، لندن ١٩٩٨ .
(٣٢) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (الجزء الثالث: التاريخ والجغرافيا).
الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٩ .
(٣٣) ابن النفيس، إعادة اكتشاف.
الطبعة الأولى : المجمع الثقافى ، أبو ظبى ١٩٩٩ .
الطبعة الثانية : نهضة مصر ، القاهرة ٢٠٠٨ .
(٣٤) فهرس مخطوطات شبين الكوم.
مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى ، لندن ٢٠٠٠ .
(٣٥) فهرس مخطوطات المعهد الدينى بسموحة.
الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٠ .
(٣٦) فهرس مخطوطات أبى العباس المرسى (الجزء الثانى: أصول الفقه وفروعه).
الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٠ .
(٣٧) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (الجزء الرابع: المنطق).
الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠١ .

(٣٨) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (الجزء الخامس: الحديث الشريف).

مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠١.

(٣٩) فهرس مخطوطات دار الكتب بطنطا.

معهد المخطوطات العربية، القاهرة ٢٠٠١.

(٤٠) فهرس مخطوطات دير الاسكوريال (أسبانيا).

مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٢.

(٤١) ماهية الأثر الذى فى وجه القمر، لابن الهيثم (دراسة وتحقيق).

مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٢.

(٤٢) مقالة فى النقرس، للرازى (دراسة وتحقيق).

مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٣.

(٤٣) مختارات من نوادر مقتنيات مكتبة الإسكندرية.

مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٣.

(٤٤) التصوف

الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٤.

(٤٥) المخطوطات الألفية.

الطبعة الأولى: دار الهلال، القاهرة ٢٠٠٤.

الطبعة الثانية: مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٤ (إصدار خاص).

الطبعة الثالثة: نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨.

(٤٦) الشامل فى الصناعة الطبية، لابن النفيس (ثلاثون جزءاً).

المجمع الثقافى، أبو ظبى (١٩٩٨-٢٠٠٣).

(٤٧) كنوز المخطوطات فى مدن العالم (طشقند) برنامج تفاعلى.

الإصدار الأول: وزارة الخارجية المصرية ١٩٩٨.

الإصدار الثانى: نهضة مصر ٢٠٠٨.

(٤٨) كنوز المخطوطات فى مدن العالم (الإسكندرية) برنامج تفاعلى.

الإصدار الأول: وزارة الدفاع ١٩٩٩.

الإصدار الثانى: نهضة مصر ٢٠٠٨.

(٤٩) مخطوطات الطب والصيدلة بالإسكندرية.

المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، الكويت ٢٠٠٥.

(٥٠) ظل الأفعى (رواية).

الطبعة الأولى : دار الهلال، القاهرة ٢٠٠٦ .

الطبعة الثانية : دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .

(٥١) أعمال مؤتمر المخطوطات الألفية.

مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٦ .

(٥٢) أعمال مؤتمر المخطوطات الموقَّعة.

مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٨ .

(٥٣) عزازيل (رواية).

دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .

(٥٤) كلمات (التقاط الألماس من كلام الناس).

نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨ .